رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الدكتور
يوسف م. عيد

# الحواسية في الاشعار الاندلسية

- ٢٠٠٢ -

المؤسسة الحديثة للكتاب
طرابلس - لبنان

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# الحواسية
## في الاشعار الاندلسية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الدكتور
يوسف م. عيد

# الحواسية في الاشعار الاندلسية

- ٢٠٠٢ -

المؤسسة الحديثة للكتاب
طرابلس - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

المؤسسة الحديثة للكتاب
طرابلس – لبنان
فرع اول : سنتر البولفار – مقابل البريد وقصر العدل
فرع ثاني : القبة – مقابل كلية الحقوق

هاتف : ٠٦/٣٨٥٤٦٩ – ٠٣/٢٣٩٣٣٨
تلفاكس : ٠٦/٤٢٤٢٣٣

# الإهداء

أُقدّم هذا الكتابَ الى مَنْ يِفَــقــدِه :

* نَقُصَ أدبُ الارض وإكتَملَ أدبُ السماء
* تَعرَّت الكلمةُ وكَشَفَتْ لحْمها لهجير الصحراء
* فَقَدَتْ بعضُ الفراخ اليدَ التي زَقّمتها حِنطة الأدب
* ترك الأسى في مجالس الأرض وزرع السعادة في مجالس الأنبياء جبران ونعيمة والريحاني .

يوسف فرحات لن تغيب

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# مقدّمة عامّة

الحواسّ هي صلة الوصل بين الإنسان وما يحيط به . كلّ حاسّة تنقل عن الواقع خاصّة معيّنة . فإذا كان البصير ينقل عن الشيء شكله ولونه، والسمع ينقل الأصوات وما فيها من تردّدات قويّة أو ضعيفة، والشمّ ينقل الروائح المدغدغة منها والمنقرة، فماذا تكون إذًا قيمة كلّ من حاستي اللمس والتذوّق ؟

وبمعنى آخر، إنّ الحواسّ للإنسان هي روح الأعضاء الدّالة عليها . فقد يُفقد البصر وتبقى أداته العين في الوجه، ويفقد السمع وتبقى الأذن، ويُفقد اللمس حين يصيب الأطراف شللٌ. وقد تتبادل فيما بينها؛ فالضمير له النظر، والعين قد تسمع بالرؤية، والأنف قد يشِمّ الصوت . وقد يُتذوّق النغم، ويُتلمّس النظر، ويُحال الفكر إلى واقع .

جاء في المنجد حول مادّة حَسَّ : حسّ حسًّا الشيء أو بالشيء . أحسّه : أيقن به . أحسّ الشيء: علِمه وشعر به وأدركه . تحسّس : تسمّع وتبصّر . وـــ الخبر: سعى في إدراكه . وـــ الشيء : تعرّفه وتطلّبه بالحاسّة . والحسّيّ : مايدرك بالحسّ الظاهر وضدّه العقلي . والمذهب الحسّي أو الحسّيّة : مذهب الذين يزعمون أنّ الملكات العقليّة كلّها تتولّد من الإحساس . الحاسّة: مؤنّث الحاسّ : القوّة النفسانيّة المدركة . الحواسّ الخمس هي : السمع والبصر والشمّ والذوق واللمس . الحال التي يختصّ بها الإنسان، وينماز بها عن سائر المخلوقات، سمّيت بالحواسيّة . أمّا وإنّ الشعر بصورة عامّة هو تجسيد لهذه الحواسيّة، فكان من الطبيعي أن يستوقفنا الشعر الأندلسي بصورة خاصّة الذي يشكّل سجلاً غنيّا بمعطيات الحواس وبأهمّيتها .

وبعد، فإنّ الحديث عن علاقة العقل بالحواس هو شأن يتداخل بثنائيّة البنية الإنسانيّة وثبوتها.

فلا تكون معرفة بغير عقلٍ، ولا عقلٌ بغير حواس . وما دامت الحواس هي سلاح العقل، فجليٌّ أن يتعزّز الاهتمام بشحذ الحواس وتهذيبها وتربيتها . فحواس أكثر الناس بطينةٌ وبليدة، وبالتالي قواهم العقليّة مهمَلة وصدئة . ومفتاح المعرفة هو الاختبار الحسيّ، في تلمّس الأشياء وتذوّقها وشمّها، وفي تبصّر الأبعاد والأشكال والألوان وفي سماع الأصوات .

الاختبارات النفسيّة التي تتخطّى المادّة، يبدأ إدراكها عن طريق الحسّ، وتترسّخ في النفس بواسطة الاختبار الحسّيّ الداخليّ الذي يقترن معها في الحالات السويّة .

المحبّة والبغض مثلاً، لا يعرفهما معظم الناس سوى في تسارع نبض القلب وفوران الدم وامتقاع الوجه وغيره ... والخوف والجزع تصطكّ معهما المفاصل، ويصفرّ الوجه ويتراجع الدم ... والحسدُ وهواجس الليل تنخر في العظام .

ومع أنّ الاختبارات النفسيّة تتّخذ الحسّ الجسديّ واسطة لترسّخها في النفس، فهي لا تسمو برغم ذلك، إلى مرتبتها الإنسانيّة حتّى يتعلّم الفرد أن يملك نفسه وعواطفه .

ويُجتلى بأنّ المعرفة العلميّة لا تستطيع لا في البداية ولا في النهاية، الاستغناء عمّا يدركه العقلُ بواسطة الحواسّ . وما لا تدركه الحواس مباشرةً، تتّصل به بواسطة مادّة تتأثّر به، كالقِوى المغناطيسيّة مثلاً؛ فالحواس لا تتأثّر بها ولكنّ الحديد يتأثّر .

الانطباع الحسيّ الصرف هو الرسالة الواصلة إلى العقل بواسطة الجهاز العصبيّ من التموّجات الواقعة على جهاز الحسّ؛ فالعقلُ لا ينفذ إلاّ من نوافذ الحواس .

إن كانت المعرفة استقاءً من خارج النفس، فالحواس هي بابها وسبيلها . فبقدر ما يلجأ الإنسان إلى إرهاف حواسه وتوسيع مجالها، بقدر ما يستطيع توسيع معرفته بالكون . إنّ فقدان الحواس يُثقل نشاط القوى العقليّة؛ فالذين يفقدون في صغرهم حاسة واحدةً كالسمع أو البصر، أنّ ما تبقى لهم من الحواسّ يرهف إلى درجةٍ فوق ما كان عليه ليعوّض على قدَر الإمكان عمّا فقد؛ لكنّ معرفتهم العلميّة تظلّ دون الإمكان الذي يمكّنهم من الوصول إليه بالحواس السويّة التامّة .

أمّا مَن تفتّحت فيه القوى الباطنيّة، وكان له ميلٌ إلى الزهد والتأمّل فقد يكون فقدان حاسّة البصر أو السمع عونًا له على التفكير المجرّد والتأمّل الباطن . لكنّ القانون العامّ الذي يشمل السواد الأعظم من الناس هو التأثير المتبادَل بين الحواس والقوى العقليّة كما بين صحّة العقل وصحّة الجسد .

ومَن يولَد أعورَ، أصمَّ، متمسّح حاسّة اللمس والذوق والشمّ، فلا يفقه معنًى لمدلول أدوات القياس ولو قضى عمره في التدرّب عليها . والمعرفة المبنيّة على الاختبار الحسّيّ تشمل أكثر ممّا هو قابل للقياس العلميّ؛ إذ من دون الحواس المرهفة الكاملة يظلّ هذا القياس مغلقاً على الوعي العقليّ . إنّ المعرفة التي تتفتّح فينا بإدراك جمال الطبيعة في ألوانها وأنوارها وظلالها وألحانها، وبإدراك نشوة الوصال مع الحياة الشاملة التي تتخلل الطبيعة والكون، هي معرفة أوسعُ من المعرفة العلميّة . ولا معنى لهذه في حياة الإنسان إن لم تؤدِّ إلى معرفة جمال الحياة ووصالها .

قد يظنّ الكثيرون أنّ المعرفة العلميّة المجرّدة معظمها عِظامٌ يابسة في مسالكَ وعرة؛ غير أنّ ممارسة المراقبة العلميّة ذاتها ترهف الحواسّ إلى الدرجة اللازمة في العلم وفي الفنّ معًا . إدراك الجمال وتذوّقه: إنْ بالعلم أو بالفنّ أو بالحسّ، والحسّ يجمعهما، يرفع مستوى النفس إلى درجة جديدة في الوعي النفسيّ، والمعرفة الروحيّة العليا .

لكي يتخلص البعض من شرّ الشهوات يلجأ إلى قهر الحواس الجسديّة، جاعلاً من حياته شبه مناحة . تلك أوهامٌ تستحكم بصغار النفوس . فالجسد هو الهيكل المقدّس لنسمة الحياة نعمة الله؛ والحواس هي مفاتيح المعرفة المؤدّية إلى مصدر الحياة ومرجعها، الله . فمن قهر جسده وخدّر حواسّه بإماتة الأعضاء وقتل الملكات الإنسانيّة، فقد أضعف قواه العقليّة وأفسد على نفسه طريق المعرفة إلى الله .

إنّ بعض وجوه الرياضة النفسيّة، كالصوم، ليس قهرًا للجسد؛ إذا كانت ممارسته على الأصول الصحيحة . فهو يُنقي الجسد من رواسبه التي تثقل عمل أعضائه وحواسه . والصوم طريق السموّ في بلوغ الإنسان درجةً معيّنة في الصفاء الفكريّ . في ممارسته نشوةٌ تتسامى على لذّة الأكل . ومَن أزاغ حواسّه عن المعرفة إلى التلذّذ بالشهوات فقد حوّل لذلك محلّ العبادة إلى مرقص وخمّارة، بدايتها لذّة موهومة ونهايتها عربدةٌ وألم .

إنّ إماتة الأعضاء الجسديّة تمنع الشهوة من الظهور، لكنّ نارها تظلّ متأجّجة في النفس؛ فيؤدّي الامتناع بالجسد إلى جموح بالفكر وتتغلّب بعدها الأمراض العصبيّة على سلوكيّة الفرد . الذين بلغوا وتقدّموا في التفكير المجرّد هم أقليّة ضئيلة، والذين في مرحلة التأمّل الباطن والإماتة الفعليّة للحواسّ هم أفراد قلائل : المعلّمون المتصوّفون الروحانيّون، والقدّيسون الذين خسروا كلّ مربح في الدنيا للفوز بمربح في الدنيا الأخرى .

إنّ أداء وظائف الحياة الجسديّة على سنّتها السويّة تقترن معه نشوةٌ خالصة صافية . والحياة من دون إزاغة عن غايتها ومحجّتها هي نشوة دائمة يفوق التعبير عنها بواسطة الحواسّ . فما التأثيرات الحسّيّة في حياة الجسد، والتأثيرات الفكريّة في حياة الفكر سوى وجهتين متكاملتين لاختبار حياةٍ واحدة لا تتجزّأ هي حياة الروح .

مثلما تفتّحت في الإنسان حاسّة البصر لتزيد تأثره بالضوء وتوسّع اختباره ومعرفته، كذلك ستتفتّح في الإنسان حاسّة الإدراك الرؤيويّ. كلّ قوّة تتفتّح في الإنسان مكملة للقوى التي كانت، لا ناقضة إيّاها أو مغنية عنها .

إذا بدأ الإنسان مرحلة المعرفة النهائيّة بتفتّح قوى الرؤيا الروحيّة فوق قوى الإدراك العقليّ يُصبح حينئذٍ مستغنيًا عن التجسّد المادّيّ والحواسّ؛ لكنّه يظلّ في حالة تجسّد نورانيّ هو للعقل كالتجسّد المادّيّ للحواسّ .

بوصول الإنسان إلى المعرفة الإنسانيّة الكاملة يستغني عن التجسّد النورانيّ أيضًا، منتقلاً إلى حالة الفناء في الروح الإلهيّ السرمديّ .

أمّا وقد وضح لنا قدره في تلك الثنائيّة، فلا بدّ من العودة إلى الشعر وملعبه، وخصوصًا الشعر الأندلسيّ .

فحين نذكر الأندلس، نسكر بالموشّح المطرب، ونخلب بالمنظر المعجب، ونلمس الذوق المغرب، وكأنّ هذه الدنيا قد وجدتْ لهذه الأنواع الشعريّة . وفي كلّ ما سنذهب إليه، لا نحاول غير العرض والتفسير، متناولين الحواسيّة في فصول مستقلّة بالشكل، مترابطة بالجوهر . يشدّها إلى بعضها سلك روحيّ يتقصّد كشف فضائلها الإلهيّة المتجسّدة في نعم إنسانيّة .

بزيزا في ٢٠٠٢/٦/٦ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# الفصل الأوّل
# العين في الشعر الأندلسي

**أ ـ مقدّمة :**

أمَكمَنُ الإشراق هي !! أمْ هي ســـــحرٌ نـــــورانيّ يُشعل الأنفاس طـــــيبًا ورونقًا!! لئن كان النور ومضة معرفة وإدراك لما هو في الجهات الخارجيّة، ولئن كانت المعرفة منارة الفكر والروح . خلق الله لنا نعمة لا يستطيع أحدٌ منّا غضّ الطرف عنها، أو نكرانها ... هي نعمة البصر ...

أنظر إلى الأشياء، فأراها، أرى الجمال فيها، والسحر المنبعث من جوفها ومن بين طيّاتها .. هي العيون، أداة هذه المعرفة .

ليست العيون فقط آلة فوتوغرافيّة تنقل وتصوّر الأشياء الخارجيّة تصويرًا حسّيًا، بل هي مبعث الإحساس ومكمَن المعاني !

نرقب في العيون الفرح، كما نشعر بالحزن الصارخ في بريقها وومضها ...

وتلوح المقل بإشراقها العشقيّ، تنضح النفس والشعور، تفضح الإنسان فتبرز كلّ ما يدور في داخله من إحساس ومن شعور، من هيام ومن حقد ...من تعاسة ووجع ... ومن تلك الرعشة التي يجاهد الإنسان في سبيل إخفائها، وعدم انتشارها إلاّ أنّ حدقاته تبرزها دون عناءٍ وجهدٍ، بل بكلّ عفويّة وصدق !

إذًا، يا من أردتَ الكشف عن الحقيقة والصدق الكامنين في شخص مجاورك، أنظر في عينيه فترى غشاء الرياء والكذب بعيدًا كلّ البعد، ويسطع عندها نورُ الحقّ والإحساس ...

والبصر الحاسّة الفضلى عند الكائن إذا فقدها، فقَدَ نصفه الوجودي، لذا عليه المحافظة على هذه الحاسّة مهما كان الثمن؛ لأنّها تؤمّن له السعادة والهناءة . وإذا كانت سببًا لسعادة الإنسان العاديّ؛ فكم هي تشكّل محطّة أساسيّة عند الشاعر أو الفنّان . وكم كان فقدها عند غير شاعر حافزًا أساسيًا للتعويض عن الرؤية بالرؤيا فيزداد شعرهم رقة وشفافية وحسنًا . ولنا في أشعار الأعمى التطيلي ما يفوق

أشعار المبصرين . وسنستعرض خلال الحديث أشعارًا كثيرة اهتمّت بالعين ونعمة البصر.

**ب ـ الحاسّة : مبعث إدراك ومعرفة:**

إنطلاقًا من "حاسّة النظر في الشعر الأندلسي" قرّرت أن أعرّج على المسألة كما تناولها بعض الفلاسفة وما ورد عنهم من شروحات وتفسيرات.

أقرّ المذهب السفسطائي أنّ الحقيقة نسبيّة وليست مطلقة، كما اعتبر أنّ مقياس المعرفة هو الحواس .

بالإضافة إلى أنّ أرسطو قد أعطى دراسة النفس في إدراكها، حظًا وافرًا وقد تبعه الفارابي وابن سينا فيما بعد .

ومفادُ دراسته هذه، هي أنّ النفس متعدّدة القوى والوظائف . فالنفس الغاذية تتولّى مسألتي الغذاء والتوليد، والنفس الحاسّة تملك قوى الحركة والإدراك الجزئيّ الذي يتمّ على درجتين : الإدراك الظاهر والإدراك الباطن.

فالإدراك الظاهر يتمّ بوساطة الحواس الخمس، حيث تدرك كلّ حاسّة ماينا سبها.

فحاسّة الذوق لإدراك الطعام وحاسّة البصر لإدراك الألوان وحاسّة السمع لإدراك الأصوات، وهو يعتبر أنّ حاسّة البصر هي الأقوى بين الحواس الخمس، على عكس "ديديرو" الذي يعتبرها الأكثر سطحيّة .

الحسّ عند جون بوك هو الحسّ الباطني، Internal sens الذي يساعد على التفكير .

Reflection. أمّا عند هتشون Hutcheon فهو حسّ خُلقيّ sens moral، وهو منحة من الله . وهو كذلك لا يقرّ إلاّ بالأفعال النافعة للغير أو العائدة علينا بخير شخصيّ يتفق مع خير الغير.

وهو حسّ أصيل لا يرجع إلى الدين ولا إلى النفع الاجتماعيّ .

والحاسّة، في التعريف المتداول في المعجم :

Sense , sens تقال على قوى طبيعيّة، لها اتّصال بأجهزة جسميّة، بها يدرك الإنسان والحيوان الأشياء الخارجة عنه وبها أيضًا يدرك ما يطرأ على جسمه من التغيّرات . والحواسّ خمس في العرف العام، وهي البصر والسمع والشمّ والذوق واللمس وتسمّى الحواس الظاهرة.

وكلمة إحساس sensation : الإحساس إدراك الشيء بإحدى الحواس، فإن كان الإحساس للحسّ الظاهر فهو المشاهدات، وإن كان للحسّ الباطن فهو الوجدانيّات.

ولم يميّز القدماء بين الإحساس والإدراك، بل ميّزوا بين إدراك المحسوسات الخاصّة بكلّ حاسّة وبين إدراك المحسوسات المشتركة، كالمقادير والأعداد والأوضاع والحركات والأشكال والقرب والبعد (١).

أمّا الفيلسوف الألماني كانتْ kant فيعتبر الحساسيّة نوعين : حساسيّة تجريبيّة وهي التي تقبل من خارج مادة الإحساس وحساسيّة ترنسندنتالية Transcendentale، تشمل الزمان والمكان من حيث أنّهما صورتان أوّليتان Apriori . والمحسوس sensible هو ما يُدرَك بالحواسّ . المحسوسات كلّها تتأدّى صورها إلى آلات الحسّ وتنطبع فيها فتدركها القوّة الحاسّة.

وكما ورد في Encyclopédie Philosophique

Sensation = Représentation , ou plus généralement information de provenance interne ou externe

Qui : a - parvient à la conscience du sujet

b - suppose , pour sa mise en oeuvre un processus corporel lié à son contenu .

Dans la philosophie classique , la sensation est conçue comme une modification de l'âme , dans laquelle cette dernière est purement passive.

C'est pourquoi elle peut être envisagée comme une donnée pure de toute élaboration intellectuelle .

La philosophie sensualiste en fait le point de départ de la connaissance . Toute connaissance est pour condillac une sensation transformée ).

Ce qui n' implique pas qu' elle soit indécomposable .

Les empiristes anglos saxons contemporains ont vu dans des sensations élémentaires ( sense - dato ) les matériaux de toutes représentations .(2)

هكذا تكون الحاسّة مبعث معرفة ومصدر إدراك، أقلّه بالنسبة إلى ما يبدو لنا خارجًا . لعلّ الناظر أو السامع أو اللامس ... لا يُبهر بظاهر ما يمسّه على الأصعدة المختلفة، فيغوص في أعماق الأشياء ويسبر أغوار المعنى الصحيح والجوهر الكامن فيها .

**ج - مكانة العيون في الشعر :**

مَن منّا لايعشق النظر إلى العيون الجميلة !! مَكمَن السحر والرونق، مكمن كشف الخفايا ... هي النظرة والرموش والجفون .

من منّا لا يقدّس عيني حبيبه ويكللهما بقدسيّة الخفقات والتأوّهات...

من منّا لا يعبّر عن اللوعة التي تنغمس في الكينونة عند لحظة الاشتياق !

هو تعبير وهي كلمات ...

وهل أفضل من الشعر لتأدية هذا التعبير !

احتلّت مكانة العيون في الشعر عمومًا والعربيّ منه خصوصًا حيّزًا كبيرًا بدءًا بالشعر القديم، وصولاً إلى قصائد اليوم .

كلّ القصائد بالإجمال لا تخلو من كلمة عين . لا تخلو من التغزّل بالرموش أو من البكاء بأوجهه المختلفة ...

بكاء تأبين، بكاء رثاء، بكاء وجع وحسرة أو فرح وبكاء بُعد واشتياق .

وهذا ما نلحظه في مطالع قصائد الجاهليّة التي تبدأ بالبكاء، وقد استمرّت هذه الظاهرة في بعض القصائد في العصور اللاحقة .

هذا امرؤ القيس يقول :

وفاضت دموعُ العين منّي صبابةً  على النحر حتّى بلّ دمعي محملي

وهذا عمر بن أبي ربيعة يقول على لسان نعمَ :

إذا جئتَ فامنح طرف عينيكَ غيرنا  لكي يحسبوا أنّ الهوى حيث تنظُرُ

... ويدوم الشعر الذي يتضمّن تعابير تدلّ على النظرة أو على العين وما يخالجها ويعتريها من مشاعر وأحاسيس !

هو شاعر ... وهي الكلمة ... يُقوْلبها بمعانٍ خاصّة وبأحاسيس جيّاشة تتلاقى مع وضعه ومكانه وظروفه .

كما هي الحالُ مع أبي نوّاس الذي آنست الخمرة عيونه، وبعثت فيها نشوة مثل نشوة الإغفاء، وذلك قوله :

فأرسلت من فم الإبريق صافيةً  كأنّما أخذها بالعين إغفاءُ

والعيون هي من أثمن العطايا وأغلاها، لذا تقول الأمّ لابنها عند التدلل " يا عيوني ".

ويقول ابن الرومي في رثاء ابنه :

أريحانة العينين والأنف والحشا  ألاليت شعري هل تغيّرتَ عن عهدي

سأسقيك ماء العين ما أسعدَت به  وإن كانتْ السقيا من العين لا تجدي

أمّا المتنبّي فطالما تصارع مع الدهر من أجل بلوغ العلا وهذا ما شغله عن أيّ أمرٍ آخر حتّى عن هوى العيون والأعناق :

لم يترُك الدهر من قلبي ولا كبدي  شيئًا تتيّمه عينٌ ولا جيدُ

شواهد كثيرة تدلّ على مكانة العيون وموقعها من الأشواق والتأوّهات عند الشعراء . هؤلاء الذين بكوا على مذبح عشقهم، ولكن أيّ حدّ كانت كلماتهم تنبع من منتهى الإحساس والشعور الصادق...؟؟؟

لست أدري ...

فهذا يقول : " فأنا لا أملكُ في الدنيا
إلاّ عينيكِ وأحزاني ..." (٣)
ويقول : " تاهت بعينيها وما علمتْ
أنّـــي عبدْتُ بعينيها ... وطني (٤)
ويضيف : " عـــزائي إذا لم أعُدْ
أن يُقال : انتهى في عـيونْ ..."(٥)
ويقول آخر : " أدّعي أنّي بعينيكِ وُلدتُ ..." (٦)
" ألعينيكِ تأتّى وخطرْ
يفرشُ الضوءَ على التلّ القمر ؟ ..."
" أجمل من عينيكِ حبّي لعينيكِ ! (٧)
هما، إذا غاب القمر
عيناكِ، خمرة الوجود ..." (٨)

وتكثر أخبار الشعراء في متاهاتهم العشقيّة والغزليّة، فيقول الأخطل الصغير مثلا:

جـفـنه عـلّم الغـزل ومـن العـلم ما قـتـل

ويقول أيضًا :

قـد أتاكَ يعـتذرُ لا تسـلهُ ما الخـبَرُ
كـلما أطـلتَ لهُ في الحديث يخـتصرُ
فـي عـيونه خـبَرُ ليس يكـذب النظـرُ(٩)

أمّا الياس أبو شبكة فيقدّم في فردوسه الممتلئ بالأفاعي، رومنسيّة مخضّبة برهاب جحيمي، يفور بهيمان العشق الملطّخ بجنسيّة فاجرة ...

وفي قصيدة من ديوانه أفاعي الفردوس معنونةٍ " حديث في الكوخ " يقول :

قـلتُ : في مقلتيكِ خـمرُ العذارى  فـهي إكسـيرُكِ الذي تـحجبينه
فأمالت عـنّي عـيونا سـكارى  وأمالت إليّ قـلبًا شـقيـّا
وأذابت مـن مـقلتيها، رحـيقًا  جـرّعته الشـجون فـي مقـلتيّا
أيّها الكوخ، والعيون السـكارى  بـخـمورٍ لـم تمتزج بـعذاب
لا تجسّـي قلبي، فـلم يبقَ فـيهِ  من بناء الماضي سوى أخشاب(١٠)

ويقول أيضًا إيليّا أبو ماضي في قصيدة له معنونة " مقلتان"

رأيتُ في عـينيكِ سـحر الهوى  متدفقًا كـالنور مـن نجـمتين
فبتّ لا أقـوى عـلى دفـعه  مـَن ردّ عـنه عـارضًـا باليدين
يا جـنّة الحـبّ ودنيا المـنى  ما خـلتني ألـقاكَ فـي مقلتين (١١)

هذه جولة صغيرة، فالحديث يطول، والعيون العاشقة لا عدّ لها، والأشعار المكتوبة فيها لن تنتهي وإن قصدنا إنهاء الحديث عنه .

أمّا نزهة العيون في حديث الشعر الأندلسي فهي شائقة ومهمّة ومستعذبة، نحاول أن نلقي ضوءًا عليها علّها تحملنا إلى أجواء القلوب الولهانة والدفء الإنسانيّ والعاطفة السيّالة، عاكسة لما تمتاز به طبيعة الأندلس من رقة وعذوبة وانشراح .

العين هي إحدى الحواس الخمس التي يتمتّع بها الإنسان والتي يستفيد منها إلى أقصى حدّ في كلّ مجالات الحياة . فالعين هي التي ترى إبداعات الخلق وجمال المخلوقات، وهي التي تتمتّع برؤية الطبيعة والأحبّة وتذرف الدمع على حبّ ضائع أو وطن بعيد أو شخص مفقود ...

والعين كثيرة الذكر في الشـــعر قديمًا وحـــديثًا . ذكرها الشـــعراء في كافة المواضيع الشعريّة؛ في المدح والغزل والوصف والرثاء والحكمة والشعر الخمري .

وللعين في الشعر أسماء كثيرة ترادفها كاللحظ والطـــرف والمقلة والحدقة إلـخ...

وقد يعبّر الشاعر عن العين بجزء منها فيذكر مثلاً الجفن أو الأهـــداب ...

وقد يذكرها بطريقة غير مباشرة باستعماله الأفعال المتّصلة بها مثلاً : " رأى، أبصر، نظر، التفت، غمز ..." أو يشبّهها بالدر أو اللؤلؤ أو النرجس أو غيرها من التشبيهات .

وكثيرًا ما يتّصل ذكر العين بذكر الدموع أو بذكر الدمع وحـــــده، وفي ذلك أيضًا ذكر غيرمباشر للعين . قد تذكر العين بشكل عابر في الشعر ولكن في أغلب الأحيان يكون لها وظيفة معيّنة.

وتختلف وظيفة العين في الشعر باخـــتلاف المواضيع الشـــعريّة، فهي مثلاً في الرثاء تظهر مقترنة بالدمع لتبكي الشخص المفقود وهي في الغزل تقتل المحبّ كما في قول جرير :

إنّ العيون التي في طـرفها حَـوَرٌ  قتلننا ثمّ لـم يحـيين قـــــــتلانا

ذكر العين في الشعر الأندلسي كما في الشعر المشرقي، كان له الأهميّة نفسها في كافة المواضيع .

فكيف ظهرت العين في الشعر المشرقي والشعر الأندلسي ؟

**العين في الشعر المشرقي :**

ذكرت العين كثيرًا في المشرق منذ العصور الأولى لظهور الشعر . وها هي بعض الأمثلة.

يقول امرؤ القيس :

عـــيناك دمـــعهـما ســـــجال  كـــأنّ شأنـيهما أوشـــــــال

وقد ارتبطت العين بالدموع في التقليد الجاهليّ المعروف ألا وهو الوقوف على الأطلال، مثلاً قول امرئ القيس :

قفا نبكِ من ذكرى حـــبيبٍ ومنزلِ  بسـقط اللـوى بين الدخـول فحومَلِ

إلى أن يقول:

فاضت دمــوع العين منّي صـبابةً  على النحــر حتّى بلّ دمعي محملي

كما يقول النابغة الذبياني في وقوفه على أطلال الأحبّة :

فكفكفت منّي عــبرةً فــرددتــها  على النحـر منها مســتهلّ ودامـع

ويقول في مجال الوصف :

تــراهن خلف القوم خــزرًا عيونه  جلوس الشــيوخ في ثياب المرانب

أمّا زهير بن أبي سلمى فيصف دموعه قائلاً :

كأنّ عيني قد ســال الســليل بهم  وجــيرة ما هــم لــو أنّهم أمـم

غـرب على بــكرة أو لؤلؤة قـلق  في الســلك خان بــه رباته النظم

فدموعه تتساقط من عينه تساقط الماء من الغرب أو الدلو أو تساقط اللؤلؤ من عقد انقطع سلكه . وكان للعيون دور مهمّ في الحبّ وكان الشعراء في الجاهليّة يشبّهون عيني الحبيبة بعيني بقر الوحش في سوادهما ولمعانهما . يقول زهير بن أبي سلمى :

وأمّا المقلتان فــمــن مــــــهاة  وللـدرّ الملاحــــــة والصــفاء

وكانت تلك العينان، عينا الحبيبة، تصيبان المحبّ . يقول امرؤ القيس :

وما ذرّفت عـينــاك إلا لتضربي  بســهميك في أعشــار قلب مقتّل

وكانت حتّى مجرّد نظرة أو التفاتة من عين الحبيبة تكفي الشاعر ليصف حبيبته بأجمل الصور :

إذا التفتت نحوي تضـــوّع ريحـــها نسيم الصـبا جـــاءت بريّا القرنفل

ويقول امرؤ القيس أيضًا :

تصـــــدّ وتـــبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجـــــرة مطفل

كذلك في العصور اللاحقة، ظهرت العين في الشعر المشرقي .

قال جرير واصفًا العين وتأثيرها في المحبّ :

إنّ العيون التي في طـــرفها حـور قتلننا ثمّ لـــم يحـــيين قـــــتلانا

يصـرعن ذا اللب حتّى لا حراك به وهنّ أضعف خـــــلق الله أركانا

اتبعتهم مـقلة انســـانها غـــــرق هل ما تـــــرى تارك للعين إنســانا

وكان شعراء الغزل العفيف يكتفون بنظرة عجلى من عين الحبيبة . يقول جميل بن معمر:

وإنّي لأرْضَـــى مِـــنْ بثينةَ بالذي لو أبْصَـــره الواشـــي لقرَّت بَلابِلهُ

يلاً، وبألاّ أســـــــتطيع وبـالمُـنى وبالأمل المرجـــو قد خـــاب آمِلهْ

وبالنظرة العَجْـلى وبالحَول تَنْقضي أواخِـــرُه لا نـــــــلتقي وأوائـلُهْ

ولكن هذه النظرة كانت تختلف عند عمر بن أبي ربيعة حيث كانت النساء تسعينَ وراءه وتنظرن إليه :

قـــــالت لتُربٍ لها تحـــــــدّثـها لِتُفْسِـدَنّ الطوافَ فـــــي عُـمَرِ

قـــومي تصـــــدّي له ليـعرفـنا ثمّ اغمزيه يا أختُ في خَـــــفَرِ

قـالت لها قـد غـمزته فـــأبـــى ثمّ اســـبطرّت تسعى على أثـري

ويقول أبو نواس واصفًا ما فعله به الحبّ والحبيب :

يا ناقِصَ العهدِ والوصـــال، لـقـد أبدلْتَ عَـــيني بالـــدموع دَمـا

ويقول أيضًا في تأثير العيون على الإنسان :

يا مَـــنْ لـــه في عَينه عـــقربُ فـكلّ مَنْ مَـــرّ بـــها تَضْرب

ويقول الشاعر أيضًا واصفًا دموع جنان وقد رآها تبكي في أحد المآتم :

يبكي فـــيذري الدرّ مــن نرجـس ويـــلـطـــم الـــــورد بـــعناب

وقد استعار الدرّ للدمع والنرجس للعين والورد للخدّ والعنّاب لأطراف الأصابع .

وقد أدخل أبو نؤاس العين في شعره الخمريّ أيضًا :

أرســلــت من فم الإبريق صـــافية كأنّما أخـــــذها بالـعين إغـــفـاءُ

كما مزج بين وصف الخمر والجارية مستعينًا بالعين كذلك :

واشــرب سلافًا كعين الديك صافية من كفّ ساقية كالــريم حـــــوراء

ومع انتقال العرب إلى الأندلس، كان للعين نصيبها في الشعر الأندلسي. فكيف استعان الأندلسيّون بها لتحقيق أغراضهم الشعريّة ؟

**العين في الشعر الأندلسي :**

**أ ـ في الوصف :**

رأت عين الشعراء الأندلسيين جمال العمران في الأندلس فكتب قلمهم أجمل القصائد في وصف الحواضر الأندلسيّة مستعينين بالأفعال المتصلة بالعين أو بذكر العين مباشرة . يقول الشاعر البلّوي في وصف قرطبة :

وابـــرز في ذات الإله ووجـــهه ثمانين ألفًا مـــــن لُجين وعسـجد
وأنفقتها في مســـجد زانه التقـى وقـــــرّبه ديـــن النبي محـمـّد
تـرى الـــذهب الوهّاج بين سموكه يلوح كلمح البارق المتوقـــّد(١٢)

كما يصف ابن شخيص الزهراء بقوله :

ولمّا امتـــرى في جنّة الخلد بعضهم أقام الأبصـــــار الجـــميع مثالها
فللعين أنـوار وبســاتين حـــولها وللســمع تفجير المياه خـلالها(١٣)

كما يصفها الحسن بن حسّان قائلاً :

مجالس طالت في السماء وأشرقت  متى تبدُ للأبصار تقرب وتبعد(١٤)

ويصفها الشاعر ابن هذيل قائلاً :

قصور إذا قامت ترى كلّ قائم  على الأرض يستخذي لها ثمّ يخشع
ترى نورها من كلّ باب كأنّما  سنا الشمس من أبوابها يتقطّع(١٥)

ويصفها مؤمن بن سعيد بقوله :

مجالس يرضي العين إفراط حسنها  كأنّ حناياها حواجب خرّد(١٦)

وفي وصف غرناطة يقول ابن زمرك :

يا من يحنّ إلى نجد ونادیها  غرناطة قد ثوت نجدٌ بواديها
قف بالسبيكة وانظر بساحتها  عقيلةٌ والكثيب الفرد جاليها
لله لله عينًا من رأى سحرًا  تلك المنارة قد رقّت حواشيها
والصبح في الشرق قدلاحت بشائره  والشهب تستن سبقًا في مجاريها
تهوي إلى الغرب لما هالها سَحَرٌ  وغمض الفجرمن أجفان واسيها(١٧)

ويقول ابن حمديس الصقلّي واصفًا دارًا بناها المنصور:

قصر لو أنّك قد كحّلت بنوره  أعمى لعاد إلى المقام بصيرًا
أبصرته فرأيت أبدع منظر  ثمّ انثنيت بناظري مسحورًا (١٨)

عدا عن وصف المدن، كان الشعراء يصفون الحدائق والرياض والغلمان والنساء ... مستعينين طبعًا بالعين . قال الوزير الكاتب أبو عامر السالمي في غلام يرشّ الماء على خدّيه فتزداد حمرتها :

يرشّ بالماء خدّيه فقلت له  صف لي لما أحمر الياقوت تصقله
فقال : طرفي سقاك بصارمه  دماءَ قوم على خدّي فأغسله(١٩)

ويقول المتلمّس شعرًا على لسان غلامين جميلين جاءا يحتكمان لديه . فقال في وصف عينيهما :

وكحل عيني سحرٌ للنها وكذا والسحر أحسن ما يُعزى إلى الحدق
وفضل ما عيب في عينيّ من زَرَقٍ أنّ الأسنة قد تعزى إلى الزرق(٢٠)

وقال أبو الفضل بن حسداي :
وتوريد خدّك للأحداق لذاتٌ عليه من عنبر الأصداغ لا مات(٢١)

قال أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير الكاتب واصفًا الطبيعة :
أدِرها فالسماء بدت عروسًا مضمّخة الملابس بالغوالي
وخدّ الروض حَمّره أصيل وجفن النهر كُحّل بالظلال(٢٢)
وقد استعار الجفن، وهو جزء من العين، للنهر .

وقال أيضًا :
لله نهر عندما زرته عاين طرفي منه سحرًا حلال
إذ أصبح الطلّ به ليلةً وجال فيه الغصن شبه الخيال(٢٣)

كنّى الشاعر عن العين بكلمة (طرفي) بطريقة عابرة، إذ إنّها ترى سحر النهر دون أن يكون لها علاقة مباشرة به كما في الأبيات السابقة .

قال ابن عمّار، في وصف فتًى روميّ :
عنّا بكأسك قد كفتنا مقلةٌ حوراء قائمة بسكر المجلس(٢٤)

وقال فيه أيضًا :
وأحور في ظباء الروم عاطٍ بالفتية من دمعي فريد
قسا قلبًا وشنّ عليه درعًا فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا ونأى رضاه وقد يبكي من الطرب الجليد
وإن فتى تملكه برقّ وأحرز حُسنه لفتى سعيد(٢٥)

يقول الشاعر محبوب في وصفه ناعورة :

وذات حـــنين ما تغيض جـــفونها  من اللجج الخضر الصوافي على شطّ
وتبكي فتحـيي من دموع جـفونها  رياضًا تبدّت بالأزهـار فـي بسط
فمن أحـمر قـانٍ وأصفر فـــاقع  وأزهـــر مـــبيّض وأدكـن مُشمَطّ
كأنّ ظـروف الماء مـــن فوق متنها  لآلي جمانٍ قد نُظمت على قُرط(٢٦)

يقول يحيى بن هذيل واصفًا النبات :

كحّل الفجر لهم جـــفن الـــدجـــى  وغدا في وجـنة الصـبح لثاما(٢٧)

إستعار ابن هذيل الجفن للدجى، والجفن هو جزء من العين .

وفي موضع آخر يستعين أبو بكر محمّد بن طلحة الإشبيلي العين للسماء فيصف الروض قائلاً :

كم قد بكت عـين السـماء بدمـعها  عليها ولولا ذلك ما بسم الـزهر(٢٨)

وقال عبد الملك الجزيري واصفًا النرجس :

حـــدقُ الحسّان تُقرّ لي وتغـــارُ  وتضلّ في وصفي النهى وتحـــارُ
طلعت على قضي عـــيونُ تمائمي  مـثل العـيون تُحـقها الأشـفار (٢٩)

وفي وصف الروض يقول الرصافي :

يبتسم الـــروض حـــين يبكي  بـــأدمع مـــا رأيـــن بـاســـا
مـــن كـــلّ جـــفنٍ يسلّ سيفًا  صـــار لـــه عـقـدة رئاســـا(٣٠)

ويقول أيضًا في وصف صبيّ يبكي ويأخذ من ريقه ويبلّ عينيه كي يجفي آثار الدمع:

يبل مـــآقي مـــقلتيه بـــريقـــه  ليحكي البكا عمدًا كما ابتســـم الـزهر
يوهم أنّ الـــــدمع بـلّ جـفونه  وهل عُصِرت من النرجس الخمر(٣١)

يصف أبو بكر بن نصر الكاتب الزهر بقوله :

خضلٌ بريعان الربيع وقـــد غـدا  للعين وهو مـن النضارة منظرُ(٣٢)

لكن أبا عامر بن مسلمة يصفها بطريقة أخرى رائعة إذ يقول :

زهـــرٌ لها مُقلٌ جـــواحظُ تارة  تـرنو وتاراتٍ لهـا إغضـــاءُ(٣٣)

يقول الرمادي ( وكان أعمى ) واصفًا رحيل الأحبّة مستعينًا بالدمع، والدمع جزء لا يتجزّأ من العين :

لمّا تحـــرّكت الحمول تناثرت من  لكنّها اختلطت بشكل مَشكل (٣٤)

ويقول أيضًا :

لا تنكروا غـــزْرَ الدموع فكلّ ما  ينحلّ من جسمي يصير دموعا(٣٥)

يقول أبو عمر بن محمّد بن درّاج القسطلي واصفًا الأهوال التي لاقاها في إحدى رحلاته البحريّة :

إذا غيض مـاء البحـر منها مَدَدنه  بـــدمع عيون تمتريهنّ أشـــجانُ

يقلن وموج البحر والهمّ والـــدجى  تـــموج بنا فيها عـيون وآذانُ (٣٦)

قالت حمدونة بنت زياد وهي تصف وجه إحداهنّ :

أباح الـــدمع أســـراري بوادي  لـه للحســـن آثـــار بـوادي

فـمن نهر يطـــوف بـكلّ روضٍ  ومن روضٍ يـــرفّ بـكلّ وادي

ومـــن بين الظباء مـــهاة أنسٍ  وذاك الأمـر يمنـعـني رقـادي(٣٧)

قالت حفصة بنت الحاج تصف نفسها :

زائر قـــد أتـــى بـجيد الـغزال  مـــطلع تـحت جـــنحه للهلال

للهلال بلحاظٍ من سحر بابل صيغت  ورضـــاب يفـوق بنت الدوالي (٣٨)

نلاحظ ممّا سبق أنّ العين ذكرت أحيانًا بشكل عابر، وأحيانًا أخرى استعارها الشعراء لوصف الطبيعة (البحر، الزهر، السماء ...) وفي مواضع أخرى اهتمّوا بوصفها هي . كما ارتبط ذكرها بالدموع أو ذكرت الدموع دون الإشارة إلى العين بطريقة مباشرة .

**ب ـ في الغزل :**

العين هي العضو الأكثر ذكرًا في الغزل وسنلاحظ شبهًا كبيرًا بين الشعر المشرقيّ والشعر الأندلسيّ في هذا المجال، فالعيون في الحالتين تصيب بسهامها قلوب العاشقين وهي الداء والدواء في آنٍ معًا .

قال القاضي أبو حفص بن عمر القرطبي :

هم نظروا أبو حفص فهاموا وتشرب لُبّ شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها أيذعر قلبَ حامله الحسام
سما طرفي إليها وهو باكٍ وتحت الشمس ينسكب الغمامُ (٣٩)

وقال ابن زيدون :

ما للعيون بسهم الغنج تصمينا وعن قطاف جنى الأعطاف تخمينا(٤٠)

قال أيضًا :

كم نظرة لك عندي قد علمت بها يوم الزيارة أن القلب قد ذابا(٤١)

موضع آخر يذكر ابن زيدون دموع العين فيقول متغزّلاً بحبيبته:

أنت معنى الهوى وسرّ الدموع وسبيل الهوى وقضد الولوع (٤٢)

وعندما يلتقي ابن خفاجة بحبيبته تنسكب الدموع من عينيه كالسواقي، يقول :

لقد زار من أهوى على غير موعد فعاينت بدر التمّ ذاك التلاقيا
وعاتبته والعتب يحلو حديثه وقد بلغت روحي لديه التراقيا
فلمّا اجتمعنا قلت من فرحي به من الشعر بيتًا والدموع سواقيا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنّان كلّ الظنّ أن لا تلاقيا(٤٣)

ويقول أيضًا :

تعلقته نشـــوان من خـمر ريقه  له رشفها دوني ولـــي دونه السكر
تــرقرق ماء مقـــــلتاي ووجـهه  ويذكي على قلبي ووجنته الجمرُ(٤٤)

قال ابن شهيد في انسكاب دموعه بسبب الحبّ :

ولمّا فشـــا بالدمـــع ما بين وجدنا  إلى كاشـحينا ما القـــلوب كـــواتم
أمرنا بإمســـــــاك الدموع جفوننا  ليَشْـــجَى بما يطوي عـذولٌ ولائم
أبى دمعنا يجـــــري مخافة شامتٍ  فـــــنظّمه بين المحـــاجر نـــاظم
وراق الهـــــوى منا عيونٌ كريمةٌ  تبسَّمْنَ حتّى ما تـروق المباسـمُ(٤٥)

والعين كالخمر تُسكر الهائمين لذلك يقول أبو جعفر أحمد بن الأبار الإشبيلي:

زارني خيفة الرقيب مـــــــرُيبا  يتشـكّى منه القضـــــيب الـــكثيبا
رشـــــأٌ راشَ لـي ســـهامَ المنايا  من جـــفون يَسْبي بهـــنّ القـــلوبا
قال لي ما تـرى الـــــرقيبَ مـطلاً  قلتُ دَعْـــه أتى الجَـنَابَ الرحـيبا
عاطِـــهِ أكـــؤسَ المـــدام دِراكًا  وأدرها عـــــليه كـــوبًا فـــكوبا
واسقنيها من خـــمر عينيك صِرفًا  واجعل الكأس منك ثـغرًا شـنيبا(٤٦)

وقال الأسعد بن بليطة :

غُلامية جـاءت وقد جعل الدجـى  لخـــاتم فيها قصٌّ غـــالية خَـــطًّا
فقلت أُحاجيها بما في جفونها وما  في الشفاه اللُعس من حســنها المُعطى
مُحَيَّرةَ العينين مـــن غير سكرةٍ  متى شربْت ألحاظُ عينيكِ إسـفنطا(٤٧)

ويقول التجائي :

يا ســـــــــاحرَ الألحاظِ يا فتّاكها  فُتيا جواز الصـــدِّ مَـنْ أفتاكها (٤٨)

ويقول محمّد التطيلي الهذلي وهو من أعيان غرناطة :

جـــارت عليّ لواحـــــظ الآرام  لما رَمَتْ أجـــــفانها بســـــهام
حـــــكمت عليّ بحكمها فتبسّمت  فغدا الضـــــنى منها لدى أحـــكام

يا قاتلي عمدًا بسيف لحاظه  اغمد ظباهُ قبل وقع حِمامي(٤٩)

ويقول ابن أضحى :

يا ساكن القلب رفقًا كم تُقطّعه  الله في منزلٍ قد ظلّ مثواكا
يشيّد الناس للتحصين منزلهم  وأنت تهدمه بالعنف عيناكا(٥٠)

وممّا قاله أيضًا :

لو تعلمين بما ألقاه يا أملي  بايعتني الودّ تُصفيه يدًا بيدِ
عليك منّي سلام الله ما بقيتْ  آثار عينيك في قلبي وفي كبدي(٥١)

يقول ابن عبد ربّه :

يا ذا الذي خطّ العِذار بخدّه  خطّين هاجا لوعة وبلابلا
ما كنت أعلم أنّ لحظك صارمٌ  حتّى لبست بعارضيك حمائلا

ويقول أيضًا :

لجسم في بلد والروح في بلد  يا وحشة الروح بل يا غربة الجسد
أن تبك عيناك لي يا من كَلِفتُ به  من رحمةٍ فهما سهامك في كبدي(٥٢)

ويقول الرمادي من سجنه متوجّهًا بالكلام إلى حبيبته :

وقالت تظنّ الدهر يجمع بيننا  فقلت لها من لي بظنّ محقق
ولكنّني فيما زجرت بمقلتي  زجرت اجتماع الشمل بعد التفرّق
أباكية يومًا ولم يأنِ وقته  سينفدُ قبل اليوم دمعك فارفقي(٥٣)

ويقول أيضًا :

عزمتَ على قتلي بغير تحرّج  شجى بك حتّى نقتل الهائم الشجيّ
ولم يُبدِ سرّي فيك رأيي وإنّما  تبدّى فرارًا من حشىً متوهّج
نحولي ودمعي دبّجا وجنتيّ بما  رأت مقلتي من خدّك المتدبّج
بهارًا ودرّاً هبت الريح فوقه  بقرو فغطت وردة بالبنفسج(٥٤)

هذه الأبيات هي مناجاة للحبيبة أكثر منها غزلاً، لكنّه يقول واصفًا العين في موضع آخر:

ولم أرَ أحـــــلى مــن تبسّم أعين  غـداة النوى عن لؤلؤ كان كامنا(٥٥)

صورة أخرى مرتبطة طبعًا بالعين لابن عبد ربّه يذكر فيها اللؤلؤ وهي :

حـــــوراء داعبها الهوى في أحور  حـكمت لـــــواحظها على المقدور
نظـــرت إليّ بمقـلتي أدمـــــــانةٍ  وتلقتتْ بســـــوالف اليـــــــعفور
فكأنما غاص الأســـــى بجـــفونها  حـــــتّى أتـــــاك بلـؤلـؤ منثور(٥٦)

وكأنّ الشاعر هنا يرسم لنا صورة صائد اللؤلؤ (الأسى) الذي يغوص بين جفونها ليستخرج لؤلؤًا منثورًا هو دموعها .

ويقول القسطلّي في الغزل :

فتكات لحـــــظك أم ســـيوف أبيك  وكؤوس جـمر أم مـــراشـــف فيك

كما يقول ابن هاني :

عـــيناك أم مغناك مـــــــوعدنا وفي  وادي الكـــرى نلقـاك أم واديك(٥٧)

وكان للشاعرات في الأندلس أيضًا أقوال في الغزل وممّا قالته حمدونة بنت زياد :

ولمّا أبـــى الواشـــون إلاّ فراقنا  وما لـــــهم عندي وعندك مـــــــن ثار
وشنّوا على أســـماعنا كلّ غارة  وقـلّ حـــماتي عند ذاك وأنصـــــاري
غزوتهم مـــــن مقلتيك وأدمعي  ومن نفسي بالسيف والسيل والنار(٥٨)

تقول مهجة القرطبيّة :

فذاك تحـــميه القواضـــــب والقنا  وهذا حماه من لـواحظها السحر(٥٩)

ومن الغزل الرقيق الناعم قولٌ لأمّ الهناء :

جاء الكتاب من الحبيب بإنّه  سيزورني فاستعبرت أجفاني
غلب السرور عليّ حتّى إنّه  من عظم فرط مسرّتي أبكاني
يا عينُ صار الدمع عندك عادة  تبكين في فرح وفي أحزان
فاستقبلي بالبشر يوم لقائه  ودعي الدمع لليلة الهجران(٦٠)

وكتبت حفصة بنت الحاج لامرأة استوقفتها وطلبت منها أن تكتب لها شيئًا بخطّها :

يا ربّة الحسن بل يا ربّة الكرم  غضّي جفونك عمّا خطّه قلمي
تصقحيه بلحظ الودّ منعمة  لا تحفلي بردىء الخطّ والكلم(٦١)

وتقول هذه الشاعرة في غيرتها على الحبيب :

أغار عليك من عيني رقيبي  ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أنّي وضعتك في عيوني  إلى يوم القيامة ما كفاني(٦٢)

وفي الغزل أيضًا، ارتبط الدمع بالعيون، وقد وصفها الشعراء إمّا وصفًا عاديًا وإمّا بطريقة جديدة مميّزة . والعين في الغزل شديدة التأثير على القلب المحبّ؛ فهي كالسهام تجرح قلبه أو كالخمر تسكره وحتّى إنّها أحيانًا كالسيف قاتلة .

ونلاحظ أنّ هذه الصور تتكرّر دائمًا لدى كلّ الشعراء وفي كلّ العصور، ونادرًا ما نعثر على صور جديدة لم يسبق لأحد أن قالها .

وهناك نوعٌ آخر من الغزل اشتهر في الأندلس وهو غزل الغلمان. كثيرًا ما نعثر على هذا النوع من الغزل في الشعر المشرقي خصوصاً عند أبي نواس . وممّا قاله الشعراء الأندلسيّون في هذا الموضوع :

ألفتُ الحربَ حتّى علّمتني  مقارعة الحوادث والخطوب
ولم أكن عالمًا وأبيك حربًا  بغير لواحظ الرشئ الربيب
فها أنا بين تلك وهذي  مصابٌ من عدوّ أو حبيب(٦٣)

هذا القول هو لأبي جعفر بن طلحة الوزير الكاتب في غلام لابن هود .

وقال الرمادي في وصفه أحد الغلمان :

تأمّلت عينيه فخامرني السكر ولا شكّ في أنّ العيون هي الخمر(٦٤)

**ج - في المدح :**

ذكرت العين في المدح بأشكال عدّة ففي قصيدة لابن خفاجة يمدح فيها أبا يحيى بن ابراهيم نقتطف تلك الأبيات :

ركب الدجى أحسن به من مركب وطوى السرى أحسن به من ساري
وأناخ حيث دموع عيني منهل يروي، وحيث حشاي موقد نار
والليل قد نضح الندى سرباله فانهلّ دمع الطلّ فوق صدار
من كلّ مسود تلهّب طرفه ترميك فحمته بشعلة نار(٦٥)

ويقول أيضًا :

رحلت عنكم ولي فؤاد تنقض أضلاعه حنينا
أجود فيكم بعلق دمع كنت به قبلكم ضنينا
يثور في وجنتيّ جيشًا وكان في جفنه كمينا
كأنّني بعدكم شمالٌ قد فارقت منكم يمينا(٦٦)

وقال ابن الزقاق الأندلسي في أبي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أوّلها :

يا شمس خدر مالها مَغربُ رامةُ خِدرك أم يثرب
ذهبت فاستعير طرفي دمًا مفضّض الدمع به مذهب(٦٧)

ويقول ابن عبد ربّه مادحًا ابراهيم بن الحاج :

كتاب الشوق يطويه الفؤاد ومن فيض الدموع له مداد
تخطّ يد البكاء به سطورًا على كبدي ويُمليها السهاد(٦٨)

ويقول في قصيدة أخرى :

ما فـرح الناس مثل فـرحـتهم  لمّا أقـيلَ الأديب واستوزر
وابتهـج الملك حـين دبـّره  عـين الإمام التي بها يُبصـر(٦٩)

وافتتح ابن عبد ربّه عهد عبد الناصر بقوله له يوم البيعة :

يا مـن عـليه رداء البأس والجـود  من جود كفك يجري الماء في العود
لمّا تطـلّعت يـوم الخـميس لـنا  والناس حـولك في عيد بلا عـيد
وبادرت نحـوك الأبصار واكتحلت  بحسن يوسف في محراب داوود(٧٠)

ومدحت حفصة بنت حمدون الحجازيّة أحد العظماء بقولها :

له خـلقٌ كالخمر بعـد امتزاجـها  وحسنٌ فما أحلاه من حـين خلقته
بوجهٍ كـمثل الشمس يدعو ببشره  عيونًا ويعشيها بإفـراط هيبته(٧١)

إنّه مدح باطني إذ يظهر أنّ الشاعرة كانت تكنّ لممدوحها شعورًا خاصّاً وعاطفة جعلتها ترى في وجهه شمسًا تجذب العيون، وفي نفسه خلقًا يفعل الخمر في الرؤوس . أمّا في الأبيات الباقية فنرى أنّ صورة الدموع تطغى، وعندما تذكر العين فإنّها تبكي على فراق الممدوح أو ترتاح لرؤيته أو تصبح هي الممدوح نفسه "عين الإمام التي بها يبصر" .

**د ـ في الرثاء :**

كيف ذكرت العين في الرثاء ؟ هذا ما ستظهره الأبيات التالية :

ففي قصيدة لابن خفاجة يرثي فيها الوزير أبا محمّد بن ربيعة إثر وفاة جملة من إخوانه يقول:

وكيف يفيض الدمع أو يبرد الحشا  وقـد باد أقـران وفات شـباب
أقلّب طـرفي لا أرى غـير ليلة  وقـد حـطّ عن وجـه الصباح نقاب
كأنّي وقد طـار الصباح حمامة  يمدّ جـناحيه عـليّ غـراب(٧٢)

قال أبو الربيع يرثي والده حين أمر المستنصر الموحّدي بضربه وصلبه :

جـــهلاً لمثلك أن يبكي لمـــا قُدرا  وأن يقول أســـى يا ليته قـــبرا
فاضـــت دموعك أن قاموا بأعظمه  وقـــد تطاير منه اللحـــم وانتثرا(٧٣)

يقول ابن شهيد راثيًا أبا جعفر بن اللمائي : (د: ص١٨٦)

فـقيل : مـــات فقال الليل : قاربَ ذا  فانهلّ مـــن مقلتي نوءٌ سِـــماكيُّ
وبتّ فـــردًا أناجي مقلتي شـــغفًا  كأنّني فـــي نقوب الـــدار جنيّ

ويرثي حسان بن مالك بن أبي عبدة الوزير فيقول :

أفي كـــلّ عـــام مصرع لعـظيم  أصـــاب المنايا حـــادثي وقديمي
وكيف اهتداني في الخطوب إذا دَجَت  وقد فقدت عيناي ضوء نجوم(٧٤)

وتقول الشاعرة حفصة راثية أبا جعفر الوزير :

ولولـــم يكن نجمًا لما كان ناظـــري  وقـــد غبت عنه مـظلمًا بعد نوره
ســـلامٌ على تلك المحاسن من شجّ  تناءت بنعماه وطـــيب ســـروره

وتقول أيضًا :

ســـلوا البارق الخـفاق والليل ساكن  أظلّ بأحـــبابي يذكـــرني وهنا
لـــعمري لقد أهـدى لقلبي خـــفقة  وأمطـرني منهل عارضه الجفنا (٧٥)

واشتهر في الأندلس رثاء من نوع آخر وهو رثاء المدن، فقد التفت الشعراء إلى معالم تلك المدن بعد دمارها فرأوا كيف آلت إليه وكيف انقضت معاهد صبوتهم فيها فندبوها بمراثيهم، وكان للعين دورها في هذا المجال . فمن خلال دموعه رثى الوزير أبو عامر بن شهيد معالم قرطبة واصفًا حالة أهلها بقوله :

فلمثل قرطـــبة يقلّ بكـــاء مـــن  يبكي بعـــين دمـــعها متفجّر(٧٦)

وقيل أيضًا في رثاء قرطبة :

اِبك عـلى قـرطبة الـعـزين فقد دهـتها نظـرة العين
أنظـرها الـدهر بأسـلافه ثمّ تقاضـى جـملة الدين(٧٧)

أمّا في رثاء الزهراء فقد قال أحد الشعراء :

وقـفت بالزهـراء مستعبرًا معتبرًا أندب أشتاتا
فقلت يا زهـرا ألا فارجـعي قالت : وهـل يرجـع من ماتا
فـلم أزل أبكي وأبـكي بهـا هـيهاتٍ يغني الدموع هـيهاتا
كـأنما آثار من قـد مضـى نـوادبٌ يـندبـن أمـواتا

وقال أحدهم في رثاء ساحة كبيرة تقع شرقي غرناطة :

وإن إفـراط بـكائـي لم يـرُغ مـني عـريكة
قـد أذاب العـين لـما زاد شـوقـي للسـبيكة (٧٨)

في الرثاء يرتبط الدمع حكمًا بالعين فالشاعر يرثي الشخص أو المدين وعبراته تسيل على خدّيه من الحزن والألم،كيف لا، وتلك العين التي اعتادت على رؤية الشخص المفقود تفتقده اليوم وتحنّ إلى مرآه . والعين التي طالما تمتّعت بجمال المدن ورونقها تنظر اليوم بأسى إلى الدمار والخراب .

**هـ - في الفنون الأدبيّة الأخرى :**

ظهرت العين في موضوعات شعريّة أخرى واحتلّت الأهميّة نفسها . ففي الحكمة مثلاً يقول الفقيه الزاهر أبو عمران موسى بن عمران المارتلي مستعينًا بالدموع لإيصال فكرته :

لا تبكِ ثـوبك إن أبـليت جـدته ابكِ الذي أبلت الأيّام من بدنـك(٧٩)

وقال أبو الصلت أميّة بن عبد العزيز :

ذو مـقـلة تسـتبين ما رمقت عن صائب اللحظ صادق الخبر(٨٠)

ويقول الغزّال :

يُعـــرف عقل المرء فـــي أربـــع  مشـــيته أولـــــها والحـــــرَكْ
ونـــور عـــــــينيه وألفاظـــــه  بعـــــدُ عـليهنّ يـدور الفلكْ(٨١)

كما نقرأ شعر ابن عبد ربّه الزهد وندب الحياة فيقول :

ألا إنّما الـــــــدنيا غضـــارة أيكـةٍ  إذا اخضـــرّ منها جانبٌ جفّ جـانبُ
هي الـــــدارُ ما الآمال إلاّ فـجائع  عـــــليها واللذات إلاّ مصـــائب
وكم ســـــخنت بالأمس عين قريرةٌ  وقرّت عـيون دمعها اليوم ســاكب
فلا تكتحـلْ عـــيناكَ فـيها بعـَبرةٍ  على ذاهـبٍ منها فإنّك ذاهـبُ (٨٢)

وفي الشعر الخمري أيضًا، نعثر على أبيات فيها ذكر للعين كقول الشريف الطليق :

خـــفيت للعـــين حـــــتى خـلتها  تتقي مـــــن لحـــظه ما يُتقـى(٨٣)

ويقول يحيى الغزال في وصفه المغامرات في الحانات :

قـــليل هجـــــوع العـــين إلاّ تَعِلّة  على وَجَلٍ منّي ومـن نظـرائي(٨٤)

كما نعثر على ذكر للعين في موضوعات أخرى . يقول مثلاً ابراهيم بن أبي يغمور حين خرج الناس لوداعه :

عليكم ســـــــــلام الله إنّي راحـلٌ  وعيناي من خـــــوف التفرّق تدمع
فإن نحن عشـــــــنا فهو يجمع بيننا  وإن نحـــن متنا فالقيامة تجـمع(٨٥)

يقول الرمادي في سجنه ومن ضمن شعره الوجداني :

أعـيني إن كانت لدمـعي فضـلةٌ
تثبّت صـــــدري ســـــاعةً فـتدفقي
فلو ساعدت قالت أمن عُدّة الأسى
تنفت دموعي أم من البحر تستقي(٨٦)

ويقول عبد الرحمن الداخل في قصيدة نظمها في الحنين إلى وطنه :

قـــــدّر البين بيننا فافترقـنا  وطوى البين عن جفوني غمضي(٨٧)

ويقول ابن عبد ربّه في العاذل :

أيا مـن أن يعـدو حـريق تنفســي  وإلاّ غــريقًا في الــدموع السواجم
فهذا حــمام الأيك يبكي هــــديله  بــكائي فليفرغ للـوم الحــــمائم

ويقول أيضًا :

غدًا يرحـــلون فيا يوم رســـلكَ  كـــن بالظـــلام بطيء اللحاق
ويا دمــع عيني ســُدّ الطـــريق  وأفرغ عـــليهم نجـيع المآقي(٨٨)

وفي قصيدة للشلبيّة كتبتها إلى السلطان يعقوب المنصور تشكو فيها ظلم الوالي واستبداده تقول :

قـــد آن أن تبكـي العـــيون الآبية  ولقد أرى أنّ الحـــجارة باكـية(٨٩)

ونختم بقول للوزير أبي جعفر يذكر فيه العين :

لا تعيّن لـــنا مـــكانًا ولـــكن  حـــيثما مالت اللواحـظ ملـنا(٩٠)

وتمرّ لحظة من أمامنا نُتّخذ بسحرها، ودائمًا هناك لحظة في حياتنا .

هي لحظة إحساس، هي لحظة عبادة أو جنون، لحظة انتظار تقلب المقاييس وتحرّك السكون ...

يمرّ من أمامنا طيفٌ أم خيالٌ نشعر به ثمّ نراه فنلتمسه .

نرى اللحظة ا لتي تقودنا إلى متاهات الأفق الواسعة .

نرى شيئًا فتدور ببالنا أشياء، يقود هذا إلى الشيء المشاهد، إلى أماكن ومجالس وظروف ربّما قد عشناها، وربّما تذكّرنا بأشخاص مرّوا في الخيال وعاشوا في الوجدان يومًا من الأيّام ...

فتكون اللحظة الناظرة عندها محرّك الشاشة السينمائيّة التي سيبدأ فيها الفيلم، فيلم الذكريات والمشاهدات ...

نعم، حاسّة النظر مهمّة، هذا ما تحدّثت عنه سابقًا وهو ما يعرف بالمنبّه أو Stimulus باللغة الفرنسيّة، هذا الذي يوقظ اللاوعي عند كلّ شخصٍ ليجعله يتذكّر، فتتهيّأ عندها الذاكرة بشكل عفويّ وتلقائيّ mémoire spontannée .

هكذا تكثر مَهَمّات الحواس، نظرة واحدة تنقلنا إلى عالم قد عشناه، تذكّرنا بالذي مضى وفات أو تجعلنا نأمل بغد ما نراه ...
والشعر الأندلسيّ كان حافلاً بالتعابير الجميلة التي تناولت العيون بما فيها من حاسّة نظر، ورؤية وتغزّل وبكاء وأنين وغنج وسهدٍ إلخ...

يقول عبد الله بن الخليفة القرطبي، الطبيب المعروف بالمصري:
الحبّ داءٌ دواؤه القبلُ والرسل بين الأحبّة المُقلُ(٩١)

كانت عند حفصة حبيبة أبي جعفر بن سُعيد، غيرةٌ تلازمها وكأنّها قرينتها، والقرينة هي التي تفسد الأحلام وتزعج الحالمين .

واندفاع حفصة نحو الحبّ وخوفها على حبيبها من كلّ شيء حتّى من نفسه ومن زمانه ومكانه جعلا الغيرة بالنسبة إليها تشبه الأنانية . ففي هذا الموضوع تقول :
أغار عليكَ من عيني رقيبي ومنكَ ومن زمانكَ والمكان
ولو أنّي وضعتُكَ في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني (٩٢)

## ١. في الرؤية الحسّيّة :

الأبيات الشعريّة التي نلحظ فيها رؤية حسّيّة أدرجت بعضها على الشكل الآتي :

كانت حفصة بنت حمدون الحجازيّة امرأة جريئة في التعبير عن الإحساس، إحساس امرأة تحبّ ...

إنّها المرّة الأولى التي نسمع فيها المرأة الأندلسيّة تبوح بحبّها وتجاهر به، إنّها أيضًا المرّة الأولى التي نسمع فيها شاعرة أندلسيّة تقول الغزل :

لـي حـــبيبٌ لا يـــثني لعـــتابِ وإذا مـــــا تـــركته زادنـيـــها

قال لي : هـــل رأيتِ لي مـــن شبيهٍ
قلتُ أيضًا : وهـل ترى لي شبيها(٩٣)

الرؤية الحسّيّة واضحة في كلمة "رأيتِ لي" وكلمة "وهل ترى لي ..."

ومن نظم الطرطوشي قوله في رسالة :

(الطرطوشي بضمّ الطاء نسبة إلى طُرطوشة من بلاد الأندلس)

أقلّب طـَرفي في الســماء تردّدا لعلّي أرى النجـــم الذي أنتَ تنظُرُ
وأستعرض الركبان من كلّ وجهةٍ لعلّي بمن قد شـــمّ عرفك أظـفر
وأستقبل الأرواح عـند هـبوبها لعلّ نســـيمَ الريح عـــنكَ يُخبَر
وأمشـي ومالي في الطريق مآرب عسى نغمةٌ باســم الحبيب سَتَذكرُ
وألمحُ من ألقاه مـن غير حـاجةٍ عسى لمحةٌ من نور وجهكَ تُسفِرُ(٩٤)

هذا هو العاشق، ينظر إلى السماء كي يرى النجم الذي يراه حبيبه، كما يذهب ويمشي في الشوارع دون أهداف، فقط ليشمّ عطرًا يشبه عطره أم يستقبل روحًا تحمل معها نسيمًا يخبر عنه أو نغمة تبشّر بذكراه ...

من الأبيات الطريفة التي تحمل شيئًا من الفكاهة في الشعر قول ابن زهد حيث شاخ وغلب عليه الشيب .

( أبو بكر محمّد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر)، يقول :

إني نظرتُ إلى المـــرآة قد جُليتْ  فأنكرتْ مـــقلتاي كـلّ مـــا رأتا
رأيتُ فيها شُويخًا لستُ أعـــرفه  وكنتُ أعـــهده مـــن قبل ذاك فتًى
فقلت : أين الذي بالأمس كان هنا؟  متى ترحّل عـــن هذا المكان؟ متى؟
فاستضحكتْ ثمّ قالت وهي مُعجَبه  إنّ الـــذي أنـكرتْه مـــقلتاكِ أتى
كانت سُليمى تنادي يا أخيّ وقـــد  صارت سليمى تنادي اليومَ يا أبتا(٩٥)

يقول سليمان بن بطال المتلمّس :
وأرى خـــلال الليل مَبسـمَ بارقٍ  كالزنـــد يُقدَح أو ضِرام العِـــرفج
وكـــأنّ محـبوبي تبسّـــــم فوقه  ليزيد بالإيماض في شجو الشجي(٩٦)

يقول يوسف بن هارون :
الشُكرُ عـــندي للحبيب الهـاجـرِ  بـــل جـــلّ شُكري للخيال الزائر
فكأنّه يخـــشى العـــيون نـــهارَه  فيزورني تحـت الظلام السائر(٩٧)

تأتي كلمة عيون هنا لتحلّ مكانا " فكأنّه يخشى أن ينظر إليه الناس في النهار" . قال عبد الملك بن إدريس :
أنظـــر إلى الكاســـين : كاس المها  والـــراح في راحـــة ســـاقيها
تنظـــر إلى نارِ ســـنا نـــورها  يحـــــملها، والماء يَحـــــويها
كأنّها نارُ الهـــوى فـــي الحشا  يُلهـبـــها الـــدمـــع ويُذكيـها(٩٨)

قال أحمد بن فرج :
كلّمتني فـــقلتُ درّ ســـــقيط  فتأمّلت عـقدها هـــــل تناثرَه
فـــازدَهاها تبســـــم فأرتني  عِقد درّ مـــــن التبسّم آخره(٩٩)

وعندما أصيبت قرطبة بكثير من المصائب والخرائب أثناء الفتنة، قال أبو عامر بن شهيد هذه الأبيات وربّما كانت منسوبة خطأ إليه، وهي ربّما لشاعر عاش بعد أبي عامر بكثير :
فلمثل قـــرطبة يقلّ بـــكاءُ مَن  يبكي بعـــين دمـــعها متفجّرُ
والجـــامعُ الأعلى يعُضّ بكلّ مَن  يتلو ويسـمع مـا يشـــاء وينظرُ

أيّام كـانت عـــــينُ كـــلّ كرامة  مـن كلّ ناحـــية إليها تنظرُ (١٠٠)

قال الأعمى التطيلي يهنّئ ابن الخضرمي ببعض الأعياد :

أعِدْ نظرةً في صـــفحتي ذلك الخدّ  فإنّي أخـــاف الياسمينَ على الوردِ
وخُـــذ لها دمـعي وعـــــللهما به  فإنّ دموعي لا تُعيدُ ولا تُبدي(١٠١)

يقول الأمير المنصور بن عمّ أمير المسلمين أبو الحسن من ملوك المغرب :

لو اطّـلعت على قلبي رأيت بـه  من لحظِ عينيكِ أومن ثغركِ الأثرا(١٠٢)

يقول الفقيه القاضي الخطيب الحاج عبد الرحمن، وهو آخذ من اللغة بأذكى نصيب . ينظُم من الشعر الأبيات الحسنة ويتكلّم في الفقه ببراعة :

وذي شنبٍ متى أنظُـــر بطرْفـــي  إليه اســـتلّ مـــن لحـــــظ دُبابا
تبسّم عـــن عـــــقيق فـــوق دُرّ  فخِلتُ الخـــمرَ قد حـــملت حبابا
أذوب إذا بـــــــدا شـــوقًا إليه  ولـــو زارتـــه أنفاســـي كـــذابا
فإن أزرى بـــــه شـــيطانُ واشٍ  أحلّتُ عليه من حُرمتي شـــهابا(١٠٣)

يقول ابن عبد ربّه ( أبو عمر أحمد بن محمّد بن عبد ربّه، ولد في قرطبة، بها تعلّم وتثقّف، له فصولٌ في النثر وفي الشعر كالرثاء والغزل ...)

يا لؤلؤًا يســـبي العـــــقول أنيقا  ورشًـــا بتقطيع العـــــقول رفيقا
ما أن رأيتُ، ولا ســـــمعتُ بمثلِهِ  درّاً يعودُ، من الحـــــياءِ عـقيقا
وإذا نظرتَ إلى محاســـــن وجهه  أبصرتَ وجهكَ في سناه غريقا(١٠٤)

ومن قصيدة مشهورة لابن عبد ربّه أيضًا، رثى فيها ابنه الأوسط إذ قال :

أنظرُ حولي لا أرى غـــــيرَ قبرِهِ  كأنّ جميعَ الأرض عندي له قبر(١٠٥)

ويذكر ابن سناء الملك :

وذلّ صـــبري وعـــــزّ لقـــياكِ إن منعوا العـــينَ حُســـــــنَ مراكِ
ففـــــــي الوســـــــــن ألقاكِ
نسيتُ اسمي في حبّ أسماءِ
ومن دموعي احترقتُ بالمـاءِ

## ٢. في الرؤية العقليّة والوجدانيّة :

ما نفع العيون إن لم يكن وراءها عقلٌ محلل مدقق . وبكلمة واحدة ناظرٌ بالفعل ... تكون العيون عندها آلة، وهو الإنسان محرّكها.

العقل هو الذي يكشف عن مكنونات الأشياء،هي رؤية الوجود والأيّام، رؤية الحقيقة، رؤية المفاهيم، رؤية القيم، رؤية اللحظة الناظرة حيث العقل والروح هما المعنى الكامن في هذه النظرة...

يقول حســـــام الدولة، أبو مروان بن عبد الملك بن رزين، إذ كان مطـــاردًا، يتنقل من أسرٍ إلى أسرٍ متحسّسًا دربَ هواه بين سهام تترصّده، عليلاً يعلل نفســه بشمّ وضمّ، فربّ لقاءٍ يعيد إليه نفسه المشرّدة :

أتـــــرى الزمان يســـــرّنا بتلاقٍ ويضـــمُّ مشـــتاقًا إلى مشـــــتاق
وتعضّ تفاح النهـــودِ وشـــــفاهنا فلطـــالما شُـــــرّدنَ بالأحـــــداق
ويعـــــــيدُ أنفســـنا إلى أجســادنا فلطـالما شَـــرَدتْ على الآفاق(١٠٧)

لفظة " أترى " هنا، لا تعني الرؤية الحسّيّة التي يُرادُ بها المشاهدة .

وإنّما هنا تحمل طابعًا وجدانيًا عقليًا، تحمل تساؤلاً عن الزمان وعن الدهر الذي يظلم الإنسان في بعض الأحيان إلاّ أنّ هذا الأخير يظلّ في حالة ترقب للحظة سرور ولقيا .

قال بعض الحكماء :

العـــينُ بـــابُ القـــــلب فـــما في القـــلب ظـــــهَرَ فـــي العـــين

قال الحاجب جعفر المصحفي :

العينُ تبدي الذي في نفس صاحبها  مـــن المحبّة أو بغـــضٍ إذا كانا
فالعينُ تنطقُ والأفـــواهُ صـامتةٌ  حتّى ترى من ضمير القلب تبيانا(١٠٨)

قال أحمد بن درّاج :

يا من رأى الجودَ يغشى نعشَه شغفًا  بالهمّ مرتديًا بالحزن مُلتحفا(١٠٩)

"رأى" في هذا البيت بعيدة عن معنى المشاهدة والنظر، إنّما تعني أو يراد بها كلمة "وَجَدَ"

يقول عبد الرحمن بن المنذر في حديثه عن الطلّ :

ألستَ ترى حُسـنَ الزمان وما يُبدي  وحُسنَ انتشار الطلّ في وَرَق الوَردِ
كأنَ حـــــُباب الماء فـــي جنباته  تناثر دمع جالَ في صفحة الخدّ(١١٠)

قال ابن شهيد في رسالة إلى المؤتمن :

وقد كان أقلّ حقوق مولاي، أن أقف ببابه ... ولكنّني ممنوع وعن إرادتي مقموع، يملكني سلطانٌ قديرٌ وأمير ليس كمثله أمير ... وهو العشق لعجوز تدعى قرطبة :

عجـــــوزٌ لعمرُ الصـــــبا فانية  لها في الحشـــا صـــــورة الغانيه
زَنَت بالرجـــال عـــلى ســـنّها  فيا حـــبّذا هـــي مـــــن زانيه
تريكَ العـــقول عـــلى ضَـــعفها  تُـدارُ كـــما دارت الســـانيَه(١١١)

قال الأعمى التطيلي :

مُدِحْتَ، فـــطورًا قيل كالمطر الحيا  نوالاً، وطورًا قيل كالأســـــدِ الوَردِ
كأنْ لـــم يـروا تلك المواهب كالمنى  ولا شهدوا تلك الخلائق كالشهدِ(١١٢)

ويضيف قائلاً أيضًا :

أما والهوى وَهـــوَ إحـــدى المِلَلْ  لقد طـــال قدّك حـــــتّى اعـــتدل
وأشـــــرق وجـــــهكَ للعاذلات  حـــتّى رأتْ كيف يُعصى العـــذل

أرى الحـــــــبّ أوّله شـــــهدة  تســـلط أو غـــرّة تُهـــــتبَل
وآخـــــــــره ســـــقمٌ مُدنِفٌ  هـو المـــوت أو هو منه بَدَل(١١٣)

قال الأعمى التطيلي يمدح القاضي أبا الحسن على بن القاسم بن عنترة :

لا تغـــتدِرْ بعـــيونٍ ينظرون بها  فإنما هـــي أحـداقٌ وأجـــفانُ
كم مقلةٍ ذهـــبتْ في الغيّ مذهبها  بنظـرة هـــي شـانٌ أوّلـها شـان
فانظـــر بعقلك إنّ العـين كاذبة  واسـمع بحسّك إنّ السـمع خـوّان
ولا تقل كلّ ذي عـــينٍ له نظـرٌ  إنّ الرعاة ترى ما لا يرى الضانُ(١١٤)

وهنا يدعو الأعمى بشكلٍ واضح وصريح إلى الرؤية وحسن التعقل والتفكير، كما يدعو إلى عدم الأخذ بمظهر الأشياء إنّما ينبغي الأخذ بما عليه الإحساس والإدراك .

يقول الششتري :

عـــدَ عـــن الوهم والخـــيال  واســـتعمل الفكر والنظـــرْ
ما النـــاس إلا كـــما الخـــيال  فانظـــر إلى ماسِكِ الصـــورْ
مـــن يعتبر ويجـد اعـــتباره  ويشـــهد الحقّ في الشـــهودْ
مثل ـ هُديتَ ـ الوجـــود ســتاره  وانظرْ لمـــن أطلعَ الوجـــودْ
بـــــدا له قـــبل أن أداره  وأول الســـعد في الصعـــودْ
من يـــرق من سـافلٍ لعـــال  يعاينُ العينَ فـــي الأثـــرْ
ما الناسُ إلا كـــما الخـــيال  فانظُرْ إلى ماسكِ الصـــورْ(١١٥)

### ٣. في التغزّل في العيون :

من لا يتغزّل بطيف العيون الجميلة المارّة من أمامه يكون كمن وشّح وجهه بغشاء وبستار مانعًا بذلك سحر الجمال ورونق الحقيقة الكامنة أمامه من أن يبرزا له سرّ الوجود وعطر الكينونة ...

والشعر الأندلسي كان حافلاً بالكلام الذي يفوح عطرًا بما يحويه من عبارات وصفت العيون وتغزّلت بها .

مثال لذلك ما قاله ابن هذيل :

وجـــــهٌ أغـــرّ كأنّه بدرُ الدجى  فعليه مـــن نور الســـُعدُدِ كمالُ
تتزاحمُ اللحظات فـــي إشـــراقه  فكأنّه فـوق العـــيون هـلالُ(١١٦)

كما يقول عبّاس بن ناصح :

قُلْ لعبد الرحـــيم رفـــقًا بعبدكْ  لا تمِـــــتْ قـلبَه بلوعةِ صدّكْ
بزمام الهوى وبالســـحر من عينيكَ  والورد من شـقائق خـــدّكْ(١١٧)

قال محمّد بن هشام أيضًا :

وندامـــى كأنّهم أنجـــمُ الليل  ترامتْ بالشـــــهبِ فـــي الآفاق
نورُها لاحـــظٌ بأعـــين حـــورٍ  ساحرات الجـفون والآماق (١١٨)

يقول أبو الصلت أميّة بن عبد العزيز بن أبي الصلت الإشبيلي :

لا تسألني عـــن ضـــيع جفونها  يومَ الوداع وســـــلْ بذلك من نجا
لـــــو كنتُ أملِكُ خـــدّها للثّمتُهُ  حتّى أُعيد به الشـــقيق بنفسجا
أو كنتُ أهجعُ لاحـــتضنتُ خيالها  ومنعتُ ضوءَ الصبح أن يتبلّجا(١١٩)

نعم، إنّ الجفون تصنع المعجزات في من يراها، شرط أن يراها من أحبّها ومن عشقها ومن تاه في سحر صدقها وبريقها ...

قال الأعمى التطيلي :

ذو غرّة قمريّة يرنو بألحاظ شاهين  لما رأى الحسنُ زيّه إليه على الحين
خـــلعتُ عـــزّي وديـــني في أهـــيفِ القـــدّ لـــدنه
يســـطو بســـيف المـــنون ما جـــفنه غـــير جـــفنهُ
يا قســـوة الحـــبّ لـــيني ولـــو برمّـــان غُصـــنه(١٢٠)

وقال أيضًا :

ما لي وما لـــلأعـــين النُجـــل  أجـمعنَ عـــُدوانًا على قتلي(١٢١)

العينان النجلاوان هي الواسعة الجميلة التي تملأ الناظر إليها اشتياقًا وشغفًا للحظة رؤيتها .

ويضيف الأعمى التطيلي أيضًا :

ومكحـــولةٍ بالســـحر ترنو بمقلةٍ يودّالدجى لوناب فيهاعن الكحل(١٢٢)

قال اسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي الأندلسي :

ســـــهرتُ فيمـــــن جـــفنه نائمُ وذبتُ فـــــيمن جســـــمه ناعمُ
ظـــبيٌ ظـبا عـــــينيه فـــــعّالة بالقلب ما لا يـــــفعل الصـــــارمُ
يســـــتلّ مـن مقلته صـــــارمًا للصـــبر مـــــني إبدًا صـــــارمُ
ينشـــــا عـــن عينيه ســكرُ الهوى فكلّنا مـــــن ثملٍ هـــــائمُ (١٢٣)

يقول أمير المؤمنين المستنصر بالله المنصور، بفضل الله محمّد بن أبي بكر بن اسحق بن ابراهيم بن موسى بن ابراهيم بن أبي حفصة ( دولتهم متشعّبة من دولة الموحّدين ).

سَكِرتُ ولم أعلمْ أمِن خـمرةِ الهوى عراني هذا الســكرُ أم خـمرة اللّما
عـــلقتُ كحـــيلَ المقلتين مُهَفـــهفًا رخـــيمًا يلينُ الصـــخرُ مهما تكلّما
تراه ضحًى في القصر شمساً منيرة وعند الدجـــى تلقاه بدرًا متمّما(١٢٤)

العشق والهيام يجعلان الإنسان لا يرى ولا يتحسّس إلا الرونق الكامن في الشخص المعشوق، العاشق يعرّي حبيبه من كلّ الصفات السيّئة وذلك ليس بقصدٍ منه، إنّما يتمّ ذلك بشكلٍ تلقائيّ عفويّ . في الحبّ كلّ شيء جميل، لا عيبَ ولا حرمان، كلّ شيء مباح ومسموح، مع الحبّ، ينتفي المحظور وتغيب الإساءة كما يقول أندريه جيد André Gide في كتابه: « La symphonie Pastorale»

Le mal n'est jamais dans l'amour .

وهنا الشاعر جعل الصخر يلين عندما يتكلّم حبيبه، كما جعل الحبيب شمسًا منيرة وبدرا .

هذا هو الحبّ الذي يصنع المعجزات . أيليّنُ الصخرَ فعلاً، أم هل تشرقُ الشمس داخلَ القصر ؟ ترى في أيّ درجة كان هذا الحبّ !!!

يقول القاضي أبو القاسم بن أبي العافية :

حـــوراء مقلتها ســـــوادُ مدادِها  والسحرُ في مُقَلِ العيون السودِ(١٢٥)

ويقول أيضًا الفقيه الكاتب أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنان الأنصاري الخزرجي :

إذا ما تراءى البدرُ يومًا ووجـــــهه  تحيّرت الأبصـــارُ أيّهما البدرُ (١٢٦)

ويقول الفقيه عبد الغفار بن موسى البوخلفي :

وشـــادن مثل وجـــــه البدر غُرّته  ســـبى فـــؤادي فما أبقى ولا تركا
جسمي له دارة والقلبُ مـــــركزه  فحـــيثما دار كانت مُهجـــتي فلكا
له لحـــــاظٌ تصـيدُ العاشقين ولـــمْ  تَخـــَفْ عِقابًا بما صـادَت ولا دَركا
وثغره كومـيض البرق تبصـــــره  يلوح مـــن شـــفتيه كلّما ضـــحكا
أهوى رضاه وأهـــــوى أن يعذّبني  فمسلكي في هواهُ حيثما سلَكا (١٢٧)

قال ابن شرف :

بي كحيلْ  لكن دونَ تكحيلْ  يندي بخدّيهِ وردا
يبتهجْ  زَهوًا من فتونه
فالمهجْ  تشكو من جفونه
ذو سبجْ  من فوق جبينه
الصقيلْ  من النور إكليل  ويبدي لو بدا (١٢٨)

لقد وردَ في أحد الموشّحات :

أهـــوى قمرًا سهامه عـــــيناه  باللحظ يصـيب قلب العشـــــاق
ولا ســـــببا
يـــــهوى تلفي ومهجـــــتي تهواه  ذا أمرٍ عجـيبٍ عاشـــق مشـتاق
فانظـــر عجـبا

أقســـمتُ إليه بالـــذي ســـــواه حاضـــر ومجـــيب قيوم خـــلاق
قـــد احـــتجبا
لم أعشـق غـــيره ولـــم أســـلاه لوعشـــتُ غـريب في وادي عراق
بين الغـربا(١٢٩)

**٤ . في البكاء والدموع :**

" أيّ دمعة حزن لا
أيّ جرح في قلبي لا
حتّى نار الغيرة لا ... "

هذا ما يقوله عبد الحليم حافظ في أغنية له . وهل الدموع فقط رمز حزنٍ وأسىً ... ؟

هي دمعة تنهمر في بعض الأحيان، حاملة بين نداها عِبرةً لا عَبرةً، حاملة رسالة شعور، ربّما هو الفرح أو العشق أو الألم أو ربّما الحزن ...

فالدمعة ليست سوى نتيجة شعور صادق يخفق في كياننا وفي داخلنا المخضّب، بأحاسيس الظروف والأوقات التي نعيشها، هذه التي تتحكّم هي بدورها بمجمل ما يخالجنا من عواطف ومشاعر ...

أمّ الهناء هي بنت القاضي أبي محمّد عبد الحقّ بن عطيّة الشاعر الذي توفي سنة ٥٤١ هـ.

هو غزلٌ رقيقٌ ناعمٌ، عفيفٌ، حالمٌ ببراءة العذارى، تقوله هذه المرأة :

جـاء الكتاب مـــن الحـــبيب بأنّه ســيزورني فاســتعبرتْ أجـــفاني
غلب السـرور عـــليّ حـــتّى إنّه مـن عظم فـــرط مسـرّتي أبكاني
يا عينُ صـارَ الدمعُ عـــندك عـادةً تبكين في فـــرح وفي أحـــزان
فاسـتقبلي بالبشـــر يـــوم لقائه ودعـي الدمـوع لليلة الهجـران(١٣٠)

يقول ابن الحدّاد، هو أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن الحدّاد، كما ذكره ابن سعيد وابن بسّام من وادي آش لكنّه استوطن "المريّة" أكثر عمره :

يا غـــائبًا خَـطَراتُ القلبِ مَحضَرُهُ  الصـــبرُ بعـــدكَ شيءٌ لستُ أقدرُهُ
تـــركتَ قـلبي وأشـــواقي تُفطّرُهُ  ودمعُ عيني وأحـــداقي تُحـــدّرهُ
لو كنتَ تبصـرُ في تدمير حـــالتنا  إذن لأشفقتَ ممّا كـــنتَ تبصـــرُهُ
فالعـــينُ دونـكَ لا تحـــلى بلذّاتها  والدهر بعـــدك لا يصـــفو تُكدّرُهُ
أُخفي اشتياقي وما أطويه من أسفٍ  عـن البريّةِ والأنفاسُ تُطـــهرُهُ(١٣١)

لا يقوى على الصبر، فقلبه تذيبه الأشواق وعيناه تحرقهما الدموع، دون الحبيب لا يلذّ العيش ولا يصفو الدهر، أنفاسه تفضحه فيكشف ما يضمره وما يطويه من اشتياق وأسف . إنّها زفرات ملتاع يشكو ويتحرّق بالوجد ويتشوّق إلى الوصل، والحبيبة لا ترحم وهذا ما يقودنا إلى اعتبار حبّ ابن الحدّاد حبّاً من جانب واحد .

ونتوقف عند أبيات "السميسر" على أطلال الزهراء بعد خرابها :

وقـــفتُ بالـــزهـــراء مســـتعبرًا  معـــــتبرًا أنـــــدُبُ أشـــتاتا
فـقلتُ يا زهـــــرا ألا فارجـــعي  قالت : وهـــل يرجـــــع مـن ماتا
فـــلم أزل أبـــكي وأبـــكي بها  هـــيهات يُغنّي الدمـــع هـيهاتا
كأنّما آثار مـــن قـــد مضـــى  نـــوادب يندبنَ أمـــواتا (١٣٢)

يقول محمّد بن عبد الله بن العربي العامري، أبو بكر :

أنتني تـــؤنّبني بالبـــكا  فأهـــــلاً بـــها وبتأنيبها
تقول وفـــي نفســـها حسـرةٌ  أتبكي بعين تـــراني بـــها
فقلتُ : إذا اســتحسنتْ غـــيركم  أمـرتُ جـــفوني بتعذيبها (١٣٣)

يقول المستنصر الحفصي :

ما لي عليك ســوى الدمـــوع معينُ  إن كنت تعذرُ في الهـوى وتخـونُ
مـَن مُنجدي غيرُ الدمـــوع وإنّها  لمُغـــيثة مهما استـــغاث حـزينُ

الله يعـــــــلمُ أنّ ما حـــــمّلتني  صعبٌ ولكنْ في رضاكَ يهونُ(١٣٤)

قال محمّد بن عبد العزيز :

لمّا رأت عزمي بكت فـــــتوردّتْ  بيضُ الدموع بخـــــدّها المتورّدِ
تنهلّ وهـــــي لآلئ وتـــــعود في  تـــوريد خـدّيها كلون العَسجَدِ(١٣٥)

قال علي بن أبي الحسين :

حـــليتُها بدمـــوع لـــــو تُبَرّدُها  بوصـــلها لغَدَت في جـــيدها سُمُطا
تبيانُ وجدٍ غـدًا ســـقمي صحيفته  ودمعُ عـيني على ألفاظه نُقطا(١٣٦)

يقول الأعمى التطيلي :

ولي مقلة أفضـــــت بها لحـظاتها  إلى عَـــــبَراتٍ جَـمّةٍ وكرىً نَزْرِ
وكان حـــرامًا أن تجـــــود بدمعةٍ  وقد تركتْها الحـادثاتُ بلا شَفر(١٣٧)

ويضيف الأعمى أيضًا :

فعندما رحـــــلا  فاضت بدمع ساجم  أجفانُ
أطلعنَ متي على  سرّي وهل للهائم  كتمانُ (١٣٨)

ويتابع الضرير أيضًا في مسيرته البكائيّة الأليمة، فيقول :

النومُ بعـــــدكمُ عـــــليّ مُحرّمُ  مَـــــن ذا ينامُ وقـــــلبه يتضـــرّمُ
أجـــــديتُم دمـــــعي دمًا لفراقكم  ظُـــــلمًا وقـــلتم ما له لا يـــكتمُ
فبحـــــقكم من ذا يعاينُ أدمـــــعي  تنهلّ إلا قـــال هـــــذا مُـــــغرَمُ
عاقبتموني فـــــي الهـــوى بذنوبكم  لقد استطلتم إذ قدَرتم فارحـموا(١٣٩)

يقول الأستاذ النحوي المقرئ اللغوي علي بن محمّد بن عمر الصنهاجي :

ففي كبدي للحزن نارٌ تأجّجت ومن مقلتي للدمع سكبٌ على سكب(١٤٠)

قال ابن عربي :

عـــــندما لاحَ لعـــــــيني المتكا ذُبتُ شـــــــوقا للذي كان مـــــعي

أيَها البيتُ العـــتيقُ المشرفُ

جاءك العبدُ الضعيفُ المُسرفُ

عينه بالدمـع شـــــوقا تُذ رفُ

غـــربةٌ مـــــــنه وســـكرٌ فالبكا ليس محـمودًا إذا لـــــم ينفع (١٤١)

## ٥ . في فتور العين ومرضها وغنجها :

قال أحمد بن عبد ربّه :

وكأنّما تـــرنو بعـــين غـــــــزالةٍ فـقدت بأعـلى الربوتين غـــزالها

بيضاءُ تُســـــــتَرُ بالحجال ووجهها كالشمس يســـتُرُ بالضياء حجالها

كما قال ابن هذيل :

كأنّ عـيونهنّ عـــــيونُ عـــــــينٍ فواترُ قـــــد ســـــكرنَ بغير راح

يموتُ العذلُ في أهـــل التصـابي بهنّ، فما لأهـــل العشـــــق لاح

ويضيف علي بن أبي الحسين :

وأرسلتَ نـــحوي من جفونكَ مُرهَفًا أرَقّ من الشكوى وأخفى من الحدْس

كأنّ غِـرارَيه، وإن كـــان فـــلّها فتورًا، حـــــمامٌ لا يـــكبّتُ بالنفس

أدير لحـــــاظ العـــين فيك فأنثني وقلبي في حـــزنٍ وعيني في عُرس

قال صاعد بن الحسن :

فردّت أعـــين الرقباء حـــــيَرى بالحـــاظ كالحـــاظ المـــروع

ولم يكُ فيّ إذ رحلوا ســـــوى أنْ أغـــازلهم بأطـــراف الدمـــوع

قال أيضًا ابن عبد ربّه :

مظـــــلومةٌ باللحـــــظ وجـنتها وجـــفونها جُـبلت علـــى الظـلم

وكـــأنّ عـــــــينيه تضـــــمّنتا ما في فـؤادكَ مـــن جوى السـقم

وقال يوسف بن هارون :

وأحور وسنان الجفون كأنما به سقمٌ في لحظة غيرُ موجع
كأنّ بعينيه خضوعًا ومَن رُمى بألحاظه تلك الخواضع يخضع

وأختم هذا الفصل مع عليّ بن أبي الحسين في قوله :

عانقتُهُ فرأيتُ منه شمائلاً حُسنُ القضيب لحُسنها مستعبَدُ
ولثمته فحسبتُ ريقة ثغره ضربًا ومُزنًا وهي نارٌ توقدُ *

**٦ . في العيون الساهدة :**

يقال إنّ من يسهد ومن لا يعرف النوم في الليل، هو الجانع أو الخائف أو هو الذي يشعر بالبرد ...

ولكن أين هي مكانة العاشق !؟...

أو أين هو مكان الإنسان الذي يقلقه الهمّ ويؤلمه المرض !!!

عيون ساهرة، تبحث عمّا يريحها ويجعلها تطبق جفونها لترقد بسلام ...

لماذا هي ساهدة ؟ هذا ما سأحاول تبيانه من خلال ما ورد في الشعر الأندلسي:

قال مروان بن عبد الرحمن :

تجافت جفون عيني سُهدًا حين عُلمْنَ من جفاكَ الجفاءَ
وكأنّ الجفون ترقبُ وعدًا بالتلاقي فلا تروم إلتقاءَ(١٤٢)

يقول عبد الرحمن الناصر أمير المؤمنين :

وأنتم جعلتم مهجتي مسكن الجوى وأنتم جعلتم مقلتي مسكن السهدِ(١٤٣)

* الأبيات كلها من كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تأليف الشيخ أبي عبد الله محمّد بن الكتاب الطيّب، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص١٣٤ ـ ١٣٥ ـ ١٣٦ ـ ١٣٩ .

نرى الوزير "ابن وانسوس" يستسلم للحبّ الذي سهّده وأذله وحيّره. مع الحبّ تنزل الكبرياء عن عرشها الملكيّ ويطرى عود العنفوان :

يقول الوزير :

الحـــبّ عـــلّم مقلتي أن تســـــهدا وقـضى علـيّ بأن أذلّ وأصـــبُرا
يا مُشـــبه القمرين مالك معـــرضا عـتي وإنّـي لا أزالُ محـيّرا (١٤٤)

يقول ابن نباتة :

قـــــد بـــــراه الله مـــن علَق ما عســـى في حســـنه أصـــفُ
كـــيف للصـــبّ الكـــئيب بقا والـكرى عـــن جـــفنه أبـــقا
هل يطيق الصبر من عشقا
شـــادئا يـــرمي مـــن الحـــدق أســـــهمًا قلبي لها هـــدَفُ (١٤٥)

من خلال الشعر الأندلسي نستخلص أنّ العيون كانت ساهدة بسبب العشق . هذا الذي يفتح الآفاق والأنفاس على الحياة، بنبضة هيام تُكتشَف الأسرار والوجود .... وتظهر مكامن السحر والرونق فيه !

وللعين حصّة كبيرة عند بعض الشعراء فينقلون مشاهداتهم وآلام قلبهم الظاهرة في العين من خلال الدمع المتدفق، ومن هؤلاء الشعراء، نذكر :

ابن القزّاز :

نفى الحـــبّ عـــن مقلتيّ الكرى كما قـد نـفـى عـن يديّ العَدَمْ(١٤٦)

ابن درّاج :

ولو شـــاهدني، والهواجـــرُ تلتظي عـليّ ورقراقُ السـراب يَـــمورُ ؟
وللمـوت في عـــين الجـبان تلوّنٌ وللذعر في سمع الجريء صـــفيرُ
رأوَا طـاعة الرحمن كيف اعتزازها وآيات صـــنع الله كيف تـــنيرُ

يقولون والأوجال تُخرسُ ألسنًا وحارت عيونٌ منهم وصدورُ(١٤٧)

ابن عمّار :

أندى على الأكباد من قطر الندى وألذّ في الأجفان من سنة الكرى
ملكٌ يروقك خَلقه أو خِلقه كالروض يحسنُ منظرًا أو مختبرا

ابن اللبّانة :

تبكي السماء بمُزنِ رائحٍ غادِ على البهاليل من أبناء عبّاد
كم سال في الماء من دمع وكم حملت تلك القطائع من قَطْعات أكبادِ

أبو البقاء الرندي :

تبكي الحنيفة البيضاء من أسفٍ كما بكى لفراق الإلف هيمانُ
حتّى المحاريب تبكي وهي جامدة حتّى المنابر ترثي وهي عيدانُ
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم عليهم من ثياب الذلّ ألوانُ
ولو رأيتَ بكاهم عند بيعهم لهَالكَ الأمر واستهوتكَ أحزانُ
يقودها العِلجُ عند السبي مُكرهةً والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ

ابن عبد ربّه :

فكم سخّنتْ بالأمس عينًا قريرةً وقرّتْ عيونًا دمعها اليوم ساكبُ
فلا تكتحلْ عيناك منها بعبرةٍ على ذاهبٍ منها، فإنّك ذاهبُ

وقال ايضاً :

بأبي مَن زَهَا عليّ بوجهٍ كادَ يَدمى لمّا نظرتُ إليهِ
ناول الكأس واستمال بلحظٍ فسقتني عيناهُ قبل يديه

الشنتريني :

ومهفهفٍ أبصرتُ في أطواقه قمرًا بآفاق المحاسن يُشرقُ

الرخّاء :

يبلّ مآقـــي زهرتيه بـــــريقه ويحكي البُكا عَمدًا كما ابتســم الزهرُ
ويوهِمُ أنّ الدمع بـــلّ جـــفونه وهل عُصرتْ يومًا من النرجس الخمرُ؟

ابن الحدّاد :

وكـــــم أبكي عـــليكِ دمًـــا ولا تَـــــرْثينَ للباكـــــــي
فهـــل تَـــدرينَ ما تَقضـــي عـلى عـــــينيّ عـــــيناكِ؟
وعـــــيناكِ المُـنَـبِّـئَـتَا كِ أني بـــــعضُ قـــــتلاكِ

ابن خفاجة :

وغَازَلَـنا جـــفنٌ هـناك كنرجسٍ ومُبتســـمٌ كالأقحـــوان شـنيبُ
وغـــدتْ تحفّ به الغصـــون كأنّها هـُدبٌ يحـــفّ بمقـلةٍ زرقـــاءُ

ابن زمرك :

وأريتنا الكســـــبَ الذي أعـداده ملأت جـــــمالاً أعـــين النظّار
خُـــلِط البياضُ بصـُفرةٍ في كونه فترى اللُجَين يشـــوبُ دَوْب نُضار

بعض الأندلسيين :

ورأوا حَصى الياقوتِ دونَ نُحورهم فتقلّدوا شـــــهبَ النجـــوم عُقودا
لم يَكْفهم حَـــــدُّ الأســـنّةِ والظبي حتّى اســـــتعاروا أعـيُنًا وخدودا

وللبصر أهمّيّة أيضًا في المطوّلات من الشعر والشعراء أكثروا من استخدامهم لهذه المفردة أو لمشتقّاتها لعدم قدرتهم على أن يتوقفوا عن إخبارنا بما رأوا أو شاهدوا، ومن هؤلاء الشعراء نذكر :

ابن هاني :

إيوان مَـــــلَكٍ لـــو رأته فارسٌ ذُعِـرَتْ وخَـــــرَّ لِسَمْكِهِ إيوانُها
سجَدَتْ إلى النيران أعـصُرَها ولو بَصُـــرَتْ به سَـجَدَتْ له نيرانها
أوَ ما ترى الدنيا وجـــامعَ حُسْنِها صُـــغرى لديه وهي يعظُمُ شـانها
لـــولا الذي فُتِنَتْ به لاسْـتَعْبَرَت ثكلى، تَقُضُّ ضـــلوعَها أشـجانها
عـــــلياءُ موفيّةٌ على عـــليانه في حَـــــيْثُ أسلمَ مقلةٌ إنســانُها
فـأدرْ لِحـــاظكَ واكتحل بمناظرٍ غَشَـى فِـرَندَ لُجَـيْنِها عِـــقيانها
لِتَرى فـــنونَ الســـحرِ أمثلةً وما يُدري الجَـــهولَ لعَـلّها أعـيانها

وقال ايضاً :

تـرى الماء منها وهـــو قانٍ عَبابُهُ كما باشرَتْ رَدْعَ الخَـلوق جـــُلودُ
تـرى كلّ قـــوداءِ التليلِ كما انثَنَتْ سَوالِفُ غِـــــيدٌ للمَها وقُـــــدودُ

وقال ايضاً :

من حـيث يُقتَبسُ النهارُ لمُبصـــرٍ فتُشَـــقُّ عـــــن مَكْـــنونها الأنباءُ
فـــتيقظوا مـــن غَـــفْلةٍ وتنبّهوا ما بالصبَاح عـــــن العيون خـَفاءُ
ليســـت ســـماءُ الله ما تَرأونها لكنَّ أرضُـــا تحـــتويه ســـماءُ
أمّا كـواكِبُها لـــه فخـــواضعٌ تُخـفي السـجودَ ويَظـهرُ الإيماءُ
والشمسُ ترجعُ عن سَـناه جفونُها فكـأنّها مَطـروفـــةٌ مـَرهاءُ

وقال ايضاً :

هـــذا الذي تُجدي شـــفاعته غدًا حـــقّاً وتُخـــمد أن تـــراه النارُ

وقال ايضاً :

قـــد قاد أمـــرهم وقلّد ثـــغرهم مـــنهم مـــهينٌ لا يـــكادُ يبينُ
ورمى إلى البلد الأمـــين بطَـــرفه مَلَكٌ علـى ســـرّ الإلـــه أمـــينُ

وقال ايضاً :

تنبّأ المـــتنبّي فـــيكمُ عُصـــرًا ولو رأى رأيكم فـــي شـــعره كَفَرا
تهنُمْ عـــلينا بمـــرآه وعَـــلْكم لـــم تُدركوا مـــنه لا عينًا ولا أثرا

أريتموني مـــــــثالاً مـــن روايتكم كالأعجميّ أتـــى لا يُفصِـــحُ الخبرا
أصمّ أعـــــمى ولكنّي سَـــهرتُ له حتّى رددتُ إليه السـمعَ والبصـــرا
كانت معـــانيه ليلاً فامتعضـــتُ له حـــتّى إذا ما بهرنَ الشمسَ والقـمرا
فـــــلو رأى ما دهاني مـــن كتابكم وما دهـــى شـــعره منكم لما شَـعُرا
أعـــرتموني نفيســـًا منه فـــي أدَمٍ فمن لكم أن تُعـاروا البَحْثَ والنظرا

ابن زيدون :

مَـــنْ مُبْلغُ الملبســـينا بانتزاحِـــهُمُ حُـــزْنًا مـــع الدهر لا يَبْلى ويُبلينا
أنّ الـــزمان الذي ما زال يُضـــحكنا أنسًـــا بقُربهَم قـــد عـــاد يُبكينا
ما حقّنا أن تُقرّوا عَـــينَ ذي حَسَـدٍ بنا ولا أن تســـرّوا كـاشحًـا فينا
كنّا نرى اليأس تُسلينا عـــوارضُه وقـــد يَئِســـنا فما لليأس يُغرينا ؟
يئْتُم ويئْنا فـــما ابتلّت جـــوانِحُنا شـــوقًا إليكم ولا جـقـت مـآقينا
فهل أرى الدهرَ يَقضـينا مُسَـاعَفَةً منه وإن لـم يَكُـنْ غـيّاً تقاضـينا
كأنّنا لـــم نَبِتْ والوصـــلُ ثالِثُنا والسّعدُ قد غَضَّ من أجفانِ واشـينا
أوْلي وفاءً وإن لـــم تبذُلي صـــلةً فالطـيفُ يُقـنعنا والذّكـرُ يَـكفينا

وقال ايضاً :

يـومٌ كأيّام لذّاتٍ لنا انصـــرَمَتْ بـِثْـنا لها حـــينَ نام الدهر سـرّاقا
نلهو بما يستَميل العينَ من زَهَـر جالَ الـندى فيه حـــتّى مـــال أعناقا
كأنّ أعـــيُنَه إذ عـــاينت أرقي بَـكَتْ لما بي فجَال الدمعُ رَقـــرَاقا
وردٌ تألّق فـــي ضاحي منابتِه فازدادَ منه الضُّحى في العين إشراقا
ســـرى ينافِحُـه نَيْلوفرٌ عَـــيقٌ وَسْـــنَانُ نَبّه مِنه الصـــبحُ أحـدَاقا

وقال ايضاً :

ويا ربّ ملهًى بالعقيق ومجلس لدى ترعة ترنو بأحـــداق نرجس
من يسأل الناس عن حالي فشاهدها مَحْضُ العيان الذي يُغني عن الخبر
لم تطو بُرْدَ شـــبابي كَبْرَةٌ وأرى بَرْقَ المشيبِ اعتلى في عارض الشعر
مَن فيه للمُجْـــتلي والمُبْتلي نسقًا جَـــمالَ مَرْأى عليه سرْوُ مختبر
كم اشتَرَى يكَرى عـينيه من سهرٍ هُـــدُوءُ عَين الهُدى في ذلك السَّهر
وبائنٍ مـــن ثَناءٍ حُـسْـــنُه مثلٌ وشيُ المحاسن منه معـــلمُ الطُّرَر

يُستودَعُ الصُّحْفَ لا تَخْفى نَوَافِحُه ... إلاّ خفاءَ نسيم المسك في الصُّـــرر
إنّ السيادة بالإغْضـــاء لابســـةٌ ... بهاءها وبهاءُ الحســـن في الخَفَر

وقال ايضاً :

وعُدنا إلى القصر الذي هو كُعْبَة ... يُغاديه منّا ناظـــرٌ أو مطـــرَفُ
فإنْ نحن طالعناه والأفـــق لابسٌ ... عَجَاجَتَه والأرضُ بالخيل تَرجُـــفُ
رأيناكَ في أعلى المُصلّى كأنّما ... تَطلّع من مَحْـــرابِ داودَ يُوسُـفُ

وقال ايضاً :

وأنّ التقـــى قـــد آذَنَتْنا بفُرقةٍ ... وأنّ الهُدى قـــد بان منكِ قودَعا
لِرُزْئِكِ تنهلّ الدمـــوعُ قـــمثله ... إذا حَـــلّ وَدّ القلب لو كانَ مَدمَعا
لقد أجهشَ الإخلاصُ بالأمس باكيًا ... عليكِ كما حَـــنَّ اليَقينُ فَرَجَـــعا
لتَبكِ الأيَـامَى واليَـــتامى فـــقيدةً ... هي المُزْنُ أحـــيا صَوْبُه ثم أقْشَعا
إذا ماهي اســـتَوْفت في البرّ غايةً ... تأتت لأخـــرى لا تَرَى تلك مَقنعا
يَغيظُ العِتاقَ الجُرْدَ ألاّ تَـــرى لها ... مَجالاً فتَّعنو في المَرَايط خُـــشعا
ولَكنْ عَرَرْتَ المَلكَ من حيثُ لا يَرَى ... فلم يستَطعْ للحادث الحَتْم مَدْ قـــعا
تمنّت وفاةً في حـــياتِكَ بعـــــدما ... حَشَدْتَ لها الآمالَ مرأى ومَسْمَـعَا

المعتمد بن عبّاد :

شـــجونٌ مَنَعْنَ الجـــفونَ الكَرى ... وعَـــوَّضَها أدمـــــعًا تَـنْزُفُ

وقال ايضاً :

بكينا دمًا حـــتّى كأنّ عـــيوننا ... يجري الدموع الحمرُ منها جراحاتُ

وقال ايضاً :

فما لي لا أبكي أم القلب صـــخرةٌ؟ وكم صخرةٍ في الأرض يجري بها نهرُ
بكت واحـــدًا لم يُشْجِها غـــيرُ فقده ... وأبـــــكي لألاف عـــديدهم كُثُر
غدرتُ إذًا إن ضنّ جـــفني بقطـرة ... وإن لؤمت نفسي فصاحِبُها الصـــبرُ
فقل للنجـــوم الزهر تبكيها مـــعي ... لمثلهما فلتحـــزن الأنجـــم الزهرُ

وقال ايضاً :

غـــريبٌ بأرض المَغربيْن أســـيرُ  سيبكي عـــــليه مِنبَرٌ وســـــريرُ

وقال ايضاً :

ترى بناتك في الأطـــمار جـــائعة  يغزلنَ للناس لا يـملكنَ قطـــــميرا
برزنَ نـحـوكَ للتـسـليم خاشـعةً  أبصـــارهنّ حسـيراتٍ مـكاسـيرا

وقال ايضاً :

بكيتُ إلى سربِ القطا إذ مررنَ بي  سوراحَ لا ســجنٌ يعـــوق ولا كَبْلُ
ألااسرحْ فلا شملٌ صريعٌ ولاالحشا  وجـــــيعٌ ولا عـــينان يُبكيهما ثُكلُ

وبعض الملمّين بالشعر يحبّون نظم القصائد واهدائها إلى الحكام والرؤساء، لم يخلُ شعرهم من المشاهدة والنظر، نأخذ منهم مثالاً :

الصالح أبو جعفر بن علي الكلاعي المعروف بابن الزيات :

فانظر بعقلكَ هـل ترى مـــن كائنٍ  إلاّ ويُفصـــح بالهـــوى إفصـــاحا
وارجع إلىَ النظر الصحيح ولا تدع  ســـــرّ العناية لا يـــفيد فـــلا حا
ولقد دعـــاكَ إليه مصـــطفىَ الهوى  وأراك مـــــن ســـبحاته مصباحا

الخطيب أبو الحسن علي بن عمر القيحاطي الكناني :

أرى أرجـــلَ الأرزاء تشتدّ نحونا  وأيديها تســـــــعى إلينا فـــــتمتدّ
تلينُ له الصـــمَ الطـــلابُ وتنهمي  عـــيونٌ ويبكي عنده الحجر الصـــلد
فـــــــلا مـــقلةٌ تدنو ولا أذُنٌ تعي  ولا راحـــةٌ تعـــطو ولا قدم تعـــدو

وقال ايضاً :

ودجى الشبابِ قد اســتبانَ صباحُه  وظـــــلامُه قـــــد لاحَ فـــيه نَهارُه
فـــتراه يدفـــــع إن تَمَكّن جاهُهُ  وتُـــــرَاهُ يَقْعُ إن عَـــــلا مِقدارهُ

أبو عمرو محمّد بن يحيى بن عباد ا لنفزي :

يا للـــرجال الا حـــبِّ يســـاعدني  فـي ذا الغـــرام فأبـــكيه ويبـــكيني

فكم أكفكفُ دمـــعي بعـــدهم وأرى  مجـــدّدًا نارَ يأسي وهـي تبليني
أهمي المدامـع كـي أدوَى فتُعطِشُني  وألـــزمُ الذكر للسلوى فيُشجـيني
وكـلّ مَن لمحت عـيني أســـائلـه  منهم فيغري بـهم قـــلبي ويغـريني

أبو القاسم محمّد بن أحمد الكلبي :

غضضت الطرف عـن نظـــرٍ إليها  محافـظةً عـلـــى عـلمي وديـــني

أحمد بن علي القتوري أبو جعفر :

وبقيتُ أرقبُ بـــرق يُمن بلوغـــه  وقـــفوله عـــميت عـــليّ شتونه
ولـئن صدرت ولا صـدرت فإن لي  قلبًا يـرى صـــور الكـــمال يـقينه
ويريـــك ســـرّ النكر منـــك بأتـني  صافي الـوداد والاعـــتقاد رصينه
وهـو المؤمّـل أن يرى بـــك واحدًا  لحـــقوقه والـــدهـر لـيس يـمينه

أبو علي عمر بن علي بن أحمد القرشي :

فـما شِـــئتَه فـــيه تجـــدْه كـأنّه  لنـاظـره تَجُـرّ طمَـى وجـواهـــرُ
وأبديـــتَ فـيه سِحْرَ لفظكَ رائقـا  تـلـدّ بـه الأجفانُ وهـي ســـواهِرُ
ومتعتُ طـرفي فيه لا زلـــتَ باقيا  ونجاكَ ربّـي يـــومَ تُـبلى السرائِـرُ

أبو الطاهر محمّد بن أحمد بن صفوان القيسي :

رأيتك يـــدنيني إليك تباعـــــدي  فأبعدت نفسي وابتغائي مـن القرب
فكان به سمعي كما بصـــــري بـه  وكان به لا بي لسـاني مـــع القلبِ

أبو عبد الله الحاج البلشي :

عـــينايَ تفهم مـــن عينيك أسرارًا  وورد خـــدّيك يذكي في الحشا نارا
ملكتَ قـــلبَ محـــبٍّ فيكِ مكتئبٍ  قد أثر الدمـع فـــي خـــدّيه آثارا

أبو يزيد بن خالد الونالشي :

همْ غُيَّبٌ بالحسن عن بصـري وهمْ  معي بالمعاني فـي الجـنان شـهودُ
يلوحـــون لي ســـرًّا فتلمح مهجتي  مـــن أسـرارهم واللحظُ منه بعيدُ

فيشقى بهم لحظي وتسعد مهجتي فمن جلتي شاقٍ بهم وسعيد
هم أسهروا جفني لنفيهم الكرى فما للكرى المنفيّ بعد وجود
وفي الحبّ من أنفاس نفسي صعدوا دموعًا شكت من حرّهنّ خدودُ

وقال ايضاً :

تخالُ الصبّ حين تراه حيّاً لدى التذكار وهو هناك فان
زمانُ الصبّ مرّ ولا جوابٌ يُرى منكم على مرّ الزمان
من الدنيا وصالكم المنى لو يُرى يومًا لوصلكم تدانى
متى يبدون أرضكمُ بريقٌ لعينيه فيسعدُ بالعيان

علي بن أحمد أبو الحسن الأحيمر :

أرى لكَ في الهوى نظرًا مريبًا كأنّ عليك عاذلاً أو رقيبا
يُريني كلّ ما تهواه نفسي قبيحًا مالئًا عيني عيوبا
إذا ما كنت تبكي فقدَ حبٍّ مما مثل الشباب ترى حبيبا

وقال ايضاً :

علمتْ لي الخلقَ الجميلَ محققًا وشيءٌ فيّ على عمًى أقوالها
ولربّما عرضتْ لعيني نظرةٌ يرضى الحكيمُ غرامها وخبالها
عرضت كما مرّتْ لعينك مطفل ترعى بناظرها الكحيل غزالها
ما نهنهتْ نفسي وإن ظمئت لها عبراتها يومَ الوداع ومالها
لمياءُ تبرزُ للعيون كشاطرٍ والعقلُ يوجبُ حكمة إجلالها

أبو عبد الله محمّد بن جعفر الأسلمي البلياتي :

سباني من بين المغاني عقيقُها ومن بينه انفضّت بعيني عقيقها
وسالتْ بآمالي إليها قبابُها فأشرقني بالدمع منها شروقُها
ومن دون واديها ظباءٌ خواذلٌ حكى لحظها ماضي السفار رقيقها
غريبٌ كئيبٌ مستهامٌ متيّمٌ جريحُ الجفون الساهراتِ غريقها
فهلْ عَطفةٌ ترجى وهل أملٌ يُرى لعودة أيّام تغضّى أنيقها
سقى ربعكم من أدمع الصبّ جَودُها ومن دِيَم الغيثِ الملثات ريقها

أبو عبد الله محمّد بن أحمد آل اللخمي الطرشوني :

كَحَلَ الفجـــرُ لهم جـــفنَ الدجى وغـدا فـــي وَجـــنة الصبح لثاما
كنتُ أشـفي غُلّةً مـــن طـيفكم لـــو أذنتمْ لجـــفونـــي أن تنـاما
نشـــأتْ للصـــبّ منها زفـــرةٌ تسكب الدمعَ على الـــربع سـجاما
طـــلٌ لا تشـــتفـــي الأذنُ به وهـــو للعـينين قد ألـــقى كلاما

وقال ايضاً :

أأرجـــو أمانًا مـنك اللحـظُ غادرُ ويثبت قلبي فيك والطـــرفُ سـاهر
عجِبْـتُ للحـــظٍ كلّ قـــلب يُطيعهُ ويرضى بما يقضي به وهـــو جائر
ويترك ورد الخـــدّ نهب جـــفونها جـــريء على دفـــع المعرّة قاصر
أشاهد منه الحســـنَ في كلّ نـظرةٍ وناظـــر أفكاري لمعـــناه ناظـــر
دعتْ للهوى أنصـــارُ سحر جفونه فقلبي له عـــن طـيب نفسٍ مهاجر
ونارُ اشتياقـي صـعّدتْ مُزنَ أدمعي فمَضَرّ سرّي فـوق خدّي ظـاهـر
وقد كنت باكي العين والبينُ غائبٌ فقل: كيف حالُ الدمع والبين حاضر

وقال ايضاً :

يصيّـر مرآه مـنمّم مـــقـــلتـــي فيصدق في قـطع الرجاء قـواطـعه
أعدّ الـورى سـيفًا كسـيف لحاظه فهذا هـــو الماضي وذاك مَصارعُه

وقال :

ألا إنّـــها الـــدنيا تـريكَ عـجـــائبًا وما فـي القوى مـنها فـلا بدّ أن يبدو
بعـــينيّ بـــحرُ النقـع فـوق أسـنّة تتمنمه وسـنًا كـــمـــا نُمنم البُـرد
ومـــن دمهم زرق الأسنّة لـــفعتْ مثلك إذا ما شـــبّهت أعـــينٌ رمد
تسيل على الرايات منـها مـــدامـعٌ لخدّ مـحبّ شـــقه البـــين والـوجدُ

وقال :

فلمّا رأى زقي أمامـي ومـــزهـــري دعـــاني تأنـيسـا كنت وتلبيســـا
وطـــاف بها رطب البنان مـزنّـــر فأبصرت عبدًا صيّر الحرّ مرؤوسا
كتبتُ بدمع العـــين صـــفحة خَـــدّه فطلّسَ حِـبْرُ الشـعر كتبيَ تَطليسا
قـــبتنا يـرانا الله شَـرَّ عـصابـــةٍ نُطيعُ بعـصـــيان الشـــريعةِ إبليسا

أبو حيّان محمّد بن يوسف النفري الغرناطي :

فلم أرَ في الأكـــون غـــيري لأتني  أزجتُ عن الأغـيار روح حـــياتي
تشاهد معنى روضـــه أذهـب العنا  وأيقظـــني للحـــقّ بعـد ســـباتي

وقال ايضاً :

نَـــــوْرٌ بخـــدّك أم تـــوقُـــدّ نار  وضَنىً بجـفنك أم كـؤوسُ عـــقار
جُمعتْ معاني الحسن فيك فأصبحتَ  قـــيدَ القـلوب وفـــتنة الأبصـــار
متصـــــاونٌ خـــفِرٌ إذا ناطـــقته  أغضـــى حـياءً في سـكون وقار

وقال ايضاً :

وصرتُ في البيت وحدي ولا أرى أحدًا  بناتُ فكري وكتبي هنّ جُلاّسي

وقال ايضاً :

كالشمس ظُـــرفًا كالمِـــسْـــكِ عُرفا  كالخِشفِ طَرْفًا كالصَّـــخْر قلبا

أبو عبد الله محمّد بن بش العبدري :

وتنشرهُ الصـــبا فـــــتـــريكَ درّاً  نثيرًا خـــانه عـــــقدٌ نظـــيمُ
وبقيتَ بغبطةٍ وقـــرار عـــــين  بملكٍ ســـــعدُهُ أبدًا يـــــدوم

أبو الحجّاج يوسف بن موسى الجذامي المتشافري :

لمّا تناهى الصـــــبّ في تشـــويقه  درر الدمـــوع اعتاضـــــها بعقيقه

وقال :

هـــــواكم بقلبي ما لمحكمة نســـخُ  ومن أجـــله جـــفني بمدمعه يِسخو
وما صحّ جســـــمي إذ زكت بيّناته  يحـــول عليه من دموع الأسى نضخ

وقال ايضاً :

أدب الفتـــى فـــي أن يُـرى متيقظـًا  لأوامـرِ مـــن ربّـــه ونـــواهـــي

وقال :

فانسكابُ الدموع جارٍ مجارٍ  والتهابُ الضلوع راقٍ فراق

أبو البركات محمّد بن أبي بكر البلفيقي السلمي :

وانظرْ إلى هذا النهار مسنّهُ  ضحكتْ ونورُ جبينه وضّاح
وانظرْ إلى الدنيا بنظرة رحمة  فجفاؤها بوفائها ينزاحُ

وقال :

إن كنتُ أبصرتك لا أبصرت  بصيرتي في الحقّ برهانها
لا غروَ أنّي لم أشاهدكم  فالعينُ لا تبصرُ إنسانها

وقال :

أفرغتُ دمعي وحزني بعدهم فأنا  من بعد ذلك لا دمعٌ ولا حزنُ

وقال ايضاً :

وما رأيتَ الهموم تدخل إلاّ  من ضروب العيون والآذان
غضّ طرفا وسدّ مسمعا وإن  أحسست همّا فلا تثق بضماني

ثم قال :

حزنتْ عليك العينُ مغنى الهوى  فالدمع منها بعدَ بُعدك ما رقا
ولذك ما صبغتْ بلونٍ أزرقٍ  أو ما ترى ثوبَ المآثم أزرقا

أبو يزيد خالد بن أحمد القتوري البلوي :

وتجلّ يا طرفي فيا لك ناظرًا  أبصرتَ طبيعة فانقضت أوطارُه
قد كان عندي لوعةٌ قبل اللقا  والآن ضاعفَ لوعتي إبصارُه
رفقًا قليلاً يا دموعي أقصري  فالدمعُ يحسنُ في الهوى إقصارُه
أيضيعُ من زار الحبيب وقد رأى  أنّ المزورَ بباله زوّارُه
متوسّلٌ قد أغرقته دموعُهُ  متوصلٌ قد أحرقته نارُه

وقال ايضاً :

إن كان موضعكم خلاعين ناظري  لم يخلُ منكم في فؤادي موضعُ

لم تسكنوا وادي الأراك وإنّما قلبي وصيفكم ودمعي المربعُ
والله ما ضحك الربيع بربعكم إلاّ وعن عينيّ مزنٌ يهمعُ
يا بارقًا تنشقّ عنه سحابةٌ عن مثل مدمعي السفوح وتقلعُ
واقرًا على الجزع السلامَ وسمّ من قطراتِ دمعكَ حيث تلك الأربعُ
ما سرّني تبديدُ دمعي لؤلؤًا وعهدتُهُ بيدِ الحسان يُجمَّعُ

أبو جعفر أحمد بن أبي القاسم محمّد بن جزي :

نهاني عن غيي وقال منبّهًا ألستَ ترى السمّار والناس أحوالي
ألم ترَ أنّ الطبيعة استنفعت به تميلُ عليه هَونةً غير مجفال

وقال :

كم بكائي لبعدكم كم أنيني من ظهيري على الأسى من معيني
جرّح الخدَّ دمعُ عيني ولكن لا عجيبٌ إن جرّح ابنُ معين

أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عيسى الحميري :

وخضتُ ظلامَ الليل والنجم شاخص إليّ بطرف لحظُهُ لي لامح
إذا خطّها ما بين عينيّ لم يزل أكلف دمعي نحوها فهو طامح
أرتني وجوهًا لو بذلتُ لقربها حياتي لمن بالقرب منها يسامح

وقال :

غيّبتم عن ناظريّ وشخصكم حيث استقرّ من الضلوع مقامه
أترى الزمان مؤخرًا في مدّتي حتّى أراه قد انقضت أيّامه

أبو بكر محمّد بن شبرين :

ظعن الصبا ومن المحال قفوله إن كنتَ باكيه فتلك طُلولهُ
قفْ عندها خيل الدموع ورجلها واندبْ شبابًا شطّ عنكَ رحيله
نزحتْ بثينةُ وليلاه معًا فبكى المعاهدَ قيسه وجميله
يا غائبًا عن ناظريّ ولم يغِبْ إحسانه عنّي ولا تنويله

وقال :

فمن رأى لي سـربًا عـند كاظمةٍ كادت عليه حصاةُ القلبِ تنصـدِعُ
فـلو رأيتَ رسـومَ الدار مـائلة ينتابها الظـبيُ أو يغتالها السـبع
ماضـرّ لمّا رأيتَ الصـالحين بها لـو كنتَ تقنع منها بالذي قـنعوا

وقال :

مُصيبتي بكَ ليست كالمصـائبِ لا ولا بكائي عـليها مثل كـلّ بكا
لمنْ أطالبُ في شـرع الهوى بدمي لحظي ولحظكَ في قتلي قد اشـتركا

أبو القاسم الخضر بن أبي العافية :

كالماء يسـتره يقـاعٌ طُحـلُبٌ فـتراه بين خـلاله كالـزئبق
كتبسـّم الـزنجـيّ إلا أنّـه يُبكي العـيونَ بدمـعها المترقرق
وكذا البياض قـذى العيون ولا نرى للعين أنـكى مـن بياض المفرق
ما إن بكيتُ على شـبابٍ قـد ذوى وبـقيتُ منتظرًا لآخـر مـونق

أبو الحسن علي بن محمّد بن الجياب الأنصاري :

وربّما اسـتعديتُ فـيها ثـميمةً فزعـفرها بالـدمع كاتبُ مآقي
فمن حظّها الباهي متاعٌ لناظـري وسمعي وحظّ الروح من حظّها الباقي
تبصـّرْ فحـكمُ القهوتين تخـالفا فـكم بين إثباتٍ لعـقل وإزهـاق
ينـارُ منها الأقحـوان تغورها وقابل منها نرجسٌ حسـن أحـداق
بأحـلى لأفـواهٍ وأبهى لأعين وأجـلى لألبابٍ وأشـهى لعشّـاق
رأيتُ بها شُهبَ السـماء تنزّلتْ إليّ تحـيّيني تحـيّة مشـتاق

وقال :

وافتني الصـحيفةُ الحسـنا التي شاهدتُ فـيها المكرمات رأي عين
رسـائل أزهـارهـا مـنثورة سـرور قـلبٍ ومتاعُ ناظرين
بقيتَ في مواهـب الله التي تُـقرّ عـينيك وتـملأ اليدين

أبو جعفر بن صفوان القيسي :

أدهـــى حجابك رؤية الأغـــيار فامحُ الدجى بأشـــــعّة الأنوار
أوما ترى أشخاصها قـــد أومأتْ طـــرّا إلى صـــنع الحكيم الباري
لحـظ المنازل يستشفّ جمالها لحـظ الحبيب البادي الاستبصار
حسبُ العميدِ من الوجـودِ هم فهم أنسُ الفـــؤاد ونُزهـــةُ الأبصار
لم تتّخذ حينا ولـــكن قصـــرّتْ عـن فـــهم ذاك مباحـث النظار

وقال ايضاً :

غمّض جفونك عـن هواهم مُعرضًا انّ الصوارمَ حـجبها الأجـــفان
يا لامحًا سـرّ الوجـــود بعـــينه السـرّ فـيك بأسـره والشـــان
كم حـكمةٍ صارت تلوح لمبصـــرٍ حـارث لباهر صُـــنعها الأذهان
حُجبتْ بشخصكَ عن عيانك شمسها فمحا محاســنَ ذكرها النسيان
ووشـتْ بحالي فـي الغرام مدامعٌ أدنى مـواقـع قِطرها طـوفان

أبو اسحق ابراهيم بن محمّد الساحلي الأنصاري :

عـيونُ سحابٍ أم سحابُ عـيون شعثٌ صـوّب نعمانٍ بصوبِ معين
وما لرباها بعـــد ليلى تلقعـتْ غرامًا وحـزنًا في مطارفَ جـون
فطـورًا أروّيها وطـورًا شـبها بنار شـجوني أو بمـاء جـفوني
بقايا طـلولٍ أنكر العينُ حُسـنها فأبيته وجـــدي بها وشـــجوني

وقال :

دع العين تُذري الدمع في طلل الربع فليس حـرامًا أن أريق به دمعي
وإن لم يكن قد فاز طـرفي بنظـرةٍ إليهم فحسبي أن يفوز بهم سمعي
ذكرتكِ يا نجدٌ ففاضـت مـدامعي وأيّ نصيرٍ للمحبّ سـوى الدمع
ومهما بدا مـن جانب الجزع بارقٌ جزعت ومن لي أن أرى بارقَ الجزع
وقالوا غدًا يقضي بجـمع ديوننا وحسـبي بجمع أن أرى ليلة الجمع
لعينكِ قلبي يا ابنة القـوم طـائع صبورٌعلى الشكوى صبورٌعلى المنع
تجلّى لطرفي في محـيّاك روضُهُ ووردته المحمـرّة اللون من زرعي
وثغرك من دمعي وخدّك من دمعي وخصرك من فكري وحلّيك من سجعي

أبو جعفر أحمد بن خاتمة الأنصاري :

مَن لم يشاهد موقفًا لفراق ... لم يدرِ كيفَ تولهُ العشّاق
إن كنتَ لم تره فسائلي من رأى ... يخبركَ عن وَلهي وهول سياقي
من حرِّ أنفاسٍ وخفق جوانح ... وصدوع أكبادٍ وفيض مآقي
أبكي إذا هبّ النسيم فإن تجدْ ... بللاً به فبدمعي المُهراق
إن غاب عن عيني فمثواه الحشا ... وسراه بين القلب والأحداق
ما غاب كوكبُ حسنكم عن ناظري ... إلا وأمطرت الدما آماقي
وإذا جنحتَ لماءٍ أو طرب فمنْ ... دمعي الهموع وقلبي الخفاق
ذكراه راحي والصبابةُ حضرتي ... والدمعُ ساقيني وأنتَ الساقي

وقال :

ما إن ترى عُرسًا بأجمل منه في ... عين الشجيّ إن غاب عن عين الخلي
فاعطِف على وجه الزمان وحيّهِ ... وانظر إلى حسن الربيع المقبلِ
وأجلِ لحظكَ في صفاح كتابه ... حتّى تبيّن واضحًا من مُشكِلِ
مَن لم يُشاهدْ موقعَ الحسن الخفيّ ... من منظرٍ لم يدرِ ما الحسنُ الجليّ
كلاّ ولا خمدتْ عيونُ نهاره ... إلاّ لغيرتها عليه أوقل

أبو عبد الله محمّد بن حسّان الغافقي :

كأنّ لفظكِ في القرطاس زهر ربًى ... بكى بها القطر فافترّت مباسمها
فليتني كنتُ للأبصار مرتقبًا ... مع الوفود التي راقت أزاحمها

وقال :

فرعيتُهُ حتّى الصباح بمقلةٍ ... تهمي ونارُ جوانحي لا تُطفأ
فبدتْ عليّ شمائلٌ عذريّةٌ ... والصبّ يلحظُهُ الرقيبُ ويكلأ
فهواي شوقًا يستمدّ مدامعي ... والوجدُ يكتبُ والصبابة تقرأ
بحرٌ ترى العلماء من أنهاره ... نغصوا إذا دانوه وهو مُملأ

أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم النميري :

دعوا أدمعي شـــوقًا للقياكم تجـري  فإنّي في حـــبّي لكم رابـحُ التجـر
إذا لم أشـــــاهد ربـــــعها كلّ ليلةٍ  فإنّك يا إنســـانُ عـــيني لفي خُسر
رياضٌ حكتْ لا في الشـــجون قتيلة  ولكن لها عينان تجري على النضر
تـــرى الغيث فيها باكيًا متحـــيّرًا  إذا ضاع من أكمامه مـــؤرج الزهر
كأتي عـــليّ والعـــيونُ التي رنتْ  عيونُ المها بين الرصـافة والجسـر

وقال :

أرتني الجـمال الأكملي حـــقيقتي  على قـدرها لا قدر موجدها العالي
فـــكيف أرى هـــذا مقـــامي وإنّما  مقامي فعيبي عن مقامي وعن حالي

وقال :

والعـــينُ باكٍ والحـــمامُ مـــرنّة  والنهرُ صـــبٌ والنسـيمُ عـــليلُ

وقال :

بكتْ شَـــجْنًا ففاض الدمع يحـــكي  يتامـــى الدرّ إذ يَهـــمي تـــؤاما
وسـلتْ من محاجرها ســـيوفًا  فخـــفِتُ على المحاجر واليتامى

وقال :

فما فيه عـــيبٌ غيرَ أنّ جـــفونه  مراضٌ وأنّ الخصـر منه ضـعيف

وإذا كانت حاسّة البصر مهمّة جدّاً لدى المبصرين يفجّرون من خلالها أروع الأشعار وأجذلها، فكيف تتبلور هذه الحاسّة لدى فاقديها؟ الأعمى التطيلي حرمه الله نعمة المشاهدة فهل كان لها التأثير المباشر في النظم ؟

تراه يتكلّم بحرّيّة عن البصر والنظر والأبصار والمبصرين بدون ترداد أوهلع، فيقول :

أغمزُ عُيونٍ وانكسـارُ حـــواجب  أم البرقُ فـي جـنح مـن الليل دائب
وفي مَضجعي أخفي على العين منهما  وأثقبُ في أجـــواز تلك الغـياهب

وقال :

تراهم على ضيق المجال ورُحبه يُهلون من مثنى إليه ومن فرد
وبحرٌ ولكن ما الحياة هنيّةً بأطيبَ منه للعيون وللوَردِ
رُويدكم حتّى تروا كيف ترتمي بأنفسكم بين الإجازة والردّ
وتخرج من ليل الغبار ولو ترى شوازب تردي تحت صمانة تردي

وقال ايضاً :

أعدْ نظرةً في صفحتي ذلك الخدّ فإني أخافُ الياسمينَ على الوردِ
فبعينيك هل ترى غير داعٍ أو مجيبٍ أو رائح أو غادِ

وقال :

لمّا رأى الخُبرَ شيئًا ليس ينكره أحال بالدين والدنيا على الأثر
وهي الشفارُ إذا الأقدام جرّدها ألوتْ بما تدّعيه العينُ للسهر
والناسُ كالناس إلاّ أن تجرّبهم وللبصيرة حكمٌ ليس للبصر
ولا قضتْ من سواد العين حاجتها حتّى تكرّ على ما كان في الشعر

وقال :

ترى الدنانير تهمي من أكفهم سحّا وأوجههم مثل الدنانير
ترى الكواكب حيرى في دُجاهُ كما جالتْ حَجَى الماءِ في خضر القوارير
يبيتُ حرباؤها بالليل منتصبًا وإن أطلّ فلمْ ينظرْ إلى النور

وقال :

قلْ ما بدا لك إلاّ في غواربه تسمو بملء عيون مثلها صور
وطيب مرتشفٍ في حسن مؤتلفٍ في مثل مُرتَعَفٍ أودى به النظر
لا تحسبوا أدمعي ماءً تجود به عيني ولكنّه من لوعتي شرر

وقال ايضاً :

أنا الذي أجتني الحرمان من أدبي إن النواظرَ قد تُؤتى من النظر

وقال ايضاً :

ومن لي بعينٍ تحـــملُ الدمـــعَ كلّه فأبكـــيكِ وحـــدي لا أقرّ ولا أدري
ولي مقلةٌ أفضـتْ بها لحـــــظاتها إلى عبراتٍ جـــمّةٍ وكـــرًى نَزْر
أتمضـــــي الليالي ولا أراكِ وربّـما عَدَتني العوادي عن طلابك في الحَشْر
خـــُذي فانظـميها فهـي كالدرّ إنني أرى علتيّ أورى بها وهـي كالجمر
خُذي اللؤلؤ الرطبَ الذي لهجوا به محارَتُهُ عـــيني ولجّته صـــدري
لعـــلّك يومًا ان تـريه فـــتذكري وســـائلٌ لم تعلقْ بلوم ولا عُـــذر
أيا قُرّةَ العـــــين اعتبارًا وحسرةً أجـدّكِ قد أصبحتِ قاصمة الظـــهر

وقال :

آه ممّا لقيتُ مـــن طـــرفك الشا نئق أو مـــــن فؤادي المشـــتاق
نَفَثَتْ مُقلتاكِ في عُـــقَدِ السـحْ ر فـــلم أنتفـــع بنفث الـــــراقي
وتساءلن عن شـــبابي وقد قسّمْ تهُ فـــي الشـــعور والأحـــداق
أدرَكَ الله عـــند أعـــــينكنّ النجـــلِ ثارات هـــذه الأرماق

وقال :

تغـــارُ عـــليه الشمسُ من كلّ ناظرٍ فتُغشيه عنه وهـــو في متنه صقل
ترى حـــيثما أبصرته له الغمدَ كلّه وإن لـــم يســـــلّطه قـــتالٌ ولا قتل

وقال :

فـــقلبي بأيّ النظـــــرتين كـــررتها إليها وعنها تلك تُغـــري ولا تُسـلي
واعـــلم أنّي رهـــنُ يومي أو غدي ولكن رأيتُ العجزَ أزرى بمن قبلي

وقال :

ولم أرَ كالعشـــّاق أشـــقوا نفوسهم وإن كان مـــــنهم مُعـــذرٌ ومُليمُ

ثم قال :

أصـــــبحيني حـــــتى تَـــرَيْني لا أفـــــرقُ بين المعـوَجّ والمستقيم
أعـــــيُنُ العاشقين أدهشـــتها البينُ فأغضـــتْ بين الضـــنا والوجـــوم

أرى الناس قد باعوا المروّات فاشترِ وقد ضيّعوا ما كان من حَسَبٍ جمّ
ولم أرَ أحيا منكَ وجهًا ولا يدًا إذا استأثر الحرّ المرهَقُ بالطعم
فلم ترَ إلا عاثرًا بدمائه يحاذر كلمًا أو يدافع عن كلم
ولاحصنَ إلا السيفُ في يد ماجدٍ يرىالموتَ دون المجد غنمًا من الغنم

وقال ايضاً :

إذا اعتمد الندى غصّت جفانٌ وإن شهد الوغى صغرتْ جفون
إلى ملكِ الملوكِ هفا بلبّي وقد سنمت نواظرها العيون
لا تغترّ بعيون ينظرون بها فإنّما هي أحداقٌ وأجفان
كم مُقلةٍ ذهبت في الغيّ مذهبها بنظرةٍ هي شانٌ أو لها شان
فانظرْ بعقلك إنّ العينَ كاذبةٌ واسمعْ بحسّك إنّ السمع خوّان
ولا تقل كلّ ذي عينٍ له نظرٌ إنّ الرعاة ترى ما لا يرى الضان
فإنّ الحرّ أكثر ما تراه به الأرزاءُ أصبرُ ما يكون

وبما أنّ الشعر لغة التخاطب الشعوريّة والنظرة اللافوقيّة للأمور، والذي ينظم الشعر عليه أن يكون ذا حسٍ مرهفٍ وخيالٍ واسع وجامع لأمور الدنيا .

فهل الخلفاء ورجال السياسة والقضاء يتمتّعون بهذه الميزات المدرجة على لائحة الشعر ؟. سوف نرى من خلال عرضنا لبعض الشعراء منهم كيف استخدموا الشعر وأغراضه وإذا كان البصر لديهم مهمّاً أيضًا كما عند غيرهم من الشعراء ومنهم نذكر :

المعتمد :

فالآن لا عينٌ ولا أثرٌ أتراكَ غيّب شخصك البلد
وتراك بالعذراء في عُرسٍ أم إذ كذبتَ سطا بك الأسدُ
نحن أبناءُ بني ماء السما نحونا تطمح ألحاظ الحدق

القاضي بن الباجي :

لئن غُيّبا عن ناظري وتبوءا فؤادي لقد زاد التباعد في القرب

ولا استعذبَتْ عيناي بعدهما كرًى ولا ظمئت نفسي إلى البارد العذب
وأبكي وأبكي ساكنيها لعلّتي سأنجد من صحبٍ وأسعدمن صحب

وقال ايضاً :

فإذا نظرتُ فشخصه متخيّلٌ وإذا اصْختُ فصوته متوهّم

وقال :

تبيتُ جفوني صادياتٍ من الكرى ولكنّها من ماء دمعي نواهل

وقال :

الحمد لله ذي الآلاء والنعم ومُبدع السمع والأبصار والكلم

ثم قال :

وأرى عثرة اللسان وإن لم تبدُ أنكى من عثرة الأقدام
وأرى القول كالسهام فإن كا نَ قبيحًا عادت عليّ سهامي

الوزير أبو الوليد محمّد بن عبد العزيز المعلم :

فمن شاء فلينظر بعين حقيقةٍ ففيكَ لنا وعظٌ مداهُ طويلُ
يرى الأرض فيها الأرض كيف تزلزلت بنا ويرى الأطواد كيف تزول

الأديب أبو جعفر أحمد بن الأبار :

لم تدر ما خلدتْ عيناك في خلدي من الغرام ولا ما كابدتْ كبدي
حق إذا غازلتْ أجفانه سِنَةٌ وصيّرته يد الصهباء طوْعَ يدي

ثم قال :

كأنّ غائرة النجوم بأفقها عن وجهه تُغضي عيونًا حولا
وكأنما الجوزاء إذ بصرتْ به ألقتْ إليه نِطاقها محلولا
لو تخفرُ العشّاق بيضُ سيوفه لم يتركوا عندَ العيون ذهولا
غُضّوا الملاحظ إنّ نورَ جبينه يُعشي العيونَ ويبهرُ المعقولا

أبو الحسن عي بن حصن الإشبيلي :

شـــربناها كميتَ اللـــون حـتّى رأيت الفجـــرَ قد وضـــع النقابـا

وقال :

أغُضّ جـــفني عـــنه لأنّـــي عليه مـــن مقلتي أغـــارُ
رشـــا أعارَ الغزال لحـــظًا فحســـنُهُ مـــنه مســـتعارُ
شـــربتُ من خـــمر مقلتيه كأســـين لي منهما خـــُمارُ
مـــتى أرُمْ سَـــلوَةً نـــهاني غـــُنجٌ بعـــينيه واحـــورار

وقال :

أدار على الياقـــوت أجـــفان لؤلؤٍ وصاغ من العقبان طوقا على الشعر
لما رأى دمـــعي فـــواقا أرابَهُ بكائي فاستولى على الغصن النضر
يـــرى أنّه عريانُ مـــن كلّ ملبَسٍ إذا لم يكن يختالُ في حـــلل السـكر
يروقك مـــنه خـــلقةٌ وخـــليقةٌ متى شئتَ إطراءً أرتكَ بما تطـــري
فكفكفتِ الأبصـــارُ عـــنه بمؤدَمٍ أغـــرّ طليقَ الوجهِ أروعَ مُبشَـــر

ثم قال :

أرتك الهوى رُشدًا ولم تعـــدُ أنّها أراك على وعســـاء بالحلي تورق
عليك له مـــرأى جـــميلٌ ومخبرٌ نبيلٌ وفعلٌ مســـتطابٌ مـــنطق
تلـــوذُ بحـــقويه الملوك كأنـــّها بُعاث رأت في الجـــوّ صـــقرًا يحلّق
ذكـــيّ إذا حـــاك الكـــلام رأيتهُ يصـــمّم في أوصـــاله ويطـــبّق
إذا نظـــرتَ فأشـــكالُ البدور وإن خـــبرتهم فهم الأســـدُ الضـــراغيمُ

الوزير أبو الأصبغ بن عبد العزيز :

فسكران من خـــمرٍ ومن رشفِ ريقه وبينهما مـن ســـــحر عينيه ثالث

ثم قال :

في دجـــى ليلٍ بهـــيم حـــالكٍ يســـتوي الأعمى فيه والبصـــيرْ
فتراها حـــائراتٍ فـــي الدجـــى زاهـــراتٍ كمصـــابيح تـــُنيرْ

وقال :

أما ترى النرجس الغضّ الذكـيّ بدا  كـــأنّه عاشـــــــقٌ ذابتْ ذوائـــبهُ

## خاتمة :

هكذا نلاحظ أنّ العين أدّت دورًا مهمّاً في الشعر، فقد أبصرت معالم الطبيعة وجمال العمران وصوّرتهما بالتفصيل، ثمّ بكت بعد ذلك على المدن التي طالما ارتاحت لرؤية جمالها ومعالمها الخلاّبة . كما أنّ العين بكت على فراق الأحبّة وسهرت طويلاً بسبب الحبيب .

والعين التي تغزّل بها الشعراء، عين المرأة، كانت دائمًا تصيب قلب العاشق بسهامها .

وكان للعين نصيبها من الذكر على لسان كافة الشعراء، شعراء المدح والخمر والزهد ...

كما نلاحظ تشابهًا بارزًا في الصور والمعاني بين الشعر المشرقي والشعر الأندلسي، ولا عجب من ذلك إذ إنّ العرب حملوا، من جملة ما حملوه إلى الأندلس، الشعر العربي الذي تأثر به الأندلسيّون وحاولوا تقليده لأنّه كان، بحسب رأيهم، المثال الذي يجب أن يتّبعوه .

وهكذا نرى أنّ العين دخلت في كافة الموضوعات الشعريّة . وإن لم تذكر فهي الحاسّة الأكثر أهمّيّة بين كلّ الحواس، لأنّها تنقل الأشياء بكلّ تفاصيلها، وتُضفي على القصيدة الحياة والألوان؛ فتغدو وكأنّها لوحة رسمتها يد فنّان ونقلت من خلالها مشاهداته وإحساساته بألوان زاهية.

إذًا لا بدّ لنا أن نشعر بعمق، بأحاسيس فاقدي البصر . فالأعمى يُحرَم من رؤية الأشياء ويعجز بالتالي عن نقل تفاصيلها . فكيف بالشاعر الأعمى الذي يكتفي بتصوير عالمه الداخلي الخالي من الألوان والصور الحيّة، فتأتي قصائده حزينة كئيبة . هذا ما نلاحظ في قصائد شعراء الأندلس الذين حُرموا من نعمة البصر ومع ذلك لم يتوانوا عن ذكر العين في شعرهم مع ما يعانونه من حرمان . مثالاً على ذلك قول الأعمى التطيلي :

ولا اتكـــال لعـــيني بعـــد فرقتكم  إلا علـى مفنييها الدمـــع والســـهد

**ملاحظة :** كل الشعراء الذين ذكروا في هذا الفصل موثقين في كتاب معجم الحصارة الاندلسية .

## حواشي الفصل الأوّل

١. معجم المصطلحات العلميّة والفنّيّة، إعداد وتصنيف يوسف خيّاط، المجلّد السابع من سلسلة لسان العرب، دار الجيل، بيروت ١٩٨٨، ص١٦٣.

٢. Encyclopédie philosophie univreselle ; les notions philosophiques / dictionnaire 2 . p: 2352.

٣. نزار قبّاني، حبيبتي، الطبعة الخامسة والعشرون ١٩٩٣، منشورات نزار قبّاني، بيروت ـ لبنان . قصيدة نهر الأحزان، ص٦٩.

٤. نزا ر قبّاني، قصائد، الطبعة الثامنة والعشرون ١٩٩٣، قصيدة إلى عينين شماليّتين، ص٦٠.

٥. نزار قبّاني، قصائد، الطبعة نفسها، قصيدة رحلة في العيون الزرق، ص٦٧.

٦. سعيد عقل، شعره والنثر، نوبيليس، الطبعة الخامسة ١٩٩١، المجلّد السابع، دلزى، ص١٢٧.

٧. المرجع نفسه، المجلّد الثاني، رندلى، ص٨٣.

٨. المرجع نفسه، المجلّد الثاني، أجمل منك لا، ص٢٣٤.

٩. بشارة عبد الله الخوري ، شعر الأخطل الصغير، دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، ص٣٤ـ ٣٩.

١٠. إلياس أبو شبكة، المجموعة الكاملة في الشعر، المجلّد الأوّل، جمعه وقدّم له وليد نديم عبّود، دار روّاد النهضة، دار الأوديسيه، الطبعة الأولى ١٩٨٥، ص٢٤٣.

١١. إيليّا أبو ماضي، تبر وتراب، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية عشرة، كانون الثاني ١٩٨٦، ص١٣٢.

١٢. ضاهر أبو غزالة، العمران الأندلسي وأثره في الأدب، ص٤٠.

١٣. المرجع نفسه، ص٥٣.

١٤. المرجع نفسه، ص٥٤.

١٥. المرجع نفسه، ص٥٦.

١٦. المرجع نفسه، ص٥٧.

١٧. ضاهر أبو غزالة، العمران الأندلسي وأثره في الأدب، ص٥٩.
١٨. المرجع نفسه، ص٦٤ ـ ٦٥.
١٩. المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٨٨.
٢٠. المصدر نفسه، ص٢٩٢.
٢١. المقري ، نفح الطيب، ج٣، ص٢٨٨.
٢٢. المصدر نفسه، ص٣٠٧ ـ ٣٠٨.
٢٣. المصدر نفسه، ص٣٠٨.
٢٤. المصدر نفسه، ص٣٢٨.
٢٥. المصدر نفسه، ص٣٢٨.
٢٦. المصدر نفسه، ص٣٣١.
٢٧. المصدر نفسه، ص٣٥٧.
٢٨. المصدر نفسه، ص٤٧٦.
٢٩. المصدر نفسه، ج٤، ص٦٦.
٣٠. المصدر نفسه، ص١٥٩.
٣١. المصدر نفسه، ص١٦١.
٣٢. إحسان عبّاس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص٩٨.
٣٣. المرجع نفسه، ص١٣٣.
٣٤. ٣٤.المرجع نفسه، ص١٦٣.
٣٥. المرجع نفسه، ص١٦٣.
٣٦. المرجع نفسه، ص١٩٩.
٣٧. جودت مدلج تامر، شاعرات الأندلس رسالة جامعيّة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، بإشراف الدكتور يوسف فرحات، ص٥٥.
٣٨. المرجع نفسه، ص١٠٧.
٣٩. المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٤١.
٤٠. المصدر نفسه، ص٢٧٥.
٤١. المصدر نفسه، ص٢٨٣.
٤٢. المصدر نفسه، ص٢٨٤.
٤٣. المصدر نفسه، ص٢٩٨.

٤٤. المصدر نفسه، ص٢٥٦.
٤٥. المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٣٩.
٤٦. المصدر نفسه، ص٤٧٧.
٤٧. المصدر نفسه، ج٤، ص٥١.
٤٨. المصدر نفسه، ص١٤٨.
٤٩. المصدر نفسه، ص١٥٠.
٥٠. المقري، نفح الطيب، ج٤، ص١٦٥.
٥١. المصدر نفسه، ص١٦٦.
٥٢. إحسان عبّاس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص١٥٣.
٥٣. المرجع نفسه، ص١٦٦.
٥٤. المرجع نفسه، ص١٦٧.
٥٥. إحسان عبّاس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص١٦٨.
٥٦. المرجع نفسه، ص١٥١.
٥٧. المرجع نفسه، ص٢٠٨.
٥٨. جودت مدلج تامر، شاعرات الأندلس، ص٥٦.
٥٩. المرجع نفسه، ص٩٥.
٦٠. ٦٠.المرجع نفسه، ص١٠٠.
٦١. المرجع نفسه، ص١٠٣.
٦٢. المرجع نفسه، ص١٠٦.
٦٣. المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٠٩.
٦٤. المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٣٩.
٦٥. المصدر نفسه، ج١، ص٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤.
٦٦. المصدر نفسه، ص٦٨٨.
٦٧. المصدر نفسه، ج٣، ص٢٨٩.
٦٨. إحسان عبّاس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص١٤٠.
٦٩. المرجع نفسه، ص١٤١.
٧٠. المرجع نفسه، ص١٤٢.
٧١. جودت مدلج تامر، شاعرات الأندلس، ص٤٣.
٧٢. المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٣٩.

٧٣. المصدر نفسه، ج٣، ص٣١٠.
٧٤. إحسان عبّاس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص٢٢٩.
٧٥. جودت مدلج تامر، شاعرات الأندلس، ص١١١.
٧٦. إحسان عبّاس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص١٧٨.
٧٧. ضاهر أبو غزالة، العمران الأندلسي وأثره في الأدب، ص١١٠.
٧٨. المرجع نفسه، ص١١١.
٧٩. المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٢٥.
٨٠. المصدر نفسه، ص٢٩٧.
٨١. إحسان عبّاس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص٢٨٩.
٨٢. المرجع نفسه، ص١٤٧.
٨٣. المرجع نفسه، ص٩٥.
٨٤. المرجع نفسه، ص٩٦.
٨٥. المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٣٠.
٨٦. المصدر نفسه، ص٣٩.
٨٧. إحسان عبّاس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص٧٧.
٨٨. المرجع نفسه، ص١٦٣.
٨٩. جودت مدلج تامر، شاعرات الأندلس، ص١٠٣.
٩٠. المرجع نفسه، ص١١١.
٩١. جودت مدلج تامر، الحبّ في الأندلس، ظاهرة اجتماعيّة بجذور مشرقيّة، أطروحة أعدّت لنيل شهادة دكتوراه حلقة ثالثة . إشراف د. يوسف فرحات، نيسان ١٩٨٢، ص١٤.
٩٢. ٩٢.المرجع نفسه، ص١٩٥.
٩٣. جودت مدلج تامر، شاعرات الأندلس، ص٤٢.
٩٤. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف الشيخ أحمد بن محمّد المقري التلمساني، حققه إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، المجلّد الثاني، ص٨٥ ـ ٨٦.
٩٥. المرجع نفسه، ص٢٤٩.

٩٦. الشيخ أبو عبد الله محمّد بن الكتّاني الطبيب، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، ص٣١.
٩٧. المرجع نفسه، ص١٦١.
٩٨. المرجع نفسه، ص٩١.
٩٩. المرجع نفسه، ص١٤٤.
١٠٠. ديوان ابن شهَيد الأندلسي، عُنِيَ بجمعه Charles Pellat أستاذ بالسربون، دار المكشوف، الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان، كانون الأول ١٩٦٣، قدّم له بطرس البستاني، ص٦٥.
١٠١. ديوان الأعمى التطيلي، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة (ت٥٢٥هـ) ومجموعة من موشّحاته تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، المكتبة الأندلسيّة، ص٣٣.
١٠٢. أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، هو كتاب نثير الجمان للأمير أبي الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي الأندلسي، حققه وقدّم له الدكتور محمّد رضوان الداية، مؤسّسة الرسالة، ص٧٣.
١٠٣. المرجع نفسه، ص٣٧١.
١٠٤. الدكتور ميشال عاصي، الشعر والبيئة في الأندلس، دراسات أندلسيّة، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٠، ص٦٣.
١٠٥. المرجع نفسه، ص٦٤.
١٠٦. د. يوسف عيد، التوشيح في الموشّحات الأندلسيّة، ص٤٣.
١٠٧. جودت مدلج تامر، الحبّ في الأندلس، ص١٦٠.
١٠٨. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف الشيخ أحمد بن محمّد المقري التلمساني، الجزء الأول، حققه إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ص٦١٩.
١٠٩. كتاب التشبيهات، من أشعار أهل الأندلس، تأليف الشيخ أبي عبد الله محمّد من الكتّاني الطبيب، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان .

١١٠. نفسه، ص٣٥.
١١١. ديوان ابن شُهَيد الأندلسي، الطبعة الأولى، بيروت، ص١٧٧.
١١٢. ديوان الأعمى التطيلي، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة، توفي سنة ٥٢٥هـ، ومجموعة من موشّحاته، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، المكتبة الأندلسيّة، ص٢٩ - ١٣٠.
١١٣. نفسه .
١١٤. نفسه، ص٢١٨.
١١٥. د. يوسف عيد، التوشيح في الموشّحات الأندلسيّة، الطبعة الأولى ١٩٩٣، ص ٩٥- ٩٦.
١١٦. كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ص١٣٢.
١١٧. نفسه، ص١٣٢، ١٤١.
١١٨. نفسه .
١١٩. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص١٠٩.
١٢٠. ديوان الأعمى التطيلي، ص٢٥٩.
١٢١. نفسه، ص١٣٥/ ١٤٥.
١٢٢. نفسه .
١٢٣. أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، الطبعة الأولى، ص٨٨.
١٢٤. نفسه، ص٩٩.
١٢٥. نفسه، ص٢٢١، ٣٣٨.
١٢٦. نفسه .
١٢٧. نفسه، ص٣٧٤.
١٢٨. د. يوسف عيد، التوشيح في الموشّحات الأندلسيّة، ص٥٩.
١٢٩. نفسه، ص١٥٥.
١٣٠. جودت مدلج تامر، شاعرات الأندلس، ص١٠٠.
١٣١. جودت مدلج تامر، الحبّ في الأندلس، ص٢٢١.
١٣٢. نفسه، ص١٣٥.
١٣٣. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ص٥ - ٣٢٣.
١٣٤. نفسه .

١٣٥. كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص١٤٥.
١٣٦. نفسه .
١٣٧. ديوان الأعمى التطيلي، ٧٢ / (٢)، ٧٣ / (٣)، ٢٤٧.
١٣٨. نفسه .
١٣٩. نفسه .
١٤٠. أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، الطبعة الأولى، ص ٤٢٨.
١٤١. د. يوسف عيد، التوشيح في الموشّحات الأندلسيّة، ص٩٥.
١٤٢. كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص١٥٨.
١٤٣. جودت مدلج تامر ،الحبّ في الأندلس، ص١٣٠، ٢١٠.
١٤٤. نفسه .
١٤٥. الدكتور ميشال عاصي، الشعر والبيئة في الأندلس، دراسات أندلسيّة، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٠، ص١٣٠.
١٤٦. د. يوسف عيد، د. يوسف فرحات، معجم الحضارة الاندلسية، دار الفكر العربي، ص ١٠٢ .
١٤٧. كل أسماء الشعراء والأعلام موثّقة في معجم الحضارة الاندلسية المذكور سابقاً .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# الفصل الثاني
# السمع في الشعر الأندلسي

**مقدّمة :**

تعدّدت الفنون الإنسانيّة واختلفت على مرّ العصور . ولا يخفى على أحد، أنّ هذا النتاج الحضاريّ على تنوّعه من رقص وعزفٍ ورسم ونحتٍ، هو وليد حواس مرهفة، تتأثر جسديّا بأدقّ ما يحيط بالإنسان في العالم الخارجيّ، الزاخر بالمناظر والأشياء الملموسة والأصوات والأطعمة والروائح، وبالتالي تؤثر فيه نفسيّا . فتأتي الحركة أو النغم أو اللون أو النقش أو غيرها، تعبيرًا عمّا في نفسه من أحاسيس رقيقة ومشاعر عميقة .

والحواس كما نعلم خمسٌ، وهي : حاسّة النظر، حاسّة اللمس، حاسّة السمع، حاسّة التذوّق، وأخيرًا حاسّة الشمّ . ولا يمكننا أن نستغني عن وظيفة أيّ منها أو أن نفضّل واحدة على أخرى، إذ لكلّ منها دورها الخاصّ والمميّز في الحياة .

والشعر هو ضربٌ من الفنّ، الذي يعبّر بالحرف والكلمة والوزن والقافية والرويّ، عن مختلف العواطف التي تعتري النفس الإنسانيّة وتسيطر عليها . فنلمس أهمّيّة الحواس، التي تمكّن الشاعر من أن ينقل لنا ما رآه وسمعه ولمسه وشمّه وذاقه وبعبارة أخرى ما أحسّه جسديّا ونفسيّا، في صور شعريّة أخّاذة وألفاظ جزلة عذبة .

وبحثنا هذا، يتناول حاسّة السمع في الشعر الأندلسي . ثمّ نعرض الأبيات الدالّة عليها في شعر كلّ من " ابن عبد ربّه " و"ابن درّاج القسطلي " و" الرمادي " و"ابن هانئ " و"ابن شهيد". وشعراء آخرون تطرّقوا من قريب وبعيد إلى السماع وأهمّيّته في أشعارهم كابن زيدون والأعمى التطيلي والأعمى المخزومي وغيرهم .

**حاسّة السمع :**

السمع هو إدراك الأصوات عبر الأذن . والأصوات هي ما ينشأ عن اهتزاز دقائق الأجسام، فينتقل إلى الأذن عبر الهواء . ولولا هذه

الحاسّة، لما عرف الإنسان أنّه كغيره من الكائنات، يستطيع أن يصدر أصواتًا . وبفضل الذكاء الذي خصّه به الله من سائر المخلوقات، نظّم اللغة الشفهيّة ووضع لها قواعد، ممّا سهّل التعامل بين الناس . كما تمكّن الإنسان بواسطة السمع، أن يتجنّب أخطارًا عديدة كانت تهدّده حُكمًا، ولا سيّما تلك التي تصدر عن الحيوانات المفترسة، إذ كان يعيش في أحضان الطبيعة المليئة بالمفاجآت .

وبعد أن أمّن حاجاته الأوّليّة من طعام وشراب ومسكن ولباس، اهتمّ بالكماليّات منها الموسيقى والرقص والرسم والشعر ... ويتمتّع الإنسان العربيّ بأذنٍ موسيقيّة مرهفة، لذا وجدناه يقول الشعر منذ القدم . وما ساعده على هذا الأمر، وقع حوافر الجمال المنتظم . وبما أنّ الشعر لم يكن يدوّن في تلك الأزمنة الغابرة، فلقد تناقله الناس شفهيًا وحفظوه، والفضل في ذلك يعود إلى حاسّة السمع الدقيقة المتأثرة بالنغم الشعريّ وإلى قوّة الذاكرة أيضًا .

## ١. السمع في شعر " ابن عبد ربّه "

### بطاقة تعريف :

هو أبو عمر أحمد بن محمّد بن عبد ربّه . ولد في قرطبة على الأرجح سنة ٢٤٦هـ . ونشأ بالعاصمة الأندلسيّة، متلقيًا علوم الإسلام والعربيّة على كبار العلماء الأندلسيين في ذلك الحين . ثمّ أكبّ بنوع خاصّ على كتب التاريخ والأدب ودواوين الشعر، التي جادت بها قرائح المشارقة قبل عهد ابن عبد ربّه . وفي أيّامه كان من ألمع شعراء فترة الخلافة، أيّام عبد الرحمن الناصر . وبعد حياة حافلة بالأدب شعرًا ونثرًا، وافته المنيّة سنة ٣٢٨ هـ . فدفن بقرطبة بعد أن عاش قرابة اثنين وثمانين عامًا . (١)

بعض ما قاله في الشعر.

يقول في الشباب مثلاً، ذاكرًا صبوته :

هـلاّ ابتكـرت لـبينٍ أنت مُبتكِـرُ  هـيهاتِ يأبى عـليكَ الله والـقـدَرُ
ما زلتُ أبكي حـذار البين مُلتهـفًا  حتّى رثى ليَ فيك الريحُ والمطرُ(٢)

نلاحظ أنّ الفعل " أبكي " في البيت الثاني، يصوّر لنا ما مرّ به الشاعر من حزن وألم شديدين، دفعاه إلى البكاء .

وعندما نقول بكاءً، نتصوّر سيلان الدموع وسماع الأصوات الحزينة التي ترافقه من تنهّدات وزفرات وأنين .

حتّى إنّ الطبيعة قد شاركته في كآبته عبر الريح والمطر . فجعل "ابن عبد ربّه" أصوات الطبيعة تشارك الانسان في أحاسيسه .

يقول :

تأخذنا الصيحة كلّ يوم فما تلدّ مقلة بنوم(٣)

إنّ هذا البيت، ينقل صورةً من صور الحياة الاجتماعيّة في الأندلس، ولا سيّما في أوقات الحرب . فالناس يستيقظون على " صيحة "، تحرم العيون لذّة النوم، إنذاراً بالحرب؛ هكذا كانت الابواق المنبّهة لخطر الحروب . أصوات الناس وصراخهم .

ويقول الشاعر في وصف الحرب :

وجيشٍ كظهر اليمّ تنفحه الصبا تعِبَ عبابًا من قنًا وقنابلَ(٤)

يشير هذا البيت إلى نوعين من الأسلحة، وهما الرماح والقنابل . ونتصوّر من خلال استعمال كلمة " قنابل " مدى قوّة الأصوات المدوّية في المعارك .

وقال " ابن عبد ربّه " في القلم يصفه، وقد نسخ فيه بعض معاني أبي تمّام :

ينطِقُ في عُجمةٍ بلفظته تُصَمّ عنها وتُسمعُ البصرا
نوادر يقرع القلوب بها إن تستبنها وجدتها صورا
نظام درّ الكلام ضمّنه سلكا لخطّ الكتاب مستطرا(٥)

يتبيّن لنا، أنّ الشاعر الأندلسيّ يشير إلى السمع عبر حاسّة البصر . فما يُكتب بالقلم نسمعه ببصرنا، كما نسمع قرعه على قلوبنا أيضًا . فهذا النظام المكتوب يحوي أعظم الكلام . إنّ القلم ناطقٌ عجيب ومتحدِّثٌ من نوع غريب؛ لأنّه يُسمع بالبصر لا بالسمع . إنّه الصامت المتكلّم .

كان يرى أنّ الدنيا خاليةٌ من كلّ خير وأنّ من فيها كلابٌ، فيقول:

وأيّامٌ خلتْ من كلّ خيرٍ ودنيا قد توزّعها الكلابُ
كلابٌ لو سألتهم ترابًا لقالوا عندنا انقطع الترابُ(٦)

لا بدّ من أنّ احتكاك الشاعر ببعض الناس قد أذاقه العلقم، إلى درجة أنّه نفى الخير في تلك الأيّام . فالدنيا تقاسمتها الكلاب . وكلمة "كلاب" تتضمّن سخريةً لاذعةً في هذين البيتين .

لقد شبّه الناس بالكلاب . لذا عندما يطلب الشاعر منهم شيئاً، مهما كان على كثرةٍ، يجيبونه بانتفائه عندهم، فاعتبر ردّهم ونفيهم نباحاً مسقطاً بذلك الحس الانساني في بئر الحيوانية .

وعن الوداع قال :

ودّعتني بزفرة واعتناق ثمّ قالت: متى يكون التلاقي(٧)

إنّ هذا الوداع، يحيط به جوٌّ من الحزن والأسى والألم، وذلك لمفارقة الحبيب. وكلمة " بزفرة " تسمعنا الاضطراب العاطفيّ الذي يعصف في نفس المحبوبة .

وللشاعر في عبد الرحمن الناصر مدائح كثيرة منها قوله في ذكر الغزاة :

غادَرْتَ في عِقوَتي جَيّان مَلحمةٍ أبكيْتَ منها بأرض الشّرك أعلاجا(٨)

يُظهر الشاعر قوّة الخليفة الناصر، إذ أبكى في أرض الشرك الأعالج، أي الكفار . لقد جعل البكاء جماعيّا، ممّا يدلّ على عمق الحزن في نفوس الأعداء، وبالتالي له دلالته الخاصة على عمق الهزيمة والاعداد الكثيرة التي سقطت للأعداء .

وفي قول له عن توبته : بعد أن تاب عن غوايته، حين تقدّمت به السنّ وغلبت عليه تلك النزعة التي حملته على القول فيما عارض به شعر الصبابة والهوى،الذي سمّاه"بالممحصات"، قال :

يا قـادرًا ليس يعفو حـين يقـتدر ماذاالذي بعد شـيب الرأس تنتظرُ
عـاين بقلبك إنّ العـين غـافلة عـن الحقيقة واعـلم أنّها صقرُ
سـوداء تزفر من غيظٍ إذا سـفرت للظـالمين فـلا تـبقى ولا تذرُ (٩)

إنّنا لم نعد ننظر مع " ابن عبد ربّه " إلى العين كعضو نراه فقط، بل نسمعه أيضًا . ولقد رسم لنا هذه الصورة الشعريّة، كي يعبّر عن حرارة الانفعال الداخليّ. ويُقال إنّ العينين مرآةٌ للنفس، ومع هذا الشاعر الأندلسيّ، أصبحنا نرى ونسمع هذه المرآة ببصرنا .

## ٢. السمع في شعر "ابن درّاج القسطلّي"

**بطاقة تعريف :**

ولد أبو عمر أحمد درّاج القسطلّي سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م . ويلقب بالقسطلّي نسبة إلى بلدة قسطلة cacella في غرب الأندلس . وأسرة ابن درّاج ذات أصول بربريّة . نستطيع أن نستنتج من شعره، أنّه نشأ في بلده نشأة أدبيّة، وتزوّد بثقافة لغويّة وتاريخيّة، وأقبل بنوع خاصّ على شعر الجاهليين والإسلاميين،(١٠) وهو معدود من الفحول. ويقول عنه الثعالبي في اليتيمة: " كان بصقع الأندلس كالمتنبّي بصقع الشام".

إتّصل بالملوك والأمراء الأندلسيين، فمدحهم ونال عطاياهم . من هؤلاء الحاجب المنصور، عبد الملك المظفر، سليمان بن الحكم

الملقب بالمستعين بالله. كما اتصل بالمنذر بن يحيى أمير سرقسطة . توفي سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠م .

قال "ابن درّاج القسطلي" في الورد :
ضحك الزمانُ لنا فـــهاكَ وهـاتِهِ أوَ ما رأيت الوردَ في شـجراتِه؟ (١٢)

إنّنا نسمع من خلال رؤية الورد في الشجرات، ضحك الزمان . وهذه إشارة جليّة إلى السمع بالبصر وليس بحاسّة السمع . فالورد ضِحكٌ والبصر سَمَعٌ .

و" ابن درّاج " كثير الحديث عن وداعه لزوجته وأولاده، وصّاف لما يكون في مواقف الوداع من مشاهد حسّيّة وآلام نفسيّة . وهو قد يفتتح بعض قصائده بذلك. ومن ذلك قوله :
ولمّا تدانت للوداع وقـــد هـفا بصـــبري مـــنه أنـــةٌ وزفـــيرُ
تناشـدني عـــهد المودّة والهـــوى وفـي المـــهد مبغوم النداء صـــغيرُ
عييٌّ بمرجوع الجـــواب، ولفظُهُ بموقـــع أهـــواء النفوس خبيرُ(١٣)

يتّضح لنا في البيت الأوّل، أنّ الوداع في الغالب الأعمّ، يتمّ في جوّ حزن وألم، وبخاصّة إذا كان بين محبوبين أو زوجين، كما هي الحال مع " ابن درّاج القسطلي " وزوجته، بالإضافة إلى وجود طفل لديهما . لذا لا بدّ من سماع أنّة وزفير وصوت صغير جميل يشبّهه الشاعر بالبغام، وهو أجمل ما يكون من صوت الظبية .

ويتحدّث " ابن درّاج القسطلي " في شعر له، عن شبابه وصبابته، وهواه وغوايته، ومخالفته للعذّال وانطلاقه على سجيّة الطيش والحبّ والحـــداثة والغناء،غير مبالٍ بالحوادث والأحداث، يقول :
رفـــعت للشـــوق المـبرح رايةً خـــفاقةً بهـــزائـــج الأطـــراب
ولقد كـــررت على الملام زفـــرة ذهـــل العتاب بها على الإعتاب(١٤)

إنّ الراية التي يرفعها الشاعر تخفق خفقانًا فرحًا ومميّزًا . فتسمعنا بحركتها هذه ترنّمًا وتطرّبًا .
أمّا الزفرة، فيطلقها الشعراء كثيرًا في حياتهم، وبالتالي في أشعارهم نظرًا إلى إحساسهم المرهف .

وقال في بعض الرحلات البحريّة :
وإن سكنت عنّا الرياح جرى بنا زفير إلى ذكر الأحبّة حنان(١٥)

يتبيّن لنا من خلال هذا البيت، مدى قوّة الزفير الذي يطلقه بسبب بعده عن الأحبّة وشوقه إليهم، إلى درجة أنّه إذا هدأت الرياح وتوقفت عن دفع السفينة، مكّنها هذا الزفير من متابعة رحلتها؛ ممّا يدلّ على حرارة هذا الشعور الذي قد يشكّل قوّةً دافعةً لتلك الوسيلة الضخمة الثقيلة .

وقال " ابن درّاج القسطلّي " في بعض رحلاته البحريّة أيضًا:
يقُلْنَ وموجُ البحر والهمّ والدجى يموج بها فيها عيونٌ وآذانُ
ألا هل إلى الدنيا معادٌ وهل لنا سوى البحر قبرٌ أو سوى الماء أكفانُ(١٦)

يصف الشاعر حالة الانتباه الشديد المسيطرة على ركّاب السفينة. فهناك مشاهدُ وأصواتٌ تجذب بصرهم وسمعهم وتسيطر عليهم .

ومن شعره ما قاله في رحلاته البرّيّة، أكانت في النهار أم في الليل:
وللموت في عين الجبان تلوّنٌ وللذعر في غيل الغياض صفيرُ
وأعتسفُ المومأة في غسق الدجى وللأسدِ في غيلِ الغياض زئيرُ(١٧)

إنّ الشاعر جعل للذعر صوتًا . ومن البديهيّ أن يكون مرعبًا . لكنّه في سمع الشجاع الجريء صغير، ليس إلاّ . وهو بذلك يشير إلى شجاعته التي يفتخر بها . وأكثر من هذا، هو يواجه الأخطار عندما

يمشي على غير هداية ليلاً، في الصحراء الواسعة ، ولكنّه كالأسد فيها .

وقال الشاعر الأندلسي في دعوة إلى مجلس أنسٍ :

جهّز لنا في الروض غزوة محتسب  واندب إليها مـــن يســـاعد وانتدب
واحمل على خيل الهوى شيَم الصبّا  واعـقد لجيش اللهو ألوية الطـــرب
واهتف بأجـــناد السرور وقـُدْ بها  نحو الرياض وأنت أكرم مـــن ركب
جـــيشًا تكون طـــبوله عـــيدانه  وقرونه النايات تســـعدها القصب(١٨)

يصوِّر لنا " ابن درّاج القسطلّي " دعوةً إلى مجلس أنس، إذ يقوم مساعدون بتحضيره أوّلاً . وعندما ينعقد هذا المجلس، تعمّه أجواء الطرب . والبيت الأخير يشير إلى آلتي موسيقى، وهما : الطبل والناي . وهذه دلالةٌ على بعض أنواع الآلات الموسيقيّة المنتشرة في تلك الحقبة الزمنيّة .

ويمدح " ابن درّاج القسطلي " ابن عبد الجبّار بعد أن أعلن ثورته:

أدبٌ أضـــاءَ المشرقين وتحـــتـــه  حـــظٌ يئنّ إليك أنّة شـــــــاكٍ(١٩)

هو يجهر بشكواه ويبكي حظّ أدبه . لقد استعمل الشاعر كلمة " يئنّ ..." " ... أنّة ..." للإشارة إلى شدّة الألم والحزن .

وكان يمدح الشاعر " إبن أبي عامر " ويذكر تجهيزه الجيوش إلى " زيري بن عطيّة " قائلاً:

أراقمُ تَقْـــري ناقـعَ الســـمّ مالها  بـــما حـملت دون الغـــواة مقيلُ
إذا نفثتْ فـي زور"زيري"حـماتها  فـــويلٌ له مـــن نكـزها وألـيلُ(٢٠)

ويقول أيضًا :

وقـد أومَتِ الأعلام نحـــو حُـلولِهِ  وحَـنَّ من العُرِّ الجـــيـــادِ صهيلُ

فجلّى ســـــناه العدوتين وبشّـــرت خــوافــقُ رايات له وطـــــبولُ(٢١)

يشير الشاعر إلى صوت الجياد المجهّزة للسير إلى المعركة . ثمّ ينتقل للحديث عن الرايات والطبول التي تبشّر بالنصر، إذ بمجرّد رؤيتها نسمعها مبشّرة به.

وله في السوسن :
ياحســـنَهُ ســـــنٌ ضـاحك عَبَقٍ بطـــيب ريـــح الحـبيب رَيّاه (٢٢)

إنّ الشاعر يسمع ضحك السوسن عندما يراه . وهذا سمع بحاسّة البصر لا بحاسّة السمع . وهو يدلّ على شدّة جمال السوسن وزهوه في نظر الشاعر وحسن وقع مشاهدته في نفسه .

وله في الوزير " عيسى بن سعيد ":
ولا غـــــنّت لـــــي الآمال إلا وحظّ رضاك سؤلي واقتراحي(٢٣)

إنّ الغناء يبعث الفرح والسرور . وعندما يجعل الآمال تغنّي، يشير بذلك إلى تحققها، وبالتالي إلى سعادته . إذًا، إنّه يسمع ببصره غناءً .

ويقول " ابن درّاج القسطلّي" في " محمّد بن عبد الجبّار " أمير المؤمنين :
ولكم شـجاه منك في جـنح الدجـى إعـوال محـزونٍ وزفـــرةُ باكِ (٢٤)
لبسـت عليه الأرضُ ثوبَ حـــِدادَها وبـدتْ نجـوم الليل وهـي بواكِ (٢٥)

يتّضح لنا في البيت الأوّل، أنّ المحزون قد يرفع صوته بالبكاء والصياح، لشدّة حزنه، وذلك من خلال كلمة " عويل " . وقد يُطلق الباكي زفرة ينفس بها عمّا يختلج في نفسه الحزينة من مشاعر .

وكلمة " إعوال " بما فيها من أحرف مدّ، توحي بإطلاق ذلك الصوت الحزين .

وله في عيد الأضحى سنة ٤٠٣/هـ :

ولقـــد تغـــيم وما لنا مـــن وَدْقِـــها إلا خـــــواطفُ بـــرقِها ورعـــودِها
ولمواكبٍ صـــهلت إليكَ خـــــُيولُها وكتائبٍ خـــفقتْ عـــليك بنودُها(٢٦)

يصف الشاعر عيد الأضحى في تلك السنة . فهو يومٌ عظيمٌ شهد بروقًا ورعودًا. ولكنّ هذا الأمر لم يمنع المواكب من السير، إذ كان يُسمع للخيول صهيلُ.

**٣. السمع في شعر" الرمادي "**

**بطاقة تعريف :**

اِسمه يوسف بن هارون، وكنيته أبو عمر، أمّا الرمادي فلقبه . نشأ بقرطبة، وتثقف على علمائها . واكتسب صناعة الأدب من شيخه " أبي بكر بن هذيل ". وقد عاصر الرمادي عددًا من حكّام الأندلس . وكان له في عهد كلّ منهم نشاط شعريّ .

وكان للشاعر " الرمادي " في عهد الحكم، بعض الشعر السياسي الذي انتقد فيه الخليفة . وقد كان من نتائج هذا، أن سجن . فألف في سجنه مجموعة شعريّة ســمّاها " كتاب الطير " ووصف فيها كلّ طائر معروف، وذكر خواصّه، ثمّ ذيّل كلّ قطعة بمدح لوليّ العهد " هشام بن الحكم "، مستشفعًا به إلى أبيه في إطلاق سراحه . ويبدو أنّ " الرماديّ " لم يخرج من السجن إلا بعد موت المســتنصر (٢٧) .

قال " الرمادي " في قصيدته التي استقبل بها القالي :

مـن حـاكم بيني وبين عـــــــذولي الشجو شجوي، والعويل عويلي(٢٨)

إستعمل الشاعر كلمتي " عويل عويلي " وكأنّه يريد أن يسمعنا صوته الذي يعبّر عن شدّة حزنه .

ومن مظاهر استهتاره، شعره الكثير في الخمر والدفاع عنها، وفي الغلمان والتشبيب بهم، ومن ذلك قوله في غلام مسيحيّ :

قبّلته أمام قسّيسه شربت كاساتٍ بتقديسه
يقرع قلبي عند ذكري له من فرط شوقي قرع ناقوسه(٢٩)

ورد في هذا الشعر " يقرع وقرع "، وكأنّ " الرمادي " يريد أن يسمعنا هذا الصوت من خلال ترداده هذه الحروف التي تحدث قرقعة مجرّد تجاورها (ق، ع) .

ومن قصائده التي أرسلها من السجن :

على كِبَري تهمي السحابُ وتذرفُ وعن جزعي تبكي الحمامُ وتهتفُ
كأنّ السحابَ الواكفات غواسلي وتلك على فقدي نوائحُ هُتّف
ألا ظعنت ليلى وبان قطينها ولكنّي باقٍ فلوموا وعنّفوا (٣٠)

يرى الشاعر أنّ الطبيعة تشاركه حزنه في السجن . فيسمع هديل الحمال بكاءً وهتافًا، وصوت المطر يسمعه نواحًا . ولم يعد يهمّه لا اللوم ولا التعنيف .

ويقول في " العاذل" :

فهذا حمامُ الأيكِ يبكي هديله بكائي فليفزع للوم الحمائم (٣١)

إنّ البكاء نسمعه كثيرًا في شعر " الرمادي "، أكان بكاؤه أم بكاء الطبيعة . ذلك أنّ شعره انطلق من خلجات الحزن العميق، فملأ أبياته بالاسى .

وقال " الرمادي " في شعرٍ له :

وقالت تظنّ الدهر يجمع بيننا فقلت مَنْ لي بظنٍّ مُحقّق
ولكنّني فيما زجرت بمقلتي زجرت اجتماع الشمل بعدالتفرّق(٣٢)

إنّ الشاعر يزجر بمقلته، أي يطرد صائحًا ببصره . وهذا يعني أنّه يسمع بحاسّة البصر لا بالسمع . ولا بدّ أن تكون نظرته حادّة إلى درجة قويّة حتّى تُسمعَ هذا الصياح .

**٤ . السمع في شعر " ابن هانئ "**

**بطاقة تعريف :**

هو أبو الحسن محمّد بن هانئ الأزدي . ولد بقرية سكون من قرى مدينة إشبيلية سنة ٣٢٠ هـ أو ٣٢٦ هـ كما تقول بعض المصادر والمراجع . وقد كان الوالد أديبًا شاعرًا، فنشأ ابنه بين إشبيلية وقرطبة والبيرة نشأة أدبيّة شعريّة، فحصّل حظًا وافرًا من أدب العرب ودراسة لغتهم وأشعارهم، ثمّ قال الشعر ونبغ فيه . واتّصل بصاحب إشبيلية وحظي عنده . غير أنّ مقامه بالأندلس لم يستمرَّ؛ ذلك أنّه كان فيما يبدو، قد تعلّق بالدعوة الفاطميّة المرفوضة من حكومة الأندلس . فاتّصل في شمال إفريقيا بالقائد جوهر الصقلبي ومدحه، ثمّ اتّصل بالولاة ونال جوائزهم (٣٣) .

انتهت حياته نهاية غامضة . وأغلب الظنّ، أنّه قتل في مدينة برقة وهو في الطريق إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ (٣٤) .

ومن قصيدة " لابن هانئ " يصف فيها أسطول المعزّ قوله :

وما راع ملك الروم إلاّ أطلاعُها تُنشرُ أعلامٌ لها وبنودُ
عليها غمامٌ مكفهرّ صبيرُهُ له بارقاتٌ جمّةٌ ورعودُ
إذا زفرت غيظًا ترامت بمارج كما شبّ من نار الجحيم وقود
فأفواههنَّ الحامياتُ صواعقٌ وأنفاسُهنَّ الزافرات حديدُ (٣٥)

تصوّر لنا هذه الأبيات، الأصوات التي تحدثها المعركة . فتكون على ضخامتها وقوّتها كصوت الرعود أو الصواعق . أمّا الزفرات فتتجسّم وتكون كالحديد . وفي هذه الحالة، يُبصر الشاعر بحاسّة السمع لا بحاسّة البصر .

يقول شاعرنا في مدح" المعزّ ":

فلو سـمع التثويب مـن كان رمّة رفائاولبّىالصوت من ضمّه القبرُ(٣٦)

يشير هذا البيت إلى عادة اجتماعيّة دينيّة في العالم الإسلامي، وما زالت تتّبع حتّى الآن، وهي الدعاء إلى الصلاة .

وقال " ابن هانئ " يمدح الخليفة المعزّ لدين الله أيضًا ويهنئه بشهر رمضان :

ليس العجيب بأن يُبارين الصبا والعذل في أسماعهنَّ حُداءُ (٣٧)

يتضح لنا من خلال هذا البيت أنّ العربيّ عندما يسوق ناقته، كان يغنّي لها . والحداء غناء جاهلي نشأ إثر الرحيل والظعن والانتقال . ويبدو ان بعض الاناشيد الدينيّة كانت تسمع في هذا الشهر الكريم .

ويقول أيضًا في مدحه :

ملكٌ إذا نطقت عُلاهُ بمدحه خرسَ الوفودُ وأفحمَ الخطباءُ

هيهاتِ منّا شكرُ ما تولي ولو شكرتك قبل الألسن الأعضاءُ(٣٨)

يعتبر الشاعر أنّ علا المعزّ لدين الله، باستطاعته أن يطغى بمدحه على ما يقوله الخطباء والوفود، إنْ نطق. فقوله يفوق قولهم أبعادًا . وبذلك يُسمعنا الشاعر، ما يمكن أن يُقال عبرالإشارة إلى عظمة ذاك الرجل . وقد تسبق الأعضاء الألسن في شكره . فالسمع بحاسّة البصر قد يسبق أحيانًا السمع بحاسّة السمع عند " ابن هانئ ".

وله في مدح" جعفر بن علي" :

لو لم تكن في السلم أنطق ناطقٍ لكفاك سيفك أن يُجيد خطابا(٣٩)

في هذا البيت دلالة على السمع بحاسّة البصر، فالسيف يقول خطابًا، ويُجيده أيضًا .

ويقول " ابن هانئ " في شعرٍ له :

عـــبَراتٌ تـــحتها زفـــرات هـــنَّ عـنه بألســـن ناطـــقاتٍ
وكـذا الحـــبّ ضـــحكةٌ وبـكاءٌ وكذا الدهـــر ألفةٌ وشـــتات(٤٠)

إنّ الزفرات نسمعها كثيرًا في الشعر، ولا سيّما عندما يكون الحبّ هو المسبِّب، فهو يدفع تارةً إلى الضحك وطورًا إلى البكاء .

وقال يمدح "المعزّ لدين الله" :

بتنا يؤرّقـــنا ســـناه لمـــوحا ويَشـــوقُنا غردُ الحـــمام صدوحا
أمُسَـــهَّدي لـيـــل التمام تـــعاليا حـــتّى نقومَ بمأتمٍ فـــننوحا(٤١)

في هذين البيتين صوتان متضادّان، هما : صوت الغناء السعيد وصوت النواح الحزين . وهذا الأخير نسمعه في المآتم؛ إنّه جزءٌ من صورة اجتماعيّة، ما زلنا نراها .

وقال " ابن هانئ " في " أفلح " عامل برقة :

ولبســتُ ما ألبســتني من نـــعمةٍ فبها شـــكرتك لا بطـول لساني(٤٢)

إنّ الشكر يُسمع في هذا البيت بحاسّة البصر . فرؤية هذه النعمة هي الشكر بحدّ ذاته .

وقال في رجولٍ أكولٍ :

يُخفّض الوزَّ من قـــرنٍ إلى قـــوَمٍ وللبلاعيم تطـــريبٌ وتلحـــينُ (٤٣)

يشير الشاعر الأندلسيّ بسخرية إلى طريقة أكل رجلٍ، يحبّ الطعام كثيرًا . ومن الصور المضحكة، أنّه تُسمع أصواتٌ متنوّعة عند بلعه الأكل، وكأنّها تطريبٌ وتلحينُ .

ومن أشعاره التي يمدح فيها الخليفة" المعزّ لدين الله" قوله :

إن تلتفت فكرادسًا ومقانبًا أو تستمعْ فتغمغمًا وصهيلا (٤٤)

يشير الشاعر إلى سماع أصوات الرجال وقت القتال، بالإضافة إلى سماع أصوات الأحصنة أيضًا . فالكرادس والمناقب : قطع من الخيل .

ومن شعره في مدح " جعفر بن علي " قوله :

إذ عيشنا في مثل دولةِ جَعْفَرٍ والعدلُ فيها ضاحكٌ والنائل (٤٥)

يقصد الشاعر بضحك العدل والنائل، تحقيق العدالة والمعروف والعطيّة في دولة جعفر . إنّه سمعٌ محقق عبر حاسّة البصر .

وقال في رثاء والدة " جعفر":

خرستَ لعَمْرُ اللهِ ألسُنُنا لمّا تكلم فوقنا القدرُ(٤٦)

يسمع الشاعر القدر ببصره . فالمصيبة التي أنزلها بهم القدر هي الكلام الذي أسكتهم به، وجعل مصيبتهم مقبولة . ولعل في هذا القول خاطرة .

ومن شعره :

ثمَ التقينا فلا والله ما سمعتْ أذني بأحسن ممّا قد رأى بصري(٤٧)

يوازن ابن هانئ بين حاستي السمع والبصر . ويجد أنّ النظر يساعده أكثر من البصر في رؤية الأمور الحسنة بالرغم من حسن سماعها . ( أليست الأذن تعشق قبل العين أحيانا ؟ ) .

ومن مدحه للخليفة"المعزّ لدين الله" قوله :

فإن لم أشاهدْ يومها ملءَ ناظري أشاهده ملءَ الحيازم(٤٨)

في هذا البيت، يشاهد " ابن هانئ " ملءَ سمعه، أي يُبصر بحاسّة السمع .

ويقول في مدحه أيضًا :

فلا تتكلّف للخميس مـــن العـــــدى خميسًا ولكن رُعْهُ باســـمك يُـــهزم
فـما تنطِق الأرماح غير تصلصُلٍ ولا ترجِعُ الأبطـــال غير تغمـغم(٤٩)

نستنتج من خلال البيت الأوّل، أنّه أصبح للسمع دورٌ فعّالٌ وحاسمٌ في المعركة الحربيّة؛ فسماع اسم " المعزّ لدين الله " كفيل بهزم جيوش الأعداء . أمّا في البيت الثاني، فيشير إلى صوت الرماح وإلى صوت الأبطال ساعة القتال، وهو ما يُعرف بالغمغمة .

ويقول في مدحه" للقائد جوهر" :

وهمهمَ رعـــــدٌ آخرَ الليل قاصفٌ ولاحتْ مع الفجـر البوارقُ تلمع(٥٠)

يذكر " ابن هانئ " وقت وقوع المعركة . فهي تمّتْ ليلاً، لذا تُسمع الأصوات جيّدًا وتبدو كدويّ الرعد .

**٥ . السمع في شعر " ابن شهيد "**

**بطاقة تعريف :**

هو أبو عامر بن شهيد . ولد في قرطبة سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م . هو يمثّل رجل الفكر الصرف . نشأ في بيت عريق، فلم يصبح الأدب في يده خدمة، بل سيادةً . لقد رأى بعينيه سقوط الخلافة الأمويّة، فبكى في كلامه وشعره ما أصاب قصور الخلافة في قرطبة من خرابٍ ودمارٍ . وتعرض للأذى من ملوك الطوائف . وألمّ به بعد ذلك، داءٌ عضالٌ عانى مرارته في صبر التصوّف، إلى أن وافته المنيّة سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م (٥١) .

لم يصل من آثاره الشعريّة إلاّ ما حفظته مجاميع الأدب فيما رواه له " ابن بسّام " في"الذخيرة "، و" الثعالبي " في " يتيمة الدهر "، و

" الفتح بن خاقان " في "مطمع النفس "، و" المقرّي " في " نفح الطيب "، و" ابن خلكان " في " وفيات الأعيان". وأبرز ما تركه في النثر رسالة " التوابع والزوابع" وهي إلى حدّ ما تشبه رسالة "الغفران " " لأبي العلاء المعرّي".(٥٢)

من شعر ابن شهيد قوله :

وما هاج هــذا الشـــوق إلاّ حمائمٌ  بكيت لها لما ســـــمعت بكاءها(٥٣)

إنّ الشاعر يسمع هديل الحمام بكاءً، ذلك لأنّه لوّنه بألوان نفسه الحزينة، ولأنّه أراد أن تشاركه الطبيعة حزنَهُ .

**ومن قوله أيضًا :**

وقلتُ لصدّاح الحـــمام وقد بـــكى  على القصـر إلفًا والدموعُ تجـــودُ
ألا أيّـــها الباكي على مـــن تحـــبّه  كـــلانا معنىً بالخـــــلاء فـريدُ
فصـقَ من ريش الجـــناحين واقفًـا  على القرب حـــتّى ما عـــليه مزيدُ
وما زال يبكيني وأبـــــكيه جـــاهدًا  وللشـــوق من دون الضـــلوع وَقودُ
إلى أن بكى الجدران من طول شَجْونا  وأجـهش بابٌ جـانبـاهُ حـديـدُ(٥٤)

إنّ البكاء يملأ هذه الأبيات، إنْ كان بكاء الشاعر أو الحمام أو الجدران أو حتّى بكاء باب الحديد . وإنّ الشاعر يحوّل ما يسمعه إلى نغم حزين . لا بل إنّ ما يراه أيضًا، يَسمع له بكاءً . " ابن شهيد " يسمع الحزن بحاسّة بصره .

**قال ابن شهيد في الغزل :**

ما أطربت فوق الغصـــون حمامةٌ  إلاّ رأيت دموعَ عـــيني تُســـكبُ
وإذا الـــرياحُ تناوحتْ ألفـــيتني  بين الصبابة والأســـى أتقلّب (٥٥)

كان الشاعر مرهف الإحساس، إلى درجة أنّه كان يبكي عند سماعه صوت الحمام الجميل، ويتقلّب بين الشوق والأسى إذا ما هبّت الرياح .

**وقال في الدير :**

وترتم الناقوس عـــــند صـلاتهم **ففتحت مـن** عـيني لرجع هديره(٥٦)

إنّ صوت الناقوس جميل بالنسبة إلى ابن شهيد . فهو يقول "ترتم الناقوس " وكأنّه مُغنٍّ طرّب صوته و غنّى غناءً حسنًا . ولهذا الصوت ترجيعٌ، ممّا يعني أنّ الشاعر يتواجد في منطقة جبليّة، تمكّن من إحداث الصدى .

**ويقول " ابن شهيد " في وصف الربيع :**

وبها البنفسـج قد حكى بخضـوعه وقنوٌ لونٍ فـي سـوادٍ مُشـبَع
خـدَّ الحبيبِ قـد عضَضْتَ بجنّةٍ فشـكا إليك بأنّـةٍ وتوجّـع(٥٧)

إنّنا نسمع الكثير من الشكوى والأنين والتوجّع في أشعار الأندلسيين، ممّا يشير إلى شدّه تأثرهم وانجرافهم في بحر الأحاسيس العميق .

**ويقول في مدح عبد العزيز المؤتمن :**

وشـقيق نـعـمانٍ شـكت صـفحاته مـن لطـم لاطـم
وغصـونُ أشـجارٍ حـكت رقـص المـآثِم للمـآثم
حـييتْ بطـوفـان الحيا فتضاحكت والجـوّ واجـِم(٥٨)

يسمع الشاعر شكوى شقيق النعمان وهو نوع من الزهر، كما يسمع تضاحك أغصان الأشجار، بالرغم من سوء الجوّ وغزارة الأمطار . وفي هذا تواصل طبيعي بين الأحاسيس الانسانية والحس الطبيعي .

**وقال في زيارة ضيف في الشتاء :**

وما انفكّ معشـوق الثرّاء نمـدّهُ ببشْر وتـرحيب وبَسـط لسـان
تغنّيه أطـيارُ القـيان إذا انتشـى بصـنج وكـيثارٍ وعـودِ كِران(٥٩)

يؤكد هذان البيتان على الضيافة التي اشتهر بها العرب منذ الجاهليّة . فالضيف يكرّم بمختلف أنواع التكريم، ويرحّب به بأجمل ما ينطق به اللسان، وتغنّي القيان بأصواتها الجميلة وترافقها آلات موسيقيّة عديدة كالصنج والكيثار والعود .

وقال " ابن شهيد " في رسالة إلى الوزير أبي مروان بن إدريس الجزيري :

فالعود يخفقُ، والمزار يتبعُهُ وهاجرُ الراح قد هاجتْ بلابله
تُخبر بمثل الذي أنت العليم به أيّامنا والصبا تُعصى عواذله (٦٠)

يشير الشاعر أيضًا إلى نوعين من الآلات الموسيقيّة التي يحبّ العربيّ سماع أنغامها، وهما: العود والمزمار. كما يشير أيضًا إلى أنّ الأيّام تخبر وتُسمع، أي أنّها تُسمعنا ببصرنا .

ومن شعره في رثاء نفسه وقد عزم على الانتحار

أنوح على نفسي وأندب نُبلها إذا أنا في الضرّاء أزمعت قتلها(٦١)

نلاحظ من خلال هذا البيت، أنّ " ابن شهيد " شهد مرحلة قاسية دفعته إلى الانتحار. ولكنّه عكف عنه وأخذ ينوح على نفسه ويندب نبلها .

ونذكر أنّ " ابن شهيد " أصيب بنقرس في شيخوخته(٦٢)، فأهداه " ابن أبي عامر" محفة من خيزران ليُحمل فيها، وكان في مرضه يحضر مجالس الأنس، ويستخفه الطرب، فيرقص إذا أخذ منه الشراب، ويرتجل الشعر وممّا ارتجله في بعض تلك المواقف .

أنا لو كنت كما تعرفني قمت إجلالاً على رأسي بك
قهقه الإبريق منّي ضحكًا ورأى رعشة رجلي فبكى(٦٣)

إنّ الشاعر يسمع ببصره قهقهة الإبريق عندما يراه يرقص بعامّة، ويسمع بكاءه عندما يلاحظ رعشة رجله . وربّما أراد " ابن

شهيد " أن يعبّر عن موقف الجموع الحاضرة في ذلك المجلس، عندما تحدّث عن الإبريق .

ومن آخرِ شعرٍ له قوله :

فلا تنسَ تأبيني إذا مـــا ذكرتني وتذكـــار أيّامي وفضـــلَ خلائقي
عسى هامتي في القبر تسمع بعضه بترجيع شادٍ أو بتطريب طارق (٦٤)

أوصى الشاعر في آخر شعرٍ له كما يُقال، بتأبينه . ويحدّد في البيت الأوّل ما يجب أن يقال عنه وهو تذكار أيّامه وفضل خلائقه، أي تعداد حسناته . إنّه يسمعنا عنوان هذا التأبين . ويتمنّى في البيت الثاني، أن تسمع هامته بعضًا منه مغنًّى .

ولنا في المقام نفسه ما يقوله بعض الشعراء الاندلسيين :

٦. ابن زيدون :

في قصيدته " البغي يصرع " التي أرسلها إلى أبي عبد الله الكلاس البطليوس مداعبًا وقد ملأها ألفاظًا كثيرةً تدلّ على السماع، منها : أصخ، أسمع، أوتارنا تترع .

أصخ لمقالتي واسمع وخذ فيما ترى أو دعْ
وإذ أوتارنا تـــــهنو وإذ أقداحـــــنا تترع
أعـــد نظرًا فإنّ البغ ي ممّا لم يزل يصرع
تقبّل إنْ أتى خـــطب وأنف الفحل لا يقرع (٦٥) .

فقد شبّه الأنف بالجرس الذي يقرع، وهذا مثل شائع في الأندلس.

وفي قصيدته " ولمّا التقينا للوداع " أشار إلى الحاسّة في بعض الألفاظ والعبارات :

فلمّـــا التقـــينا للـــوداع غـــدية وقد خفقت،في ساحة القصر رايات(٦٦)

فقد جاء على ذكر الخفقان أي صوت الرايات التي تلوح في الهواء؛ فالحماسة تظهر في هذه الصورة بواسطة كلمة " خفقت " التي تعتمد على السمع؛ فهو بذلك يظهر مدى قوّة الصوت الذي يصدر عن الرايات . ويستخدم السمع ليدلّ على صور وليعبّر عنها، لا يستطيع النظر التحدّث عنها .

وكذلك " صفقت طبول " تدلّ على الصوت والقوّة .
وفي قصيدته " منظر وطعم وريّا " يعتمد فيها على الحواس، فقد بعث بهذه الأبيات إلى ابن جهور مع هديّة تقاح . وتظهر حاسّة السمع هنا في البيت التالي، وفي لفظة " تستهل " التي تعني رفع الصوت بالثناء .
وريّا، إذ نَفحتْ خِلتُها تُميلُ ثناءك، أو تستهلّ(٦٧)

أكثر ابن زيدون من الأبيات التي يتحدّث فيها عن الغناء :
وأطِل، إلى شدو القيان، إصاخة وتلقّ مقرعة الكؤوس دراكا
تحتثها، مثنى مثاني غادةٍ شَفَعتْ بحثّ غنائها الإمساكا(٦٨)

كما ركّز أيضًا على إحياء الجماد، فإنّ الوفاء يكون عادةً بالعمل. أمّا هو فقد نسب الصوت إلى الوفاء ليعطيه أكثر قيمة . فقد استعاض ابن زيدون عن العمل بالسمع .
تلقى الحسود أصمّ عن جَرس الوفا ولقد يصيخ، إلى الرقاة، الأرقم(٦٩)

وفي هذا البيت أيضًا إحياء للجماد كما هو دلالة على العصر، إذ إنّهم كانوا يشربون الخمر :
فهب له روح راح ينطق بأحفل حمد(٧٠)

وأبيات أخرى لها الغرض نفسه والمغزى أيضًا، وهو إحياء الجماد معتمدًا في كلّ ذلك على الصوت والسمع :
لدّة الوصل ناله، بعد يأس كلف طالما تشكى الجفاء(٧١)

**خلاصة ابن زيدون :**

إنّه وُجد في عصر يعتمد على الغناء والموسيقى، لذلك أكثر من الأبيات التي تدلّ على ذلك وتهتمّ بالسمع، كما ذكر هذه الحاسّة كثيرًا محييًا الجماد .

إذًا كان السمع يشكّل حاجة أساسيّة لكلّ إنسان عاديّ في الحياة، فهو يشكّل للضرير عوضًا أساسيًا عن البصر المفقود .فقد أثبتت الوقائع الإنسانيّة أنّ نعمة البصر تتحوّل إنْ فقدتْ إلى مزيد من حاسيّة السماع عنده، فيبدو أنّه يبصر بأذنيه ويسمع من عينيه المفقودتين، وتعلو عنده حاسيّة التوقع والتصوّر وتتغلّب الرؤيا على الرؤية حتّى يصيب الدهشة أحيانًا . ولنا في شعراء عميان أمثلة واضحة لما نقول. فها هو بشّار بن برد يصف المستحمّة وصفًا يعجز عنه الرائي . وكما أنّه يعترف في موضع لاحق أنّه يعشق بأذنه "... والأذن تعشق قبل العين أحيانًا " ...

ومع الأعمى التطيلي نلحظ هذا الاهتمام الزايد بحاسيّة السماع وأهمّيّته التعويضيّة عن البصر المفقود . وفاقد الشيء كثير ذكره .
ومن قصائده ما يدلّ على هذا الغرض بقوله:

أيا أهـل حمص وقدمًا دعـــــوت  وهـــل تســـمعون إلى مـــن دعا
يقـــلّ لأقـــــداركم كـــلّ شـــيء  فـــكيف رضـــيتم بغـــير الرضى
ألا قـــد لحـــفت لكم فاســـــمعوا  وحاجيت أن كان يغـــني الحجى(٧٢)

ففي هذه الأبيات تحريض على رجل متهاون بالله وبالمسلمين، يحرّض أهل حمص عليه، ويدعوهم إلى القضاء على هذا الرجل مستعينًا بحاسّة السمع يضرب على وتر السمع، يثير حماستهم ويدفعهم بواسطة هذه الحاسّة؛ إذ يقول لهم " هل تسمعون"؟ " فاسمعوا " فهذه الحاسّة كانت طاغية عليه، وعليها يعتمد في كلّ شيء.

كما قال لهم " كنت لكم " أي استعمل اللحن الذي هو بحاجة إلى السمع، فاستعان به للسيطرة على عقول أهل حمص .

وكـــــم أنـــــــادي لبـــعـــــد داري وأشـــدو
أنـــــا الـــــغريب ومـــن بـــلادي بـــعـــدتُ
يـــــا ويـــــــحَ علـــى حـــبيب فـقـــدتُ(٧٣)

برع في الموشّحات، الفنّ الذي يعتمد على السمع بكثرة؛لأنّه وليد الغناء والحاجة الموسيقيّة. ويعبّر في هذه الموشّحة عن لوعة قلبه وحرمانه، يعبّر عن مشاعره وأحاسيسه بواسطة النداء الذي يدعو إلى السمع، فهو ينادي ويشدو كأنّما بهذه الطريقة يستطيع رؤية بلاده أو الاقتراب منها، فلبعد الدار هو ينادي، يرسل حنينه وعطفه واشتياقه عن طريق السمع، فربّما هذه الحاسّة تعوّضه عن الحرمان الذي يشعربه وهو في الغربة، بعيدًا عن وطنه .

لمّا اجـتلبت الـــزمان قـــربه ضـــمن بعـــض الحديث عتبه(٧٤)

في هذا البيت عتاب، وهذا الأخير يكون بطريقتين، إمّا العتاب بالعيون أو بالحديث، وشاعرنا فضّل الحديث على العيون، طالما هو لا يستطيع الرؤية، لذلك كان العتاب عنده بواسطة الحديث، أي السمع الذي يفضّله على النظر، تلك الحاسّة التي حُرِمَ من الاستمتاع بها .

إذا ظـــنّ أنّي ســـــلوت حـــبّه غـــنيته أســـــتميل قـــلبه(٧٤)

وفي هذا البيت اعتماد على السمع، فهو يطلب الحبّ عن طريق الغناء، ولا يمكنه أن يستعين بعيونه ليستميل قلب الحبيب، لذلك اعتمد على الأغنية، أي على السمع علّ الحبيب يعطف عليه ويحبّه؛ فالسمع عوّض عن البصر وقام مقام اللسان في التعبير عن المشاعر .
والعمى كان ذا أثر في قلّة شعر الوصف عند التطيلي، فلم ترد له في الأوصاف العامّة إلا قصيدة واحدة في وصف سحابة ممطرة، ولم يكثر من تصوير المظاهر المحسوسة .

أمّا في المواضيع الأخرى فقد اعتمد فيها على السمع كما سبق وذكرنا، مناديا الحبيب والديار وغير ذلك ...

كما أنّه يعبّر عن شكواه من الزمن :

إلـــى الله أشكو الـــذي نحـــن فـــيه أســـــىً لا ينهنه مـــنه الأســـــى
علـــى مـــثلها فلتشـــقّ القـــلوب مكـــــان الجـــيوب وإلاّ فـــلا
فشـــا الظـــلم واغـــترّ أشـياعه ولا مســتغاث ولا مشـــتكـــى(٧٦)

فكلّ الألفاظ تدلّ على الشكوى بواسطة السمع، يعتمد عليه ليوصل شكواه وإحساسه بالظلم والأسى .

" أشكو "،" مستغاث "،" مشتكى " كلّ هذه الألفاظ تدلّ على مدى اعتماده على هذه الحاسّة ليعبّر عن حاله اليائسة . فكما طلب الحبّ من حبيبته عن طريق السمع، كذلك يعبّر عن شكواه وأساه بالطريقة عينها، فهو بنظره يعتمد على السمع ليؤثّر في القلوب، يدغدغ المشاعر والأحاسيس، ويدخل عمقها بهذه الطريقة، ويحاول أن يرسل أحاسيسه ومشاعره؛ فرسالته تصل عن هذه الطريق، فقد ركّز كلّ اهتمامه على هذه الحاسّة ليعبّر عن كلّ ما يحسّ به ويريد أن يعبّر عنه .

وكيف تَضَـاحَكُ هـــذي الرياضُ وكيف يصـــوب الغـــمامُ الحصـــى
وهـــيهات لـــــم يعتمد أن يجـــودَ ولكن لمـــا نحـــــن فـــيه بكـــى(٧٧)

هو لا يستطيع رؤية الرياض إذا كانت فرحة أو حزينة، أي إذا كانت مزهرة أو يابسة، لذلك عبَّر عنها بواسطة الضحك، فلم يقل أنّها مزهرة، بل تحدَّث عن تضاحكها، وهذا يدلّ على حسنها وجمالها . وبرأيه التضاحك هو الجمال الذي لم يستطع أن يراه بعينيه مباشرةً، فعبَّر عنه بواسطة هذه اللفظة السماعيّة الدالّة عليه .

و" الجود" و"البكي" كلّها ألفاظ تعتمد على السمع، وتدلّ على قيام الأذن مقام العين في الرؤية .

عـتاب على الدنيا وقـــلّ عـــتابُ  رضـــينا بما ترضي ونحن غضابُ
وقالت وأصـــغينا إلى زور قـــولها  وقد يســـتفز القول وهـــو كذابُ
وغـطّت على أبصـــارنا وقـلوبنا  فطـال عـليها الحوم وهـي ســرابُ
ودانت لها أفـواهـــنا وعـقـولنا  وهـل عـندها إلا الفناء ثـــوابُ(٧٨)

في هذه الأبيات دليل واضح صريح لما ذكرناه سابقا، وهو اعتماد الشاعر على الحاسّة السمعيّة للتعويض عن البصر . فالألفاظ التي استخدمها في هذه الأبيات هي خير دليل على ما نقول، وكأنّما يظهر لنا هو بذاته عن مدى اهتمامه بهذه الحاسّـة .

"قالت"، "أصغينا"، "زور قولها"، القول ، كلّها ألفاظ تدلّ على القول والإصغاء . وهي صفات تعتمد على السمع وقد أكثر من استعمال هذه الألفاظ دلالة كبيرة على الاعتماد السمعي .

كما يقول :

غـطـــت على أبصارنا وقلوبنا  ودانـت لها أفـواهنـا وعقولنا(٧٩)

كأنّما يريد أن يوصل من هذه الأبيات أن البصر محجوب عنه حقيقة، " غطت على أبصارنا " غير مستخدم؛ فهو مُغطّى لا عمل له ولا تأثير، وهو مُعَوَّض عنه بالسمع؛ إذ في البيت الثاني يدلّ على ذلك " ودانت لها أفواهنا " أي اعتمادنا على الأفواه التي تصدر السمع وتعوّضنا عن النظر المحجوب.

ففي هذه الأبيات تعبير واضح وصريح عن حاله وعن وضعه في الشعر، أي اعتماده على حاسّة السمع .

فهذه الحاسّة ظهرتْ بشكل واضح عند شاعرنا " الأعمى التطيلي "، وكانت مهمّة جدّاً بالنسبة إليه لأنّه كان ضريرًا .

وكذلك الشاعر " المخزومي " حاله حال الشاعر " الأعمى التطيلي " . كان " المخزومي " أعمى أيضًا واعتمد مثل " الأعمى " على حاسّة السمع .

**٧. المخزومي الأعمى** (٨٠):

قال لسان الدين بن الخطيب في كتابه الإحاطة :" إنّه كان أعمى شديد العشى، معروفًا بالهجاء، مسلطًا على الأعراض، سريع الجواب، ذكيّ الذهن، فطنًا للمعاريض، سابقًا في ميدان الهجاء، فإذا مدح ضعف شعره .

وبالنسبة إلى شعره أيضًا كان كثير الاعتماد على السمع كما " الأعمى" وهما متشابهان في الأشعار كما هما متشابهان في حالتهما الصحيّة، فقلّ الوصف عنده طالما لا يستطيع الرؤية وكثر الهجاء الذي كان مشهورًا به .

قدم المخزومي على غرناطة أيّام ولاية أبي بكر بن سعيد، ونزل قريبًا من الخليفة، فرأى هذا الأخير أن يبدأه بالتأنيس و الإحسان، فاستدعاه ببعض الأبيات، ثمّ وجّه له الوزير " أبو بكر ابن سعيد "عبدًا صغيرًا قاده، فلمّا استقرّ به المجلس، وأفعمته روائح الندّ والعود والأزهار، وهزّت عطفه الأوتار، قال :

دار السعيدي ذي أم رضوان ما تشتهي النفس فيها حاضر داني
سقت أباريقها للندّ سحب ندًى تحدّى برعدٍ لأوتارٍ وعيدان
والبرق من كلّ دنّ ساكبٌ مطرًا يحيا به حيث أفكارٍ وأشجان
هذا النعيم الذي كنّا نحدّثه ولا سبيل له إلا بآذان

في هذه الأبيات يظهر اعتماد المخزومي على السمع، فجميع الألفاظ والعبارات فيها معنى السمع، " برعدٍ "، "لأوتارٍ " و "عيون". هذه الألفاظ كلّها تدلّ على أصوات معيّنة؛ فهو يشبه سقي الأباريق بالرعد والأوتار والألحان، ويدلّ على المجلس الذي هو فيه بواسطة آذانه . و" البرق " و" أشجان " لهما المعنى نفسه، والدلالة

نفسها . فهو يعبّر عن السكب بالألحان والأشجان، اذ لا يرى كيف يسكبون من الأباريق، ولكنّه يسمع الصوت ويشبّهه بالألحان والأشجان والأوتار والرعد ...

يرى المجلس الذي هو فيه بواسطة السمع، بهذه الحاسّة التي تنمّي الحسّ عنده وتجعله يعبّر عمّا يشعر به كما عند " الأعمى"؛ رهيفاً، دقيقاً .

وكما ذكر " الأعمى" في بعض الأبيات وعبّر عن حاله صراحة أنّه محجوب البصر معتمد علىالسمع، كذلك المخزوميّ عبّر صراحة وبوضوح أنّه يعتمد على الأذنين لرؤية كلّ ما حوله وللتعبير عن مشاعره وأحاسيسه .

هذا النعـــــيم الذي كنّا نُحــدّثُهُ ولا ســـــبيل لـــــــه إلاّ بـــــآذان

فهذا إقرار صريح منه بحاله، وبأنّه لا سبيل لرؤية النعيم الذي هو فيه إلاّ بواسطة الآذان . فلا جدل ولا بحث في ذلك؛ فهويقرّ ويعترف أنّه يغطّي ضعفه عن طريق سمعه .

# متفرّقات أندلسيّة(٨١)

يوسف بن هارون :

أذات الطوق في التغريد،أشهى إلى أذني من الوتر الفصيح
إذا هتفت على غصن رفيع بنوح أو على غصن مريح
تضمّ عليه منقارًا ونحرًا كما فرّ الفجيع على الضريح

أو قوله :

مسمعة من غير أوتار إلا ارتجالاً وفق أشجار
كأنّها في حين تبديلها تأخذ في أهزاج أشعار
عاشقة النوّار ما أقبلت إلا بها آثار نوّار

أو قوله :

تلثم الأوتار منها بنانا يعدل الأفواه إلا الرضابا
تسبق الأبصار من وحي صوت تحسب الترجيع منه انتهابا
مثلما طارت الجفون اختلاجا أو كما شقت البروق سحابا

أحمد بن عبد ربّه :

وإنّ ارتياحي من بكاء حمامة كذي شجن داويته بشجون
كأنّ حمام الأيك حين تجاوبت حزين بكى من رحمة لحزين

ابن عبادة :

مطوّق جوّد في شدوه كأنّما طوّق إذ جوّدا
مال على الخوط فشبّهته بشاربٍ لمّا انتشى عربدا

زيادة بن علي الطنبي:

أدنت إليّ صباباتي مغرّدة أذكى الجوى بين أضلاعي ترنّمها
كأنّما مكثت في عشّها زمنًا عليّة بنت زرياب تعلّمها

ابن عبد ربّه :

رجْـــع صـــوت كأنّه نظـم درّ ما يـرى سـلكه سـوى الأذان
تنفث السحر بالبيان مـن القـو ل ولا سـحر مثل سـحر البيان

يوسف بن هارون :

علىالـورد منّي إذ قـولي تحيّة وإن مـا مضـى إقـباله ورحـيله
لقد كنت أسقى فوقه الـراح فوقنا مـن اللهو ظـلّ لا يـزول ظليله
وأوتـار مخضوب البنان كـأنّها حمام وصبري حـين ضـلّ هديله

ابن هذيل :

ومؤلف الأوصال يختلف الصـدى فيه فنحسـب صـوته تغريدا
رقـصّت معـانيه برقة أربـع صـارت عـليه قـلائدًا وعقودا
فكـأنّ بلبل صائف فـي صـدره يصـل الأغـاني مبديًا ومعيدا

جميع الأعلام مفصّلة بأدوارها في معجم الحضارة الأندلسيّة، دار الفكر العربي .

ابن عبد ربّه :

والعـود يخـفق مثناه ومثـلثه والصبح قد غرّدت منه عصـافره
و"للصـنوج" تهازيج إذا نطـقت أجابها " الكثير"المخـفية ناقـره
كأنّمـا العـود فيما بينها مـلك يمشـي الهـوينا وتتلوه عساكره
كأنّها إذ تمطّى وهـي تسـمعه كسـرى بن هرمز تقفوه أسـاوره

أبو بكر بن هذيل :

وتمتّعـت بذبابها فـرياضـها لبسـت كمـثل المـرتع المورود
غنّى فأسـمعني وغاب فـلم تقع عـيني عـليه في الكلا المنضـود
فكـأنّ وَتْر الموصـلي ومـعبد بيديه فـهو يصـوغ كلّ نشـيد

ابن هانئ الأندلسي :

رأيت بعـــيني فوق ما كنت أســمع وقد راعني يوم من الحشــر أروع

ابن حمديس :

ومـــطّرد الأمـــواج يصـقل متنه صـــبا أعلنت للعين ما في ضـــميره
جريح بأطراف الحصى كلما جرى عليه، شـــكا أوجـــاعه بخـريره

وقال أيضًا :

ويغـتابني من لو كـــفاني غـــيبه فكنت له العـــين البصـيرة والأذنا

ابن رشيق :

يا مـــن يمـــرّ، ولا تمـــرّ به القـــلـــوب مـــن الغـــرق
فـــإذا بـــدا، وإذا انثنـــى وإذا شـــدا وإذا نـطـــق
شـغل الخواطـــر والجـــوانح والمســـامـــع والحـــدق

ابن شهيد :

كأنّ هـــامته والرمـــح يحـــملها غـــراب بين عـلـــى بان النقا نعقا

وقوله :

عسى هامتي في القبر تسمع بعضه بترجيع شـاد أو بتطـريب طـارق
وقد شاقني الوُرق السواجع بالضحى ومن يسـتمع داعي الصبابة يشتق
على فنن مـــن أيكةٍ قـــد تعـلقت بحـــبل النوى مـــن قـلبي المتعلق

ابن زيدون :

وأرّق العين والظلماء عـــاكفة ورقاء قد شـــقها إذ شـــقني حـزن
فبتّ أشـكو وتشـكو فـوق أيكتها وبات يهفـــو ارتياحًا بيننا الغصـن

وقوله :

ملك درى أنّ المساعي ســـمعةٌ فسـعى، فطـاب حديثه للســـامع

وقوله :

وسألـــنا صـــــقر أطـــيا ركَ بالســـــرّ فـــأخـــبر
وغـــدا النســـر خـــطيبا إذ غـــدا القـرطـــاس مـــنبر.

## الخاتمة

يتبيّن لنا ممّا تقدّم في هذا البحث ، أنّ لحاسّة السمع نصيبًا وافرًا في الشعر الأندلسي. ممّا أتاح لنا التعرّف إلى مختلف الأصوات المسموعة وإلى أثرها في نفس الشعراء . كما تعرّفنا إلى طريقة جديدة في السمع، وهي التي تتمّ عبر حاسّة البصر، فتعكس بذلك مدى رفاهية الإحساس عند الشعراء الأندلسيين .

وأختم القول، بأنّ موضوع حاسّة السمع في الشعر الأندلسي، هو موضوع شائق وواسع ولا نهاية له . إذ تلك الحقبة الزمنيّة كانت طويلة بما يكفي، كي تولّد عددًا كبيرًا من الشعراء الذين تركوا نتاجًا أدبيًا غزيرًا . وعسى أن يكون ما أوردناه في هذا البحث من أبياتٍ شعريّة، كافيًا لبروز هذه الحاسّة في ذلك العصر .

# حواشي الفصل الثاني

١. أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، الطبعة الرابعة، ١٩٦٨، دار المعارف بمصر، ص٢٣٢.
٢. عبّاس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي في عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، المكتبة الأندلسيّة، ص١٤٦.
٣. أبو الخشب ابراهيم، تاريخ الأدب العربي في الأندلس، ص٢٢١.
٤. عبّاس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص١٤٩.
٥. هيكل أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٢٠٧.
٦. عبّاس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص١٤٨.
٧. هيكل أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٢٣٦.
٨. عبّاس إحسان، الأدب الأندلسي، ص١٤٤.
٩. أبو الخشب ابراهيم، تاريخ الأدب العربي في الأندلس، ص١٩٣-١٩٤.
١٠. هيكل أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٣١٩.
١١. د. عاصي ميشال، الشعر والبيئة في الأندلس، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت، ص٧٠.
١٢. عبّاس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص٨٢.
١٣. عاصي ميشال، الشعر والبيئة في الأندلس، ص٧٦.
١٤. د.عبّاس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص ٨٢.
١٥. د. عاصي ميشال، الشعر والبيئة في الأندلس، ص٧٦.
١٦. المقرّي التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الجزء الثالث، حققه إحسان عبّاس، دار صادر، ص٤٤١.
١٧. هيكل أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٣٣٢.
١٨. نفسه، ص٣٤٧.
١٩. ديوان ابن درّاج القسطلي، حققه وعلّق عليه وقدّم له الدكتور محمّود علي مكي، المكتب الاسلامي، ط ٢ . ١٣٨٩ هـ. ص ٦٣.
٢٠. نفسه، ص٦.

٢١. نفسه، ص٨.
٢٢. نفسه، ص٤٢.
٢٣. نفسه، ص٤٩.
٢٤. نفسه، ص٥١.
٢٥. نفسه، ص٥٢.
٢٦. ديوان ابن درّاج القسطلي، ص٦٠.
٢٧. هيكل أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٢٩٩-٣٠١.
٢٨. هيكل أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص ٢٩٩.
٢٩. نفسه، ص٣٠٤.
٣٠. عبّاس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص ١٦٦.
٣١. نفسه، ص١٦٣.
٣٢. نفسه، ص١٦٦.
٣٣. هيكل أحمد، الأدب الأندلسي، ص ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤.
٣٤. عاصي ميشال، الشعر والبيئة في الأندلس، ص٦٦.
٣٥. نفسه، ص٦٩.
٣٦. ديوان ابن هانئ، ص٢٥٥.
٣٧. نفسه، ص١١
٣٨. نفسه، ص١٢-١٨.
٣٩. نفسه، ص٥٣.
٤٠. نفسه ، ص٦٠.
٤١. نفسه، ص٧٠.
٤٢. نفسه، ص ٣٧٥.
٤٣. نفسه، ص ٣٧٦.
٤٤. نفسه ، ص٢٦٩.
٤٥. نفسه، ص٢٩٤.
٤٦. نفسه، ص١٦٦.
٤٧. نفسه، ص١٢٠.

٤٨. نفسه، ص٣٠٨.
٤٩. نفسه، ص٣٢١- ٣٢١.
٥٠. نفسه، ص١٩٣.
٥١. غومس غارسيا، الشعر الأندلسي، ص٣٩.
٥٢. عاصي ميشال، الشعر والبيئة في الأندلس، ص ٧٣.
٥٣. نفسه، ص٧٥.
٥٤. المقرّي التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص ٣٦١.
٥٥. ديوان ابن شهيد، حققه د. محمود علي مكي، ص٨٨.
٥٦. نفسه، ص١١٦.
٥٧. ديوان ابن شهيد، حققه د. محمود علي مكي، ص١٢٥.
٥٨. نفسه، ص١٥٥.
٥٩. نفسه، ص١٦٣.
٦٠. نفسه، ص١٤٦.
٦١. نفسه، ص١٤٥.
٦٢. إحسان عبّاس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص٢١٦.
٦٣. ابن بسّام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص١٧.
٦٤. المقرّي التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص ٣٦٢.
٦٥. الديوان، ت؛ د. يوسف فرحات . دار الجيل سنة ١٩٩٢ قافية العين .
٦٦. نفسه، قافية التاء .
٦٧. نفسه، اللام .
٦٨. نفسه، الكاف .
٦٩. نفسه، الميم .
٧٠. نفسه، الدال .
٧١. نفسه، الهمزة .
٧٢. الديوان، ت، احسان عباس، المكتبة الثقافية، قافية الألف .
٧٣. نفسه، الموشحات، ص ٢٧٣ .
٧٤. نفسه، ص ٢٣٥ .

٧٥. نفسه، ص ٢٣٥ .
٧٦. نفسه، ص ١ .
٧٧. نفسه، ص ١ .
٧٨. نفسه، ص ٨ .
٧٩. نفسه، ص ١٩٤ .
٨٠. انظر تفصيل حياته في معجم الحضارة الاندلسية .
٨١. كل هذه الاشعار مأخوذة من كتاب التشبيهات .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# الفصل الثالث
# اللمس في الشعر الاندلسي

## ١. اللمس وما يشبهه عند ابن خفاجة الأندلسي :

### بطاقة تعريف :

ولد أبو إسحق ابراهيم بن خفاجة الأندلسي، في مدينة شَقَر أو جزيرة شَقَر كما يسمّيها العرب. والظاهر من شعره أنّه عاش عيشة الفتّانين خليع العذار، طليق الأسار، فلم يسْمُ إلى معالي الأمور، ولم يتولَ عملاً من الأعمال العامّة، ولم يتعرّض لاستماحة ملوك الطوائف مع تهافتهم الشديد على أمثاله . وإنّما أخلى ذرعه من مشاغل الحياة، ووهب نفسه للجمال، وفكره للخيال، وحسّه للذّة، وكلّه للطبيعة. فهو يتنقّل بين رباها وخمائلها، ويجول بين مروجها وجداولها، فيقف عند كلّ رائعة، ويصف كلّ واقعة، ثمّ يعود إلى كأس رويّة فيحتسيها، أو صورة فاتنة فيجتليها، أو ثمرة محرّمة فيجتنيها . وتنقس به العمر على تلك الحال حتّى أتاه اليقين في مسقط رأسه سنة ٥٣٣هـ .

إبن خفاجة شاعر الطبيعة ومصوّرها، قد امتلأت نفسه وعينه من جمال الحياة وجمال الطبيعة، فراح يبرز هذا الجمال المعنويّ في صور مختلفة من الجمال اللفظيّ؛ فانتقى الأساليب الصافية، والألوان الزاهية، ودبّجها بزخرف البديع، ووشّاها بكثير من المجاز والتشبيه، واستطاع بافتتانه أن يقينا الملل من كثرة تكراره، ووقوفه عند المناظر الحسّيّة في استيحاء أشعاره .

### أ ـ اللمس من خلال قصائده المدحيّة :

مَدَحَ ابنُ خفاجة أصدقاءَه وأحبّاءَه، وكان لنا أكثرُ من ملتقى في قصائده تلك، مع حاسّة اللمس، والتي هي محور بحثي هذا .

ففي قصيدة " فانهض بآمل، " (١) يمدح ابن خفاجة صديقه الفقيه عبد الله بن حمدين، فيقول :

فاشفعْ لمغتربٍ رَجاكَ،على النوى، يمدُدْ إلى الخضراء راحة لامس
وامدُدْ إليه بكفّ جَدّ قائم تجذِبْ به من ضبع جَدّ جالس

يشبّه صديقه الممدوح بتلك الواحة الخضراء، التي" يَمدُد"، ويتطاول المرء العطش، الخارج من تلك الواحة الواسعة الصفراء اللون، ويلتمس الراحة بعد التعب الشديد في تلك الواحة.

وقصيدة "الله يعطي ويمنع"(٢)، قالها مادحًا القائد أبا إسحق، ويذكر محاصرته لحصن المؤريلة، ويهنئه بتقلّده كورة إشبيلية، فيقول:

تضمّ جناح الجيش حوليه ضمّة، تكاد بها أضلاعه تتقعقعُ

فهذا القائد الشهير، يضمّ بذراعيه جناح الجيش، وما هذا بالنسبة إليه إلا ضمّة سهلة .

ومن قصائده المدحيّة قصيدة " هضبة عِصمة " (٣)، قالها مطريًا صديقه الفقيه أبا أميّة :

وطول اعتناق المجد كلّ ثنيّة تمدّ إلى لمس السماء بها يدُ

هذه الصورة رائعة، إذ يمدح صديقه فيجعل ما بينه وبين السماء مسافة طول يد ليس أكثر؛ والسماء، هي المجد بحدّ ذاته، فإذًا المجد قريب من أبي أميّة، وباستطاعته التقاطه متى شاء، إذ لا يحتاج سوى مدّ اليد .

من قصائده في مدح أمير المؤمنين القائد، أبي الطاهر تميم، قصيدة" منصور اللواء" (٤)

فقلتُ رويدًا،لا تراعي،فإنّنا لنَطوي ضلوع الليل منّا على سرٍّ
وسكّنتُ من نفسٍ،تجيش،مروعةٍ، ومسّحتُ عن عطفٍ، تمايلَ،مُزْوَر
ومزّقتُ جيْبَ الليل عنها، وإنّما رفعتُ جَناحَ النسرعن بيضة الخِدر

فأمير المؤمنين قد" طوى الليل "، والبؤس والظلم والظلمة، ومزّقه، ورفع جناح النسر عن " بيضة الخدر " ـ الأندلس .

فكلّ هذه الأفعال، قام بها مستعينًا بيديه، فطوى ومزّق ورفع .

أنشد هذه القصيدة " ارتقى شرقًا" (٥)، مادحًا الأمير أبا يحيى بن ابراهيم :

سَـمَحَ الخيالُ،علـى النوى، بمزار والصـبح يمسـحُ عـن جبين نهار
خَـدَمَ القضـاءُ مُرادَهُ، فكـأنما ملَـكـَت يـداه أعـنـّةَ الأقـدار

فجعل للصبح يدين يمسح بهما عن جبين النهار، أو بالأحرى يكشف فيها عن بزوغ النهار وقدومه .

ونظم قصيدةً " كما تهوى العلا" (٦) مادحًا فيها أبا الحسن بن نعيم :
فما البطلُ الحامي، وقد صافح الطُّلى بأبيضَ بسـّام الفـِرندِ، طـرير

هنا يصوِّر صورة من المعارك بأحرفه الرنّانة؛ فيصف السيف وهو يصافح العنق، لا بل الأعناق، فيرميهم أرضًا، وهو باسمٌ دائمًا، كيف لا وهو يحامي ويذود عن الحمى !

**ب – اللمس من خلال قصائده الوصفيّة :**

أُطلِق على ابن خفاجة لقب شاعر الطبيعة؛ وذلك لكثرة ما كتب ضمن قصائده عن الطبيعة وجمالها في الأندلس . فوصفُ ابن خفاجة المدّاح والراثي أقلّ وزنًا وشأنًا من ابن خفاجة الوصّاف والغزّال، ووصفه متعدّد الألوان والإيقاعات، وغزله رقيق، صادق المشاعر والأحاسيس، ولا سيّما حين يعانق دنيا المرأة من خلال عالم الطبيعة، أو يصف الطبيعة في ضوء مفاتن المرأة، دون أن يغفل ما تمدّه به نشوة الخمرة من الصور واللمحات العاطفيّة التي تشهد له برهافة الحسّ والذوق الرفيع .

لذا، سأتكلّم ضمن هذا القسم على الوصف عند ابن خفاجة، ولا أقصد به وصف الطبيعة فحسب، بل وصف الحبيبة وغزله الرقيق بها.

ففي الإطار الأوّل، الطبيعة، لنا وقفة لا بأس بها، إذ يمدّنا بصور جميلة، تفي بشروط بحثنا هذا.

يصف نهرًا ينساب في البطحاء محفوفًا بأبرادٍ من فتنة الأرض والأغصان، فيقول: (٧)

قد رقَّ حتّى ظُـنَّ قـرصًا مفـرَغًا  من فضـــّة، في بـــردةٍ خـضراء

فالطبيعة، هذا الثوب الأخضر الباسم، الرحب، يزيّنها قرص من فضّة، مفرغٌ ينساب برقة ناعمة .

ووصف أيضًا موقدًا توزّع فيه ناظره بين رمادٍ أزرق وجمرٍ أحمر ملتهب، وذلك في قصيدة "الهبّ يلاعب الريح"(٨)

لاعـــبَ، تلكَ الريـحَ، ذاك اللّهَبُ،  فعادَ، عـيْنَ الجـدِّ، ذاكَ اللعـــبُ

هذه الصورة، جعلت للريح يدين تداعبان اللهب، فيعاوده الجدّ في ذلك اللعب . وفي قصيدة " الماء صفحةُ ضاحك"، (٩) يصف الشاعر مفاتن الطبيعة وهو يجوب في أرجائها :

نَثَرَتْ، بحجر الروض فيه،يـدُ الصبَّا  دُرَرَ الندى، ودراهِـمَ النُّـــوار

فالغمامة الغزيرة نثرت " درر الندى، ودراهم النوّار"، وهذه صورة رائعة. فكأنَّ للغمامة الكريمة يدين تنثران بكرم وعطاء لا متناهيان، الدرر والدراهم، وهما يمثّلان طبعًا الندى البارق.

وفي إطار وصف الحبيبة والغزل، قال ابن خفاجة قصائد كثيرة، يصف جمال وجه حبيبته، فيقول :

ووجـهٌ تخالُ الخالَ في صحن خـدّه  فُـتاتَهُ مِـسْـكٍ فوق جُدْوَةِ نار (١٠)

فنِلتُ مُرادَ النفس مـــن أقحـــوانةٍ  شَـــمَمْتُ عـــليها نفحـــةَ لعِرار

فرقةُ هذا الوجه وطيبته يفوقان المسك بياضًا، نعومة، وشذًا عابقًا لذيذًا . وقد نال من الأقحوانة والعِرار(النرجس) القُبَل .

كما يصف فاتنة قلبه، تميس بأعطافها كشجرة بان فينانة ظليلة، في قصيدة تحت عنوان " يجرحني طرفه" (١١) :

لله أعـــطافك مـــن خـــوطةٍ،  وحـــبّـــذا نـــورُكِ نُـــوَارا

والخوطة هي استعارة للمرأة الناعمة، فهو يمجّد الله، الواهب هذه النعومة التي خصّ بها جسدها، فانعكست النعومة إلى الخارج، لتنشر نورًا وهّاجًا يُبهر الأنظار.

كما يصفها في قصيدة " بتّ أناجيه "، لامسًا شفتيها السمراوتين، شاعرًا متلذّذًا بنعومتيهما . ووجنتاها اللتان تُشعلان الجمر لو وُضع عليهما؛ أوّلاً لقوّة حرارتهما وارتفاعهما، وثانيًا، للونهما الذي يتحدّى لون الجمر المشتعل ـ الأحمر .

ولـــــهـــوتُ فـــــــيه بـــدُرّةٍ مـــكنونةٍ فـــي حُـــــقٍّ خـــدركْ
وقـــد اســـــــتدار، بصفحـــتي ســـــــوســـــان جيدك، ظـــلُّ دُرّكْ

ومتى أصبحت الحبيبة بعيدة المنال، تجمعه الذكرى بها، يتحدّى المسافات والظروف ويعيش لحظات طبعت في ذاكرته : (١٢)

في البيت الأول، يشبّه ابن خفاجة ثدييها بالوعاء الذي احتوته يداه؛ وقد سبقه عمرو بن كلثوم إلى هذا التشبيه حين قال في المعلّقة : (١٣)

وثديًا مثل حُقّ العـــــاج رخـــصا حَصـــانًا مـــــن أكفّ اللا مســـينا

وفي البيت الثاني، يصـــف ابن خفاجة عـــنق حبيبته المســـتدير، النديّ بين صفحتيّ يديه .

وصف لقاء الحبيبة يتكرّر، فحينًا متذكّرًا، وحينًا مشتاقًا توّاقـــا : (١٤)

فما أنْسَتهُ لا أنسى ليلاً على الحِمى، وقد رقّ وضّـاحًا وراقَ جمالاً

فهذه الحبيبة رقيقة، ناعمة، تفوح نورًا وجمالاً، فتضيء بهما ظلمة تلك الليلة، التي تدفقت دفئًا من ذاك الملتقى .

وما يضفي على الموضوع حيويّة، قصيدة يصف فيها ابن خفاجة مجلسًا من مجالس السمر، توزّع فيه بين الحديث والغزل؛ "حديث كالنسيم ". (١٥)

تَسافرُ كلتا راحتيَّ بجسمه، فطورًا إلى خصرٍ وطورًا إلى نهدِ
فتهبط من كشحيه، كقتي تهامة، وتصعد، من نهديه أخرى،إلى نجدِ

حقاً هذان البيتان يستوفيان شروط حاسّة اللمس؛ فكأنّنا نلمس مع ابن خفاجة ذاك الجسد، ونسافر في طيّات تكاوينه . فتارةً نلمس الخصر صعودًا إلى النهدين، ونهبط هبوطًا سريعًا إلىالكشحين (مثنّى الكشح، الخصر )، فكأنّهما وادٍ منخفض، ونصعد بعد حين إلى هضبة عالية، مرتفعة ـ نَجدْ . وهي تضاريس جسم المرأة التي يعاشرها .

إنّه حقاً لوصفٌ دقيقٌ، يجعلنا ـ لو أردنا ـ نرسم ذاك الجسم النحيل الخصر، الممتلئ النهدين رسمًا لا شكّ في تجسيده للواقع .

ويبقى لنا وقفة أخيرة في هذا الباب، باب وصف الطبيعة والحبيبة والغزل؛ ووقفتنا هذه قالها نزولاً عند رغبة السلطان، والتي أفصح بها وزيره أبو القاسم بن الرقيق طالبًا إليه أن يقول شعرًا موطّناً له بالغزل، فأنشد؛ ومنها :

فتعاقدنا يدًا، بيدٍ، وتعاهدنا فمًا لفم(١٦)
وقبّلتُ الكأسَ من يده فاجتنينا الورد من عنم

وضمن قصيدة رثاء واحدة، وجدت ذكرًا لحاسة اللمس أو لِما يشابهها؛ وهي قصيدة قالها راثيًا، نادبًا الوزير أبا محمّد عبد الله بن ربيعة . (١٧)

فيُهدي إلى قبرٍ، بحِمصَ، تحيّةً متى تَحتمِلها راحةُ الريح تَعْبَق

و تتكرّر صورة ابن خفاجة ليديّ الريح، اللتين تنشران التحيّة، فيعبق شذا محبّته وشوقه وأسفه . فشاعر الطبيعة يشارك الطبيعة فرحه ـ حبّه ـ لقاءاته وأحزانه ـ رثاءه وشوقه .

**قيمة شعره :**

لم يبتعد ابن خفاجة في أكثر معانيه عمّن تقدّمه من شعراء العرب بعامّةٍ، وشعراء بني العبّاس بخاصّةٍ . ولكنّه انماز بتلك النزعة الأندلسيّة التي يتمثّل فيها شغف الشاعر بطبيعة بلاده، واستسلامه إلى سحر جمالها، فإذا هما روحان متّصلان . فكأنّ الطبيعة نفس وجسد؛ لها يدان ترسمان جميع الصور وتجسّدان جميع الأخيلة، لا يخلو فيها غرض من أغراضه، ولا يتخلّى عنها خاطر من خواطره . إبداع ابن خفاجة لا ينكر في تفتّنه وتلطّفه والتصوير والتعبير، بحيث تظهر على معانيه الجدّة والطرافة : ألفاظها بليغة التأثير، شديدة التصوير، رقيقة الإيحاء، شفيفة الرمز، ولاعجب حين لقّب بصنوبريّ الأندلس . وقد لمسنا في لمسات شعره دبيب الحياة؛ فإذا وصف المرأة ناضرًا نضارة الطبيعة، وإذا الطبيعة رامزة لصورتها . كلاهما الأنثى وقد أحسن الشاعر التعامل معهما.

يـــا بانةً، تـــهتزّ فـــينانةً  وروضـــةً تتفـــحُ، معـــطـــارا
لله أعطـــافك مـــن خـــوطةٍ  وحـــبّذا نـــورُك نـــوّارا

ويشرب الخمرة فيزوّجها في أحشائه بألوان الطبيعة .

وشـــربتُها عذراءَ، تحسبُ أنّها  معصـــورةٌ من وجـــنتَي عـــذراءِ
خـــذها كما طلعت عليك عرارةٌ  مفـــترّةٌ عـــن لؤلؤ الأنـــداءِ

كما تظهر الطبيعة في مدائحه ومراثيه؛ كرثاء ابن أخته محمّد وقد مات في" أغماث" قرب مراكش .

أرقتُ، أكفّ الدمعَ طورًا وأســفحُ  وأنضـحُ خـــدّي تارةً ثمّ أمســحُ

وتشغل يد الطبيعة شعر ابن خفاجة بجميع ما تعرض له من حسن ونضارة وزينة وحلي وأصباغ وألوان، وعاطفة، حتّى بدت لغته تمتاز بالنعومة والانسجام . يحلّي معانيه استعارات وتشابيه

وضروب جميلة، ويلقها أحيانًا غموض الرمز وغلالة الإيحاء، فيبدو عليها اجتلاب التكلف .

**٢. حاسّة اللمس عند ابن زيدون :**

**بطاقة تعريف :**

ولد أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون بقرطبة سنة ٣٩٤/هـ . وكان أبوه من وجوه الفقهاء وعيون الأدباء؛ فدرس عليه وعلى غيره الأدب والعلوم، ورُزق في الإنشاء قريحة طيّعة، وطبعًا سليمًا .

ونرى حياة ابن زيدون العامّة مضطربة شاقة، ولم تكن حياته الخاصّة بأقلّ منها اضطرابًا؛ فقد ابتلى وهو في قرطبة بحبّ ولّادة بنت المستكفي أحد خلفاء بني أميّة، وكانت شهيرة بالجمال والأدب، شاعرة، سافرة، تساجل الشعراء وتجادل العلماء .

شعر ابن زيدون هو الصورة الصحيحة لشعر الأندلس، لانبجاسه من أعماق فؤاده، وانبعاثه من طبيعة بلاده . فلم يجر جريان ابن هانئ وراء شعراء المشرق يحاكيهم ويحتذيهم؛ لأنّه لم يتّخذ الشعر وسيلة من وسائل الرزق، ولا سبيلاً من سبل الشهرة، وإنّما كان يشعر لنفسه، ويعبّر عن نزوات حسّه . وهو آخر شعراء بني مخزوم، وأوّل معاصريه رقة ودقة .

تقرأ في شعره أجود ما خصّت به الطبيعة الأندلسيين من وصف المناظر، وشرح العواطف، وسموّ الخيال، وصفاء الديباجة . وقد تظهر أحيانًا على فخره ومدحه علائم الضعف، إلاّ أنّك لا تجد ذلك إذا تغزّل أو تشدّق أو استعطف، فإنّ طبعه في هذه الأغراض فيّاض، وقلمه لشرحها مجيد . وسبب ذلك ما قاساه من ظلم ابن جهور له، وما عاناه من نفور ولّادة منه وبعدها عنه . وهو حينًا يمدح ويستعطف، وحينًا يتغزّل . ولنا في شعره وقفة صغيرة، ففي قصائده الثلاث، واحدة مدحيّة، والثانية رثائيّة، والثالثة اعتذاريّة، استشقيت ملامح حاسّة اللمس.

ففي قصيدة "إلى الله أوّاب "(١٨)، يمدح فيها أبا الحزم بنَ جهور، ويشبّهه بالسيف ذي الحدّين - الليّن والخشن .

له عَزمةٌ مَطويَّةٌ، في سكينةٍ، ما لانَ مَتْنُ السيف،واخشوشن الحَدّ

فعزيمته تغلفها سكينة، كالسيف الذي يلين متنه ويقطع حدّه .

وقال يرثي المعتضد الراحل، ويمدح ابنه المعتمد وقد أمسك بمقاليد الأمور؛ وشبّه المعتضد بالشمس التي ضمّها القبر براحتيه : (١٩)

ألم ترَ أنّ الشمس قد ضمّها القبر، وأن قد كفانا، فقدنا القمر، البدرُ

ويعتذر ابن زيدون لأبي عامر ذي الوزارتين بعد عتاب، فيقول له بأنّ العيش النعيم في ظلاله كالوشي على الخدّ :

وهل أنسى لديك نعيمَ عيشٍ، كوشي الخدّ، طُرِّزَ بالعِذار؟

فإذا لم يكن للخمرة أثر في الرأس والجسم، فكيف يكون الحال مع المرأة ؟

وتابع ابن زيدون قوله :

وإذ هصرنا فنون الوصل دانيةً قطافُها، فجنينا منها ما شينا (٢١)

وقال أيضًا من قصيدة " المعاذير فنون " يصف لين قدّ حبيبته :

عجبًا للقلب يقسو منكِ، والقدُّ يلينُ (٢٢)

وفي الضرب أيضًا لمسٌ، قال ابن زيدون في قصيدة "ضرب الحبيب"، وضرب الحبيب زبيب كما يقال :

إنْ تكنْ نالتكِ بالضربِ، يدي وأصابتكِ بما لَمْ أُرِدِ (٢٣)

وقال يصف وصلَ حبيبته في قصيدة " جمرة الجسد":

كما اتّصلتِ اتّصال الخِلبِ بالكبِدِ ثمّ امتزجتِ امتزاجَ الروح بالجَسدِ(٢٤)

وقال في السياق نفسه من قصيدة " حسبي تسليمة" :
وإنْ عَـــرَضَتْ غـفلةٌ للرقيبِ، فحَسْـــبيَ تســـليمةٌ تُختَصَرْ(٢٥)

وقال يصف نعمة التصاق جسميهما :
ونـــعمنا بلفّ جسمٍ بجســـــمٍ، للتصـــــافي، وقـرع ثغرٍ بثغرِ (٢٦)

وممّا قاله في اللمس من قصيدة " منظر وطعم وريّا :
يمثـــــلُ ملمسَـــــها للأكـــفّ لـــينَ زمـــــــانِكِ أو يـــمتثلْ (٢٧)

وفي قصيدة "خلق عذب" يتطرّق إلى معنى اللمس بصورة مجازيّة تدلّ على براعة ابن زيدون في اختلاق الصورة . (٢٨)، فيقول :
إذا هو أهدى الياســـــمين بكفه أخذتُ النجومَ الزُّهرَ مـن راحة البدر

وهو إذا أهدى زهر الياسمين بكفه حسبت أنّني آخذ النجوم المشعّة من راحة البدر .
وفي معرض آخر في مدحه المعتضد يصفه بأنّه شكا، من قبل، حملَ التعاويذ عندما كان يافعًا ليحمل مهنّدًا مرهف الحدّ .(٢٩)
وقِـــدمًا شكا حملُ التمائم يافعًا ليحـــملَ رقـــراق الفِرندِ،مـــهنّدا

حتّى إنّ المعصم في يد الحبيب يصبح وسادة للشاعر(٣٠)، فيقول:
لأميل في سُكر اللمـــى فيبيت لي ممّا حَـــوَى ذاك الســـوار وسـادُ

إلى ما هنالك من أبيات منثورة طيّ القصائد لم يتعمّد ابن زيدون تصوير اللمس فيها، إنّما جاءت سفاحًا .

**قيمة شعره :**
تنوّع شعر ابن زيدون وتنقل بين الأغراض الشعريّة كافة ً . مدائحه كثيرة في أبي الحزم بن جهور والمعتضد والمعتمد وبعض

أمراء الطوائف . يستهلّ هذه المدائح غالبًا على طريقة القدماء؛ ممّا يدلّ على أنّه لم يتخلّص من رواسب القديم . والمعروف أنّ ابن زيدون قد عاش في بيئة تختلف عن تلك التي عاش فيها المشارقة، ومع ذلك ظلّ يقترض الصيغ والتعابير من الشرق القديم .

لُقّبَ ابن زيدون ببحتريّ الغرب لسببين :

١ ـ طول النفس إذ جاءت قصائده في فتيّ المديح والغزل طويلة .

٢ ـ ولوعه بالزخرفة الشعريّة وبالصناعة البلاغيّة حيث إنّ أكثر قصائده غنيّة بالمحسّنات والبيان.

أمّا شعره في ولادة التي ارتبط اسمها بشهرته فهو من الغزل الصادق . تتجلّى في معانيه عاطفة متأجّجة تترجّح بين الشكوى والألم والعتاب والحنين والذكرى والرجاء والأمل باللقاء . وشحن غزله ببعض وجوه النقمة على الوشاة والحاسدين والمبغضين . وحقد على الدهر الذي أصابهما بعبثه فأبعد قلبين تصافيا الودّ . واللافت في غزله، ميله إلى المبالغة كأنّه كان يقصد التأثير في السامع وكسب عواطف القرّاء .

إذا كان ابن زيدون معجبًا بالمشارقة، فذلك لا يعني التقليد الأعمى لدرجة الميوعة أو الببّغائيّة . فله الكثير من المعاني المبتكرة التي تصنّفه في طليعة التجديديين الأندلسيين .

**٣. اللمس عند الأعمى التطيلي :**

**بطاقة تعريف :**

يقول ابن بسّام في الذخيرة " وصفه بالفهم الفائض، والذهن الدرّاك لخفيّات الغوامض، والبصيرة المبصرة لأسرار المعاني بعين الاطّلاع، والفكرة من معادن الفرائد، فرائد الجوهر بيد الاطّلاع؛إن فقد المرئيّات لفقد ناظره، فقد أحصى مغيّبات النكت بناظر خاطره . لم يغز جفني نجمه بالهطول، ولم تعمر حياته بالطول ..."

ويزيد من شعوره بغيوم الأسى استشعاره بالضياع في ميدان الحياة عامّة، فهو شاعر مدّاح، وهو كغيره من المدّاحين مؤرق النفس بسبب الرزق، ويرى نفسه أداة معطّلة إذا لم تستطع أن تثير الرزق من طريق شعره وتحرّك أريحـــة الممدوحين،

ولذلك كان يحسّ أنّه مغفّل مجفو أو ضائع المجهود إذا واجهه الحرمان : (٣١)

وكم نطفةٍ من مـــاء وجهي أرَقتُها بـودّي لوأنّـــي أرَقتُ لها دمـــي
وما لمتُ نفسي يـوم جـــئتُكَ مادحًا ولكنّه مـــَـنْ يَحْـــرم اللهُ يُحـرَم
أأ كسِرُ قوسـي بعـــد عـــلمي بأنّني رميتُ فما أخطأتُ شـــاكلة الرمـــي

فإذا وافاه الرزق، أحسّ أنّه انتشل من ضياع " (٣٢)

وألتمسُ العَـــلاء بـــغـــير مـــالٍ سوى الشـــكوى بقلبٍ أو بعَيْن
أهـــــنّيكَ المكـــارمَ والمعـــالي وأنك منـــهما فـــي حِـــلْيتين

ولعلّ العمى كان ذا أثر في قلّة شعر الوصف عند التّطيلي، فلم ترد له في الأوصاف العامّة إلاّ قصيدة واحدة في وصف سحابة ممطرة، ولم يكثر من تصوير المظاهر المحسوسة إكثاره من وصف شيئين هما : السيف والرمح؛ وهو إلى وصف الأوّل أميل، وإذا ذكر السيف في قصيدة فتوقع أن يستطرد إلى الحديث عينه، وأن يطيل في حديثه ... ويستمرّ في وصفه له على هذا النحو. ثمّ يمضي إلى وصف الرمح؛ ومن الكثير أن يسمّى هذا اللون وصفًا؛ لأنّه ليس إلاّ تقديرًا لشخصيّة السيف، وتأمّلات حول طبيعته وما يستطيع تحقيقه، ومثل هذا في قصائده كثير .

أمّا حاسّة اللمس، فتظهر في غير تلك القصائد الوصفيّة، تظهر حينًا في قصائد رثائيّة، وحينًا آخر في قصائد غزليّة .

في باب الوصف المحدود عند الأعمى التطيلي، انتقيتُ قصيدتين وصفيّتين؛ في الأولى يصف المطر، وفي الثانية الطبيعة : (٣٣)

وأصاخت إلى الجنوب تَقَصّى  أثرَ الجَدْبِ في أقاصي البلاد
كلما عَرّجتْ بوادٍ من الأر  ض حَداها فحثّها ذكر واد

فنقطة المطر عمياء كحال شاعرنا تتقصّى وتستكشف طريقها لتصل إلى أقاصي البلاد الجدباء . (٣٤)

تجري فللماء ساقا عائمٍ دَرِبٍ  وللرياح جَنَاحا طائرٍ ذكرِ
قد قسّمتْها يدُ التدبير بينهما  على السواء فلم تَسْبَحْ ولم تطر
وأتْرَعَ الوَهْدَ من ازبادِ لجّته  كالترس يَثْبُتُ بين القوس والوتر
فالأرضُ ملساءُ لا أمْتٌ ولا عوجٌ  كنقطةٍ من سَراب القاع لم تَمُر

يد الله حاضرة وناطقة بجمال هذه الطبيعة، لا بل في أهمّ عناصرها ـ الماء والرياح؛ فقد خصّت هذه اليد الماء بالسباحة والريح بالطيران، وهي عادلة التدبير في قسمتها تلك؛ والعنصر الثالث، التراب، له رقة خالية من الاعوجاج، وذلك طبعًا، من تدبير الله؛ فبوركت تلك اليد التي خلقت وتحمي .

وهذه الطبيعة، للأعمى التطيلي، تلمسّها بيديه، وإلا لما استطاع وصفها بهذه البصيرة التي تفوق وصف كلّ مبصر .

وقد تكلّمتُ سابقاً، عن دقة واستفاضة شاعرنا بوصف السيف، ولنا خير شاهد على ما تقدّم ذكر ذاك البيت القائل فيه : (٣٥)

وجرّد السيف مطرورًا تصول به  يمنُ عزمٍ كحدِّ السيف مطرور

وكلمة مطرور تعني السيف المحدَّد .

وبانتقالنا من وصف الطبيعة والسيف، إلى الغزل ووصف الحبيبة، أستوقفكم لبرهة، لأقول بأنّ لشاعرنا امرأة فقدها وأفقده إيّاها الموت، وقد رثاها بقصيدة لا تقلّ عن الصفحات الستّ، ولكنّه لم يصف محاسن جسدها ورقته أبدًا، ولعلّه بذلك يؤمن بخصوصيّة حياته وقُدسيّة زواجه . تغزّل بالمرأة واصفاً، متلمّسًا وجنتيها، التي

خطّت التجاعيد فيها أثلاما، فاستنهض شاعرنا الشباب متذرّعًا بأنّ الورد ينبت في الحفر أحيانًا . (٣٦)

يجول ماء الصبا في صحن وجنته  وينبت الورد أحيانًا بها الحفرُ

وقدّ محبوبته ليِّن الملمس، ولكن قلبها قاسٍ كالحجر . (٣٧)

نلتُ المنى من غزال وصله حرمٌ  يلينُ قدّاً، ولكن قلبه حجرُ

ويمدح الأخلاق الحميدة في رجلٍ، نال ما نال من الثناء والحمد، فلم يزده ذلك إلاّ مجدًا وتهذيبًا لا كبرياء وتعظيمًا : (٣٨)

ألا لتبك قناة الدين حطّمتها  لماجدٍ لم يدع في متنها أوَدا
مهذّب لم يهزّ الحمد معطفه  إلا تهلّل مجدًا واستهلّ جدا

وفي الموضوع نفسه، قال :

من لا يقدّم في غير العلا قدمًا  ولا يمدّ لغير المكرمات يدا
ولا البلابل من مثنى وواحدة  باتت تسلّ سيوفاً أو تسنّ مدى (٣٩)

وقبل أن أنتقل إلى النقطة الأخيرة، الرثاء في شعر التطيلي، كان له مواقف حكميّة من الحياة وظروفها :

عزاءك، إنّما الإنسان نهبٌ  على أيدي الحوادث والخطوب (٤٠)

وبعد انغماسه في لذّة، وتفرقته في سبيلها كلّ ما حوى الكفّ كالأخرق الناثر، عاد فنظّم شمله :

نظّمت بها شملي وكنت نثرته  على خطّة في كفّ أخرق ناثر(٤١)

وقبل الوصول إلى المثوى الأخير، حيث النواح والرثاء؛ يستوقفنا بيتٌ شعريّ لشاعرنا يصف، فيه منازعًا(٤٢)، يتعارك والموت، فيلومه على لينه عندما كان قديرًا، ويقابله بخشونته وقد صار عند الباب الفاصل ما بين الحياة والموت، فهو يتمسّك بهذا الباب، محاولاً البقاء ها هنا؛ كيف ذلك والموت شاطئ، تتغيّر رماله،

ترسو سفن حياتنا عنده؛ فإمّا نغرق في رماله المتحرّكة، وإمّا نستمتع بجماله .

خشـــنتَ فـلـــم تترك وأنت منازع ولِنتَ ولـــم تـــأخـــذ وأنت قـــدير

ونصل، إلى المرثيّات التي خصَّ بهنَّ النساء، في أغلب الأحيان:

لـئـــن نفضـوا الأنامل مـن ثـــراها لقد ملأوه مـن حســـــنٍ وطيب (٤٣)

قبر تركنا بـــه العـــــليّا مغمّســـــة مابين قســـوة أحجارولين ثرى (٤٤)

فهذا المثوى الأخير، حيث انحدرت إليه العليّا، وانغمست ما بين قسوة الأحجار ولين الثرى، مرجع لا مفرّ منه لكلّ امرئ مهما عظم شأنه وعلت به الحياة.

**قيمة شعره :**

في عصر الأعمى التطيلي أصبحت مراكش عاصمة الأندلس . هذا الأمر له دلالته السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة . عصر المرابطين هذا ترك أثرًا كبيرًا في الشاعر، حيث انقطعت الصلة بين الشعراء وأمير المسلمين وأخذ الفقهاء مكان الشعراء . فاء الشعراء إلى الرجال البارزين فعلاً شعر التكسّب واستوى الشاعر والوشّاح والزجال في هذا، وكانوا جميعًا يمدحون الفقيه أو القاضي صاحب المدينة. بل قد يكون الممدوح غلامًا عيارًا جميلاً يمزج الشاعر أو الوشاح أو الزجّال بين مدحه له وتغزّله فيه . ووضحت سيادة المرأة وامتدّ نفوذها . وهذا ما يفسّر اهتمام التطيلي بهذه الظاهرة النسائيّة في مدحه للحرّة حوّاء، وفي مراثيه . وخير ما صدر عنه رثاؤه لزوجته الذي مثّل حلقة في سلسلة الشعر الأندلسي الرقيق . ولعلّ العمى كان ذا أثر في قلّة شعر الوصف عنده . فلم ترد له في الأوصاف العامّة إلاّ قصيدة واحدة . ولم يكثر من تصوير الملامس إكثاره من وصف شيئين،هما:السيف والرمح. يقول لسان الدين بن الخطيب في شعر التطيلي:"وشعره متقدّم في شأو الإجادة سابق، ليس فيه لاحق ... وله

أراجيز، حرّر أساليبها وأجرى في شأو الإعجاز أعاجيها، مع تقدّم في سرعة الحفظ " (٤٥) .

ولعلّ التطيلي أحرز في عصره شهرةً بالموشّح أكثر من الشعر، حتّى صار توشيحه مثلاً سائرًا في الناس . ولم يترك الأندلسيّون مقاييس محدودة للجودة . فنرى بعضهم يستحسن أو يستهجن من زاوية ذوقيّة محض .

وإذا نظرنا في موشّحات الأعمى، وجدناها متفاوتة متنوّعة في الشكل والموضوع ونوع الخرجة، وهذا التنوّع نفسه هودليل القدرة . وربّما كانت هذه القدرة هي أساس المفاضلة بين وشّاح وآخر .

والغزل بالذكر شيء يكاد لا يلتفت إليه الشاعر في القصيدة ، بل يمرّ ذكره في الموشّحات كظاهرة حضاريّة شاعت ألوانها في الأندلس وفي عصري المرابطين والموحّدين .

ومهما قيل في شعره يبقى أنّ موشّحاته اعتبرت مقياسًا دقيقًا للباقة في القول وللحلاوة في الصياغة والقدرة العامّة على بناء التعبير واحتراف التصوير فما فقده من حاسّة البصر عوّضه في غير حاسّة كالسمع مثلاً، أفلا تعشق الأذن قبل العين أحيانًا ؟

### ٤. اللمس في بضع أبيات ابن حزم : (٤٦)

**بطاقة تعريف :**

هو علي بن احمد بن سعيد بن حزم ولد في قرطبة ٣٨٤/هـ في أسرة غنية وعريقة في العلم والادب . من كتبه المشهورة : طوق الحمامة في الألفة والألاّف . يرى ابن حزم أنّ الأندلسيين يغالون في انتقالهم من الهوى المضني إلى الدعابة،من تعابير الخضوع المذلّ لمعشوقة واحدة، إلى المقاضاة الساخرة جرّاء جراحات الحبّ . وابن حزم، على عكس ابن خفاجة، يفضّل أن يقابل محبوبته في الحلم مخافة أن تتلاشى في اليقظة من لمس يده :(٤٧) .

أغـــار عـــليك من إدراك طـــرفي وأشـــفق أن يـــزيـــدك لمسُ كـــفي
فـــأقـــتنع اللقـــاء حـــذار هـــذا وأعـــتمد التلاقـــي حـين أغـــفـــي

فـــروحي إن أنـــم بـــكِ ذو انفـــرادِ  مـــن الأعضـــاء مســـتتر ومخـــفي
ووصـــل الروح ألطـــف فيك وقعًا  من الجســـم المواصـــل ألف ضعفِ

**قيمة شعره :**

كان ابن حزم يقول الشعرعلى البديهة، فقال بعضه قبل بلوغ الحلم وأكثر ما نظمه دون العشرين، إنّما كان تغزّلاً ورثاء لجاريته "نِعْمَ" التي فقدها . وكان يصنع أحيانًا الشعر بتكليف . فلم يكن له وقتٌ معيّن لذلك . وكان بينه وبين ابن شهيد مقارضات شعريّة، غير أنّ أمورًا كثيرة حالت بينه وبين التجويد الشعري منها :

١ ـ إكثاره من القول على البديهة .
٢ ـ عدم إيمانه بقيمة الشعر في باب العلوم المقرّبة من الله .
٣ ـ عدم تدقيقه في اختيار الألفاظ ذات الوقع الجميل في النفس .
٤ ـ اعتقاده أنّ الشعر ميدان يصلح لكلّ موضوع .
٥ ـ استبحاره في الفقه والجدل والحديث وغلبة طرائقه في هذه العلوم على الشعر .

لذلك قلّ التعبير الجميل في شعره، وإن كان شعرًا زاخرًا بالمعاني، وكثرت المؤثرات الثقافيّة والإرشادات إلى العلوم والعقائد والبناء الجدلي، فامتلأت بعض قصائده بالحكمة، وبعضها اتّجه إلى تمجيد الزهد وتسبيح الله .

أنا الشمس فـــي جـــوّ العلوم منيرة  ولكـــنّ عيبي أنّ مطلعي الغـــربُ

وفي شعره جانب دقيق قد نسمّيه "الجانب الباطني". كان يهرب إليه أحيانًا من قسوة الظاهر وحدّة صلابته . وهذا ما اشتهر به وبرع . ومَن تأمّل هذا اللون في موضوع الحبّ خصوصًا يلحظ أنّ نفس ابن حزم تأنس بهذه الروحانيّة الغيبيّة كلّما وجدت قلقًا من التشدّد في الأخذ بالظاهر. وبوجهٍ عامّ لم تطغَ عليه صناعة؛ فألفاظ شعره سهلة، محكمة التأليف، ينطوي على أحاسيس عاطفيّة ويغلب فيه المعنى على اللفظ والعمق على السطحيّة .

## ٥. اللمس عند ابن هانئ الأندلسي :

### بطاقة تعريف :

نشأ في أشبيلية عل حظ وافرٍ من الادب ومهر في الشعر، لا يقلّ ابن هانئ الأندلسي(٩٣٧م - ٩٧٢ ) في الغزل مكانةً عن ابن خفاجة أو ابن زيدون، أو غيرهما من شعراء الأندلس :

امسحوا عن ناظري كحلَ السّهادْ  وانفضوا عن مضجعي شوك القتادْ(٤٨)

فهو يدعو الصحاب إلى تحريره من قبضة السهاد الذي بات كالكحل في عينه، وتكسير الشوك الذي يؤلمه ويؤرقه؛ وهو شوك كالإبر، صلب، لا ينكسر .

كما قال في المدح شعرًا رائعًا، منه مدحه لجيشٍ، الدروعُ عبيرهم ، والقوّة نداهم، حتّى إذا ما دخلوا معركة لرأيتهم كالسفن السابحة في بحرٍ أحمرَ، بحر ماؤه دمٌ .

وتظلّ تسبح في الدماء قِبابُهم  فكأنّهنّ سفائنٌ في أبحر (٤٩)

قال أيضًا في اللمس من قصيدة مصرع العالمين ص(٣٣) من الديوان : (٥٠)

وأنتَ اليمينُ فصِلْ بالشمالِ  فما بيدٍ عن يدٍ من غِنى

وقال في قصيدة " سيف كالأجل " ص(١٧٤):

كأنّما مَسَحَ القيْنُ الجريءُ به  كفاً وقد نَهَشَتْهُ حيّةٌ ذكرُ

وقال في قصيدة " هذا المعزّ ابن النبيّ " يذكر الغانيات الحسان (ص٢٠٢):

فلقد هززْتُ غصونها بثمارها  وهصرتُهنّ مهفهفًا فمُهفهفا

وقال يشبّه الليالي بالقدود النواعم من قصيدة " أفضل الناس " (ص٣٤١):

فثمّ زمانٌ كالشبيبة مُذهَبٌ  وثمّ ليالٍ كالقدود نواعمُ

وقال أيضًا في وصف حبيبته من قصيدة : " أدارُ المالكيّة ما أرى؟" ص٣٤٤

أضمّ عليها أضلعي وكأنّها من الذعر نشقى أو تطرّقها لمَم

وقال أيضًا في القصيدة نفسها :

ولم أنسها تثني يدي بمطرَّفٍ لطيفٍ على المسواكِ مختضِبٍ بدم

وهذا ابن خاتمة الأنصاري يقول واصفًا حبيبته من ديوانه (٥١) (ص٤٨):

لو أنّها يومًا تضمّ لصدرها مَيْتًا لَثابتْ نفسُهُ في الحين

كما أنّه يتحسّس حبيبته بين سواعده، قال (ص٥٦) من الديوان نفسه :

حتّى ثنتها الراحُ طوعَ سواعدي والراحُ تعلمُ كيفَ أخذُ الثار

وقال أيضًا يصف أنامل حبيبته النواعم (ص٦٥):

خَضَبَتْ أناملَها النواعمَ من دمي عَمْدًا، وقلّدتِ الفؤادَ ذُنوبها

**قيمة شعره :**

يسير شعره في الاتّجاه المحافظ الجديد الذي كان على رأسه بالمشرق في تلك الفترة أبو الطيّب المتنبّي . بل إنّ ابن هانئ قد تأثر كثيرًا بأبي الطيب حتّى كان الأندلسيّون يقارنونه به . غير أنّ شاعرنا كان مع ذلك ذا شخصيّة شعريّة متميّزة وسمات فنّيّة خاصّة .

١ ـ **الحدّة الشعريّة :** تتّضح هذه الحدّة لتشمل مضمونه وشكله على السواء . فهو فنّان حادّ في فنّه الأدبي، صارخ في لونه الشعريّ، يبدو ذلك في معانيه وصوره، وفي ألفاظه وتعابيره، بل في أوزانه وقوافيه.

أمّا الأفكار، فيلاحظ أنّه يتعمّقها ويبالغ فيها أحيانًا، ولا يهمّه بعدها أيقبلها العقل أم لا ؟ أينكرها الدين أم لا ؟ وقد يرفض الذوق ويأبى هذه الحدّة حين يقول في كرم بعض ممدوحيه :

مـــن كـــان أوّل نقطـــة في مـــهده  أن قال أهـلا للعفاة ومرحـــبا (٥٢)

وتكون الحدّة مقبولة حين تكون أكثر عمقًا في الفكرة، وصدقًا في التجربة وحرارة في الإحساس . وهو حاد في صوره الشعريّة أيضًا؛ يوسّع رقعتها ويبرز خطوطها ويظهر ألوانها إلى حدّ التلوين "الكاريكاتوري" . كما أنّه يؤثر في ألفاظه الفخامة والجرس العالي والرنين الواضح؛ فقلّما نجد له شعرًا من الأوزان القصيرة برغم قصر عمره . وغالبًا ما يختم شعره بالقوافي الفخمة التي تملأ الفم وتزحم السمع.

٢ ـ **المذهبيّة السياسيّة** : لا يؤمن بالفنّ فقط، إنّما يستخدمه في تدعيم مذهب يميل إليه، يتّصل بالحركة الشيعيّة التي كانت سببًا بطرده من الأندلس واتّصاله بالفاطميين. لذلك كثرت في شعره المصطلحات الشيعيّة وآراؤهم وروح دعوتهم . واشتمل أسلوبه في كثير من المواطن على الحجج والجدل والتعليل والتدليل ومحاولة الإقناع المنطقيّ،لا التأثير الوجداني . وقد شكّل شعره مادّة صالحة لإغناء التراث الأندلسيّ .

**٦. اللمس عند ابن حمديس :**

**بطاقة تعريف :**

ولد عبد الجبار بن حمديس بجزيرة صقليّة، وعرف في بيئته منذ حداثته بمعالجة القريض، ولكنّه ظلّ مجهول الذكر في أسواق الأدب . هاجر إلى إسبانيا، ونزل بإشبيلية يمتاح فضل المعتمد بن عباد، فحجبه مدّة لا يلتفت إليه، وفي حادثة استحسن شعره وألزمه خدمته، إلى أن نفاه ابن تاشفين من ملكه، فلحق به إلى منفاه، وبعد موته أقام الشاعر في ميورقة وتوفي بها معوّج القناة مكفوف البصر.

وشعره مرآة صافية تجلّت فيها أخلاقه : فهو عفيف اللفظ، نبيل الفكرة، لا يسفّ إلى المجون، ولا يتورّط في الغيّ . وقد دعاه ظلم الزمان ولؤم الإنسان وعلوّ السنّ إلى التبرّم بالحياة، والشكوى من الناس، والثورة على النفس، وسلوك مذهب أبي العتاهيّة في الوعظ والتزهيد والتصوّف بلغته الواضحة وأسلوبه المشرق .

**أ ـ الغزل واللمس عند ابن حمديس :**

تغزّل ابن حمديس بالمرأة، ومزجها حينًا بالخمرة، ولنا وقفة في هذا الباب؛ وأوّلها مع وصفه وتغزّله بساقية كأس :

وكـأنّـمـا يـدها فـمٌ مـتكلّمٌ بالسـحر فيه مقول المضـراب (٥٣)

فاليد تتكلّم بالأحاسيس فتجود لتطغى على لغة الفم أحيانًا؛ فكلاهما سحرٌ منسوجٌ بعاطفة جيّاشة .

والمرأة عند ابن حمديس، هي دائمًا تلك المرفهة، الناعمة، الرخصة، والتي تفوح من نعومة جسدها رائحة المسك :

ولا طفلةُ العـيش وهـنانةٌ أروجّ بنفحةِ مسـكٍ وعـود (٥٤)

الهوى واللهو يجمعهما بين يديه في حبيبة متى أخذها إليه ينزل اللهو بين يديه، ويرق العيش، فيخلع شفتيه على شفتيها ويشرب من شفاهها التي كالشفق ـ فتنقل عدوى الحُمرة إلى وجنتيه؛ فيسألها النشوة فتفاوضه بلغة العينين :" ما لديك ؟"

أعـليلٌ أنتَ، مـا ذا تشـتهي؟ قـلت: قطـفي بيديّ رمّانتيكِ (٥٥)

وهذا طلبٌ ثناها كبراً وتمنّعًا، فهي الشمس وفلكها بعيد وضياؤها نافرٌ من راحتيه:

أنا شـمسٌ وبـعيد فـلكي وضـيائي نافـرٌ من راحـتيك

قوله هذا أفقده إيّاها، فتمنّت لو أنها عرفت سابقاً مبتغاه، لما كانت سمحت حتّى للعيون بالتلاقي .

ككلّ قصائده المدحيّة، يستهلّ ابن حمديس قصيدته بالوصف والكلام على حبيبته:

رقيقة ماء الحســـــن يجـري بخدّها  كجري الندىفي غضّ وردٍ مفتّح (٥٦)

فحاسّة اللمس تبدو لنا في جريان الندى بين ورقات الورد المفتّح.

ابن حمديس الشيخ، وقد خطّ المشيب فيه خطوطًا لا تعدّ، غرق في وَلَهِ شابّة صدّته لأنّه فاقد ريعان الشباب، ولذا قال فيها الكثير من القصائد، وما يهمّنا، ذلك البيت القائل :

ومنعــمّ جــرح الشـــباب بخــدّه  لحظي فســال على المها الياقوت(٥٧)

إذاً هذه ا لحبيبة المرقهة، الشباب ينبض ويتدفق، بحمرته التي تشبه الياقوت، من الخدّين، فتجرح عينيه بجرح بليغ .

وضمن قافلة المدح، مدح يحيى بن تميم بن المعزّ، مستهلاً قصيدته تلك بالكلام على حبيبته:

يكاد وليد الــذرّ يجرح جســـــمها  إذا صــافحت منها أنامله الإتبا (٥٨)

فنعومة هذه الحبيبة تصل إلى حدّ أنّه إذا لامستها أنامل رضيع رخص، جرحت أنامله جسمها، وهي مرتدية قميص بلا كمّين .

**ب- الخمر واللمس في ديوان ابن حمديس :**

إنّي لأبسط للقبول إذا ســـــرت  خــدّي وألـقاهـــا بـــتقبيل اليــدِ
وأضـــــمّ أحنائي على أنفاســـها  كـيما تبـــرّد حـــرّ قـــلبٍ مكـــمدِ
مســـــحت كـــراقيةٍ عليَّ بـــكفها  ونقـــابها نـــدٌّ مـــن الـــزهر الندي
وعرفتُ في الأرواح مســـراها كما  عرف المريض طبيبه في العُوّدِ (٦٠)

الخمرة تلك اللذة التي يطرق بابها كلّ شاعر عربيّ، حتّى ولو كان زاهدًا الدنيا وملذّاتها واعظًا، كمثل شاعرنا ابن حمديس؛ فهو يطلبها ويحدّد شروطًا، يريدها صفراء، مزبدة، معتّقة، ليقدّم لها يده

فتغفو وتغيب من خلالها، فتنتشر بعد حين في داخلها، وأعني داخل شرايين يده، فتنسيه وتدفن كلّ همّ كان قد دبّ في جسده.

هاتها صـــفراء، ما اخـــترت لها  أفـــق الشمس عـلى أفـق يـــدي
خـــارجٌ فـــي راحـــتي مقتنصٌ  كـلّ هـــمّ كـــامنٍ في خـلدي (٥٩)

توجّه عبد الجبّار من صقليّة إلى أفريقيا سنة ٤٧١ هـ، وهو في سنّ الحداثة وصحب العرب؛ وهناك قال هذه القصيدة .
يتكلّم في هذه القصيدة على شوقه إلى الخمرة، وعن مفعولها في الجسد والروح على السواء؛ فهي تنسيه همومه، وتبرّد حرارة قلبه، وتمسح بكفّيها فتفيض خدّاه حمرةً وندًى . وفي الموضوع نفسه، قال :

فانزوت بالشـــهيق خـوفًا وظلّت  حَـبّ رمّـان صـدرها قـــد تنثّر
قـــلت عـند اختبارها بيديـــها  ثمرًا صـــانَهنَّ جـــيبٌ مـــزرّر
لم يكن ما ظـــننت حـقاً ولـكن  صبغة الوَجْدِ صِـبغُ دمعيَ أحمر (٦١)

يصف في هذه الأبيات الخمرة-الحبيبة ذات الخدّين الورديّين والرائحة العبقة، فيصافحها، لا بل يصافح الكأس المجوَّف الذي قُدِّمت إليه فيه، فيجعله كوكبًا منعزلاً، بحدّ ذاته، يسكنه أمير فوق الأمراء، يحرق ويشفي في آنٍ معًا :
كأنّـــما كـوكبٌ يصـــافحني  مجـوَّف الجسم روحـــه شفق (٦٢)
يا تاركًا راحـًا تُســـلّي همّه  هـــلاّ اتّقيت الســـمّ بالـــترياق
وتناولتْ يمناك نارًا لـــم تخـــف  في لمســـها لذعًا من الإحـــراق (٦٣)

يظهر لنا جليّاً في هذه الأبيات تأثّره بأبي نوّاس شاعر الخمرة الملك؛ فكأنّ بهذه الأبيات صدى لقول أبي نوّاس الذي يدعو فيه صاحبه إلى ترك الهموم والتوجّه إلى الطبيب الشافي، وابن حمديس يصف هذا الطبيب بالدامي الشافي، فهو نارٌ ونور، في مسّها لذعة، ما

تكاد تنتشر في الجسد حتّى ما تقلب دواء للنسيان ينسي الهموم وينير الدروب .

**ج- الرثاء و الاعتذار واللمس :**

ضممت إلى صدري بكفي جسمه  وأسندتُ مخضرّ الجناب إلى الجنب
تبرّكت الأيدي بتسوية الثرى  على جبلٍ راسي الأناة علىهضب(٦٤)

نال الرثاء حصّته في شعر ابن حمديس، وهل أصدق من رثاء العمّة الحبيبة ؟ لهذه المناسبة كتب هذه القصيدة، التي يرثي فيها عمّته نضر الله وجهها، وقد توفيت بسفاقس. يضمّ جنّة عمّته مودّعًا وتتبرّك يداه إذا ما سوّى ثراها بهما .

قال يرثي عمر الشاعر الزكرمي :

فلست منعّمًا بيدّي حبيبٍ  ولا بمعذّبٍ بيدي بغيض(٦٥)

فابن حمديس يرى عمر راحل من هذه الأرض فقيرًا من زاد عريض، فهو لم يكن يومًا منعّمًا من قِبَل حبيب ولا حتّى معذّبًا من قبل بغيض؛ فهو زائرٌ راحلٌ لا طعمَ لحياته أو بقائه . قال يمدح الأمير يحيى بن تميم بن المعزّ، واستهلّ القصيدة بالكلام على الخمرة- العروس التي أجلسها عرش كفيه، فجادت عليه باللذّة المتدفقة لهوًا وسرورًا من حبيبات الدرّ .

أمّ عروس فوق كرسيّ يدي  يجتليها اللهو في عقد الحبب (٦٦)

وفي قصيدة يصف فيها جريان الحرب وأسبابها، يظهر لنا جليًا الصراع الديني في الأندلس، بحيث يذكر أهل السبت وأهل الأحد، والمقصود طبعًا في الأولى اليهود، وفي الثانية النصارى، فيستلّ السيف العاري ليتحوّل من بعد استعماله إلى أحمر اللون؛ ولكنّ هذا اللون يُعكس إلى بياض - لون السلام، أمام الله ( الكف الأبيض )؛ وهنا أيضًا نلمس الفكر الإسلامي الذي يبيح لنفسه بما يسمّى بالقتل

المباح، لا بل المكافأ عليه بالجنّة؛ إنّه يتوجّه إلى أعداء الديانةعنصريّاً ودينيّاً(٦٧) .

وكسـت أسـيافه عـاريـة ذلّ أهـل السـبتِ وأهـل الأحـدِ
ذو يـدٍ حمراء مـن قـتـلهـم وهـي عـنـد الله بيضـاء الـيدِ

ويبقى أن نتوقف في محطّة أخيرة،لاح لي فيها اللمس، وهي في قصيدة، قالها ابن حمديس افتخارًا بشبابه وصباه، ذاك الذي تأسّف عليه لاحقاً مطوّلاً : (٦٨)

لي قلبٌ مـن جلمد الصخر أقسـى وهـو مـن رقـّـة النسـيم أرقُّ
ضـربتني في مفارق الدّمرجـَيْبٌ بـين كـفَيَّ عـند غـيظٍ يُشـَـقُّ

**قيمة شعره :**

لم ينشأ من شعراء المغرب من يضاهيه قوّةً وتنوّعًا . فهو يمثّل ثمرة الشاعريّة المغربيّة في أزهى عصور السيادة السياسيّة المغربيّة. تأثر ببيئة صقليّة وحاكاها في شعره بناءً وموضوعًا . فقصائده ترقّ وتعذب وتحلو وتستطيل حين ترقّ الطبيعة وتحلو وتستطيل، وتحتدم حميّتها حين تحتدمَ حميّة الجهاد فيها .

في شعره الوصفيّ برع بالمعاني المبتكرة والصور والدقة الجزئيّة وقد قسّمت قصائده إلى مراحل :

**١ ـ المرحلة الصقليّة :**

يصوّر فيها وطنه في صراعه مع الأعداء ثمّ ضياعه . ويلحق بهذه القصائد ما قاله في أفول شمس المعتمد، والحنين والمراثي في أقرب الناس إليه، مثل والده وابنته وجوهرة جاريته . وتشترك هذه المجموعة كلّها في طبيعة الحزن وفي مقدار صالح من الصدق العاطفيّ، وإن كانت تتفاوت فيما بينها . وأعلاها تأثيرًا قصائد التفجّع على ضياع الوطن كأن ليس من عاش على ذكرى وطنه كما عاش ابن حمديس .

إذا كان أصـلي مـن تراب فكلّها بلادي وكـلّ العـالمين أقـاربـي

**٢ ـ المرحلة الخمريّة الغزليّة :**

مزج فيها ذكريات الطفولة والغزل وتغيّر الحال والتشوّق، ولم تكن المعارضة للمعرّي إلاّ أمرًا عارضًا . امتازت هذه القصائد بقوّة العاطفة وإتقان الصورة وبعض الصنعة . موضوع الوصف يتملك معظم القصائد ويتنوّع من طبيعة وأنهار وسحاب وبرق ورعد وأشجار وأزهار وحيوانات ... كلّها قائمة على عنصرين : إيجاد الصورة وعذوبة الموسيقى . وفي غزله بالغ في الرقة أحيانًا وفتر في بعض غزليّاته أحيانًا أخرى . ولم يهجُ أحدًا لرابط وثيق بمبدأه الخلقي وبنفسيّته المترقعة :

عـــفاف اللســـــاه مقال الجـميل وفســـــق اللســـــان مقـــال القـــبيح

يتعقب الجناس والمطابقة وتتكرّر لديه المعاني وبخاصّة في المدح . وتشغفه ألفاظ معيّنة، فلا يسأم ترددها .

**٣ ـ المرحلة الحكميّة** : وهو شعر زهديّ في قسط من الذاتيّة، مصوغ في شكل نصائح خلقيّة ووصايا مثل كتمان السرّ والقصد في التدبير . وهو كان يغير على بعض المعاني لغيره، ويختصر معاني أخرى .

**متفرّقات :**

وقال الأنصاري يصف ملمس حبيبته الناعم (ص٧١) من الديوان :

شويدِنٌ طاوي الحشا مفعمُ الأردافِ قاسي القلبِ رخصُ البنان .

وفي ضمّ الحبيبة لمسٌ، قال الأنصاري (ص٧٨)

جـــاذبْتُها ضـمّاً إلى أضـــلعي أطفئ عـــنها لـــوعـــة الحزن

وقال في السياق عينه (ص١٠٧) :

ومُجدِب الخصر غضّ الردف ناعمه فمنه لي ظـــماً ومـنه لـــي وردُ

وإذا كان الشاعر المُبصِر يتحسّس بهذا الشكل، فكم بالحري إذا كان أعمى ؟

قال الأعمى ا لتطيلي (ص٢١١) من الديوان : (٦٩)
وقـدّكِ الناعـم الـريّان أم غصـنٌ يـميس لـيـنًا على كـثبان يبريـن

وقال في موشّحة (ص٢٥٣) من الديوان :
وانثنى خـوط بان ذا مَهـز نضـر عـابثـه يـدان للصـبا والقطـر

وقال يصف القوام الممشوق متحسّسا لينه (ص٢٨٦):
غصـنٌ يميس علـى كـثبان ريّـان أمـلـدْ
بـين القـوام وبـين اللـين يـكـاد يـنـقـدْ

وقال أيضًا في قدّ حبيبته (ص٢٨٧)
قدٌّ كمثل القضيب نـاعمْ
يهتزّ مثل اهتزاز الصارمْ

ولابن الزقاق البلنسي : ٤٩١ ـ ٥٢٩ م،أشعار كثيرة ترد فيها صور عن اللمس، منها قوله، على سبيل المثال لا ا لحصر ( ص ١٢٩) من الديوان : (٧٠)
على عاتقي مـن ساعديها حمائلٌ وفي خَصْرها من ساعديّ وشـاح

وقال أيضًا (ص١٥٣) من الديوان :
يَجُسّ يدًا مـن الطـبيبُ ومَـن له بدمع صُروفِ الموتِ عن مُهجةٍ يدُ

وقال يصف مغامرة ليليّة مع إحداهنّ (ص١٦٠):
وآنسـةٍ زارتْ مع الليل مَضجَعي فعانقتُ غُصْنَ البان منها إلى الفجر

وفي العناق لمسٌ، قال البلنسي (ص٢١٦):
غـفرتُ للأيّـام ذنـبَ الفـراقْ  أن فزتُ من تـوديعهم بالعـناق

وقال أيضًا (ص٢٤٤):
ولله أعـطافٌ لـدانٌ هصـرتُها  ولا ثـمَـرٌ إلا الثـديُّ الفـوالك

ونبقى في سياق اللمس في الشعر الأندلسي، قال سليمان بن محمّد بن بطال: (٧١)
ترنو لـواحظـنا لتقطـف وردهُ  فتدبّ عـقربُهُ فتلسـعُ مـَنْ رنا
فكأنّ عقرب صُـدغِهِ في خـدّهِ  دبّـتْ لتمـنع وردَهُ أن يُجـتنى

وهذا يوسف بن هارون يقول : (٧٢)
وتنعّمتُ فـي خـدودٍ صِـباح  زائداتٍ عـلى بـياض الصـباح

وها هو عليّ بن أبي الحسـن يصف عناق حبيبته، وفي العناق كلّ اللمس، قال:(٧٣)
عـانقته فـرأيتُ منه شـَمائلاً  حُسْنُ القضـيب لحُسـنِها مُستَعْبَدُ
ولثَـمْتُهُ فحسـبْتُ ريـقة ثـغرِهِ  ضَرْبًا ومُزْنًا وهـي نارٌ توقدُ (٧٤)

وقال يوسف بن هارون يصف انقباض يده على نهد كاعبٍ يلامسها :
ليالي يميني تـقـبضُ الكاسَ مـرّةً  وأُخرى لها قبْضٌ على نهدِ كاعـبِ

وقال يوسف بن هارون أيضًا : (٧٥)
وشكوى الصـبّ من ألم شـديدٍ  وشـدّةِ ضَـمِّ رُمـّان النُّـهودِ
جسـومٌ كالمـياه يضـُمُّ مـنها  إذا اعـتُنقت نـهـودًا كالحـديد

وهذا عبادة يقول في ضمّ الخصر: (٧٦)
ورأيتُ خصركِ يشـتكي ما اشتكى  فضَـمَمْتُهُ ضَمّ النحـيل نحـيلا

وقال عبد الملك بن جهور معانقاً : (٧٧)

حـــتّى اعتنقتكَ مُشـــــتاقاً إليكَ كما  يعانقُ الغصنُ غصـنًا ناعم الورق

وكذلك يقول يوسف بن هارون في الضمّ والعناق، ورائحة اللمس تفوح منهما: (٧٨)

تَعَانَقَ في الأرواح قـــلبي وقـــلبُها  وقام لـــنا وحيُ العـــيون بأذرع

وضمّتْ علـــــى رمّانتيها كأنـّما  تعانقني كـــفاً أســـــير مكـــــتّع

وهذا هو أبو جعفر بن الأبّار يتحسّس نعومة قامة الحبيبة التي يشبّهها بالغصن، قال: (٧٩)

حتّى إذا مال الســكر مال بعطـــفه  وعثا بحكم الوصـــل فـــي نشـــواته

هصـرتْ يدي منه بغصـــــنٍ ناعم  لـــم أجـــــن غيرَ الحلّ مـــن ثمراته

وقال أحمد بن محمّد بن فرج : (٨٠)

بنفســـي مـــــن يصدّ بغـــير ذنبٍ  ســـوى إدلالـــه ثـــقـــة بحـــبّـــي

عجـــــبتُ لقلبه قـــاسٍ كجسـمي  ويحكي جســـــمه فـــي اللين قلبي

ومن صور اللمس الشعريّة قول" أبو المخشّـــي" عاصـــم بن زيد في لمس العصا : (٨١)

ورأت أعـمى ضـــــريرًا إنّـــما  مشـــيه في الأرض لمسّ العصـــا

وها هو ابن حازم يقول مشبّهًا الوردة البيضاء بجارية حسناء رفعت أطراف غلائلها حول رأسها : (٨٢)

ومبيضـّة الأثواب تـدعـــى بالورد  تقلّ لها الأشـــــباه عـــند التماســـها

كجـــارية قامت ببيض الغـــلائل  مرفـــعةً أذيالها حـــــول رأســـــها

## حواشي الفصل الثالث

١. ديوان ابن خفاجة، شرح د. يوسف فرحات، ص٢٣٣.
٢. نفسه، ص٢٤٠.
٣. نفسه، ص١٧٩.
١. نفسه، ص١٨٧.
٢. نفسه،ص٢٠١.
٣. نفسه، ص٢٢٢.
٤. نفسه، ص٢٢.
٥. نفسه، ص٢٨.
٦. نفسه، ص٩٣.
٧. نفسه، ص٣٥٠.
٨. نفسه، ص٣٥١.
٩. نفسه، ص٣٥٩.
١٠. ديوان عمرو بن كلثوم، قافية النون .
١١. ديوان ابن خقاجة، ص١١٨.
١٢. نفسه نص٣٤٧.
١٣. نفسه، ص٢٧٤.
١٤. نفسه، ص٣٢٧.
١٥. ديوان ابن زيدون، شرح د. يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥ ص٨٠.
١٦. ديوان ابن زيدون، ص١٢٠.
١٧. نفسه، ص١٢٩.
١٨. نفسه، ص١٠٠.
١٩. نفسه، ص١٩.
٢٠. نفسه، ص٥٦.
٢١. نفسه، ص٦٣.
٢٢. نفسه، ص٦٤.
٢٣. نفسه، ص٢٠٠.

٢٤. نفسه، ص٢٥٩.
٢٥. نفسه، ص ١٠٢.
٢٦. نفسه، ص٩٤.
٢٧. نفسه، ص ٨٤.
٢٨. نفسه، ص ١٧٤.
٢٩. ديوان الأعمى التطيلي، ص٢١٧.
٣٠. نفسه، ص٣٧ .
٣١. نفسه، ص٥١ .
٣٢. نفسه، ص٥٦ .
٣٣. نفسه،ص٦٧.
٣٤. نفسه، ص٦٧.
٣٥. نفسه، ص٢٤.
٣٦. نفسه، ص٢٣.
٣٧. نفسه، ص٢١.
٣٨. نفسه، ص٥٥ .
٣٩. نفسه، ص٦١.
٤٠. نفسه، ص١٩.
٤١. نفسه، ص٢٣.
٤٢. الديوان، ص...
٤٣. هو عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم، كنيته أبو محمّد المشهور بصاحب" طوق الحمامة".
٤٤. تاريخ الأدب الأندلسي ، سيادة قرطبة، ص ٢٣١.
٤٥. الديوان، ص ١١٤.
٤٦. الديوان، ص١٦٣.
٤٧. ديوان ابن هانئ الأندلسي، دار صادر، بيروت .
٤٨. ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي، تحقيق الدكتور محمّد رضوان الداية، ١٩٧٢.
٤٩. الديوان، ص١٨.
٥٠. ديوان ابن حمديس، ص ٢١.

٥١. نفسه، ص ١١٠.
٥٢. نفسه، ص٣٤٣.
٥٣. ديوان ابن حمديس، ص١٠٩ .
٥٤. نفسه، ص٧٢ .
٥٥. نفسه، ص٩٨ .
٥٦. نفسه، ص ١٣٩.
٥٧. نفسه، ص١٦٧.
٥٨. نفسه، ص ١٨٥.
٥٩. نفسه، ص٣٢٥.
٦٠. نفسه، ص٣٢٦.
٦١. نفسه، ص٣٦.
٦٢. نفسه، ص٢٩٤.
٦٣. نفسه، ص١٤٠.
٦٤. الديوان، ص ٥٣ .
٦٥. الديوان، ص ٣٢١.
٦٦. ديوان الأعمى التطيلي، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، نشر دار الثقافة، بيروت .
٦٧. ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق عفيف محمود ديراني، دار الثقافة، بيروت .
٦٨. كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، الشيخ أبو عبد الله محمّد بن الكتّاني الطيب، تحقيق د. إحسان عبّاس، بيروت، ص١٢٩.
٦٩. المرجع نفسه، ص١٣١.
٧٠. المرجع نفسه، ص١٣٩.
٧١. المرجع نفسه، ص١٣٩.
٧٢. التشبيهات، ص ١٤٠.
٧٣. المرجع نفسه، ص١٤٦.
٧٤. المرجع نفسه، ص ١٤٨.
٧٥. المرجع نفسه، ص١٤٩.

٧٦. تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عبّاس، ص ١٨٥.
٧٧. المرجع نفسه، عصر سيادة قرطبة، إحسان عبّاس، الطبعة الأولى، ص ١٠٠.
٧٨. تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة .
٧٩. المرجع نفسه .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# الفصل الرابع
# الشمّ في الشعر الأندلسي

**مقدّمة :**

بطريقة لا شعوريّة وبتصرّف عفويّ ودون سابق معرفة، يشمّ الطفل الحديث الولادة رائحة أمّه ويميّزها عن الروائح الأخرى التي تتسلّل في أنفه، فيحسّ بالأمان والطمأنينة، يسكت إذا كان يبكي، ويطيب إذا كان عليلاً، ويفرح إذا كان حزينًا .

إنّ حاسّة الشمّ تدلّنا على من نحبّهم ومن نفضّلهم ونشعر بالقرب منهم . إنّنا نفتّش عن شذاهم وعبيرهم الذي يميّزهم عن غيرهم .

إنّ حشريّة الرائحة تحملنا على اتّباعها واللحاق بصاحبها والرضوخ لمشيئتها. توقظ الحواس الباقية كلّها، تجمعها وتنثرها، تنبّه فينا النقص والحرمان الذي عانت منه وتنفخ عنها رماد الركود وتُشعل جمر الحريق فيتّقد القلب . إنّ الرائحة تُعيد لنا ذكريات وتُرجع الماضي حتّى إنّها تعيد لنا الانفعال الذي عشناه،ويعود المشهد ليمرّ أمامنا كفيلم سينما، يمدّ عليها الآخرون كسواها، لكن من تركت في نفسه أثرًا، ومن حفرت في كلّ عرق نسمة عشق ليلكيّة سيكون وقعها أنفاسًا يبغي القلب احتواءها حتّى لا تفلت منها نسمة تُخفف من نشوة التلذّذ بها . هي تتحكّم بال "spontané rappel " عندما ترتفع الذكرى إلى مستوى الوعي مُحَرِّكة بشمّ رائحة تنبّه بها أحداث مضتْ، لم نكن بصدد التفتيش عنها، كما ويحصل هذا رغمًا عن إرادتنا وتكون الذكرى مفاجأة سبّبتها " رائحة " .

إنّ " ديدرو" الذي وضع سلمًا شبه أخلاقي للحواس، وصف النظر بالأكثر سطحيّة، والسمع بالحاسّة الأكثر غرورًا، والمذاق بالأكثر تطيّرًا، واللمس بالأكثر عمقًا . وعندما وصل إلى الشمّ جعله حاسّة الرغبة، أي حاسّة لا يمكن تصنيفها، لأنّها حاسّة يحكمها اللاشعور وليس المنطق .

إنّ رائحة عابرة تعيد لنا ذكرى سعادة عشناها بمكانها وزمانها وأشخاصها، ولم نع و ندرك عمق الأماني ونشوة اللقاء ونبض الحياة

في الجماد؛ ورائحة أخرى تجعلنا نرجع إحساسًا بالتعاسة مريرًا يعيد لنا الاشمئزاز والمعاناة والشعور بالألم كما اللحظة التي مرّت ونحن في قاع التجربة وخضمّ الانفعال .

## أوّلاً : التجربة الحسّيّة : كيف نُظِرَ لها فلسفيًا ؟ أدبيًا ؟ psychologique ؟ لاهوتيًا ؟

عندما وُجد الإنسان التفتَ حوله لم يجد سوى كينونة لجسد وروح تلقهما الأسرار، عاد إلى ذاته فاستنبط أنّها سورٌ منيعٌ محجوب عن قدرة معرفته، فلم يعد هناك شاطئ أمان يحطّ عليه سببيّته ووجوده .

فكانت عمليّة التنقيب عن المعرفة، التي أباحت للفلاسفة توسّل كلّ طريق في آخره وَمضة أمل تكشف لهم سترًا في بحثهم عن الحقيقة . فكان للحواس الخمس دور في الآراء الفلسفيّة التي جعلت الحواس نقطة ارتكاز للمعرفة التي توصل إلى حقائق في الوجود .

لذلك اعتمد السفسطائيّون، وهم فرقة نشأت في القرن الخامس ق.م، على البلاغة والجدل والتلاعب بالألفاظ والشكّ بوسائل المعرفة ، في تعليمها موضوعات السياسة والتاريخ وغيرها . ونزعتهم الفلسفيّة تجعل الحواس مقياس المعرفة وإنّ الحقيقة نسبيّة وليست مطلقة، بل هي تتعدّد بالنسبة إلى الأفراد، إنّ الإنسان لا يدرك إلا العالم المحسوس .

يقول الفارابي في المعرفة الحسّيّة، " إنّ الحواس هي الطرق التي تستفيد منها النفس الإنسانيّة المعارف ".

كما قسّم الحواس إل قوّتين : أولى ظاهرة وهي الإحساس . وثانية باطنة يندرج تحت لوائها المتخيّلة، والوهم ، والذاكرة ، والمفكرة ، والمعرفة الحسّيّة ؛ وهي إدراك صور المحسوسات أو الجزئيّات المتغيّرة بواسطة الحواس أو قوى ، بعضها يقوم بإدراك ظاهر وبعضها بإدراك باطن . وكان للحاسّة تعريف فلسفيّ في :

Encyclopédie philosophique Universelle.

La sensation est une repésentation , ou plus généralement information de provenance interne ou externe qui :

A- Parvient à la conscience du sujet .

B - Suppose pour sa mise en œuvre , un processus corporet lié à son contenu .

Dans une modification de l'âme , dans laquelle cette dernière est purement passive . c'est pourquoi elle peut-être envisagée comme une donnée pure de toute élaboration intellectuelle . La philosophie sensualiste En fait le point de départ de la connaissance (toute connaissance est pour Condillac une sensation transformée) ce qui n'implique pas qu'elle soit indécomposable .

Les Impiristes Anglo – Saxons contemporains ont vu dans des sensations élémentaires ( sense – data ) le matériau de toute représentation . (1)

أو المذهب التجريبي يعتمد في نظريّة المعرفة ، كلّ ما يستمدّ من الحسّ أو التجربة ويقابل الفطريّ أو العقليّ . L'empirisme

في مناهج البحث كلّ ما يعتمد على الملاحظة أو التجربة المباشرة ويقابل النظريّ أو الاستنباطيّ، هو مذهب يقيم المعرفة على ما تدركه الحواس وحدها وينكر وجود مبادئ فطريّة في النفس وقوانين صادرة عن العقل .

أمّا التكلّم أدبيّاً عن حاسّة الشمّ فموضوع بحثي . هذه الحاسّة الهاربة من الوقت، القالبة كيان الأزمنة، المستهترة بالأمكنة، البانية لنفسها مملكة، أسوارها الريح وجدرانها المدى، وسقفها زحام روائح تعلو واحدة فوق الثانية . والارتقاء يكون للأكثر نورانيّة والأبقى طهرًا، تجري في يراع كلّ من يعرف كيف يحسّ ويتقن طقوس التلذذ بسحر رائحة .

فكلّ رائحة محمّلة رسالة تنقل نشوة يُستوحى منها قصيدة . فنزار قبّاني علامة في فنّ الإحساس والشعور، بصماته غامدة في نفوس العشّاق، كتبه متسللة إلىالمخادع والمجالس؛

فكيف لا يكون لحاسّـــة الشـــمّ مكان الأمر في الإمبراطوريّة العشـقيّة ؟ نراه في قصيدة الفم المطيّب يقول:

هذا فمٌ مطيّب(٢)
ينبع منه المغربُ
الياسمين تحتهُ
مِخدّةٌ ومَلعبُ
أمّا قصيدة حبيبي المغتاة بحنجرة " فيروز "
لا تسألوني .. ما اسمه حبيبي(٣)
أخشى عليكم ضوعة الطيوبِ
ترونه .. في البحر، في تنقس المراعي...
إنّ اسم حبيبها فوّاح . فآه كم هو جميل اسم حبيبها !
وفي قصيدة " وَردة "
...ثمّ دسّت يدها في صدرها
فدمي سكرانُ في أوردتي
أفرجتْ راحتها، واندفعت
حَلقاتُ الطيب في صومعتي
ليلةٌ ساهرَني العطرُ بها
واستحمّت بالندى أغطيتي

فأثاث الحجرة سكرت مع صاحبها من رائحة حبيبته وأصبحت مُغرمة على غرار ساكنها . فالعشق مُعْدٍ لدرجة أنّه يُحَرّك الساكن ويُدِبّ الحياة في الجماد .

أمّا الياس أبو شبكة، شاعر الرومنسيّة المتطيّرة، يصل إلى القمّة، يعطي حاسّة الشمّ هُويّة جنسيّة تدخلها في ملفّ ال Ça الفريدي في مجموعة الرغبات الممنوعة والمكبوتة، فيمنعها ال surmoi، القيم الاجتماعيّة، فيقع ال moi في تنازع يرهف استمراريّته، يقول :

يـــهـــفـــو مـــن اســـمِـــكْ أريـــجُ جســـــــمِـــكْ (٤)
ولا يشـــــمّ البشـــــر
فـــالنـّاس يـــا مُســـكِـــري عشـــبٌ وأنـــتَ الـزهـــــرْ

كما للملوك وهجهم وبريقهم، تحيطهم حاسيّة البلاط المرهونة للخدمة ومرافقة الملك، كذلك الحبيبة هي الزهرة الملكة الفوّاحة بعطر الملكات، والعشب هو الحاشية، هو الناس المحيطون بها وهم بخدمتها.

وكما أنّ للرائحة جانبًا "psychologie" يتعلّق بمكنونات اللاوعي البشريّ، كذلك لها جانب لاهوتي مقدّس يفوح بخورًا وجسدًا ودمَ المسيح، وصلبه المُحيي لنا والمطهّر لآثامنا .

رائحة التدخّل العلوي، رائحة التسامح والتجسّد المسيحي، رائحة النورانيّة السماويّة، رائحة البخور التي تُسكِنُ في قلبنا الطمأنينة والأمانَ والسلامَ الداخليَّ .

**ثانيًا : دخول حاسّة الشمّ في عمق عناصر الطبيعة :**

**١ . الروض والأرض النورانيّة في الشعر الأندلسي :**

عندما حطّ العربيّ الرحال في الأندلس بهره جمالها وتعلّق بها وأحبّها حبّاً شديدًا لا يخلو من المبالغة في بعض الأحيان، وإن كان على الأغلب صادقًا عفويّاً، فـــهذا الحبّ زاد على المألوف عند بعضهم، والأمثلة عديدة في المصادر العربيّةوالدواوين الشعريّة، على هذا التعلّق والشغف بالأرض والطبيعة . وهذا يدلّنا على مدى تحمّس بعض القوم لقرطبة وحبّهم لها، فقد دخل رجلان أخوان طليطلة ووفدا على أبي بكر المخزومي فسألهما من أين أتيتما ؟ فقالا : من قرطبة، قال : متى عهدكما بها ؟ قالا : الآن . قال : قرّبا إليَّ أشمّ نسيم قرطبة .

فقرّبا إليه، فشمّ رأسيهما، ثمّ قال لواحد منهما : اُكتبْ، واملِ عليه على البديهة:

أقـــرطبة الفرّاء هـــلْ لـي أوبةٌ إليكِ وهـــل يـدنو لنا ذلك العهـــدُ
سقى الجانب العربيّ منك غـمامةٌ وقعقع في سـاحات دوحاتك الرعدُ

لياليك أسمارٌ وأرضك روضةٌ وتربك في استنشاقها عنبرٌ وورْدُ
سرى يُنافحه يَتْلوفرٌ عبقٌ وسنانُ نبّه منه الصبحُ أحداقا(٥)
الأرض عاطرة النواحي غضّةٌ خضراءُ في ثوبٍ أغرَّ جديد
ابن هذيل،ص٦٢*

قال ابن عبد ربّه في البستان ص : ٧٢
مُطبّعة الأفنان طيّبة الثرى مُحمّلةٌ ما لا تطيق لهُ حملا
صابَحتها والروض يسطع مِسكُهُ فكأنّه بالليل بات مغلفا
وقال ابن عبد الله، ص:٥١

أخذتَ بأنفاس الرياض فنشرها أراهن من تفجيرك المتنفس
يوسف بن هارون، ص:٢٩٠

مشتمّة للأرض حتّى كأنّها تقصّ مُحولاً في البطاح المواحل(٦)
(يوسف بن هارون،ص٣٦)

الأندلس أرض جميلة، أثناء التجوّل في حدائق أدبها تجد فردوسك المنشود بين شعبٍ يتذوّق الجمال والشعر؛ يساعدك على ذلك جمال الطبيعة وغنى الأرض.

نحن نخبّئ الروائح في لا وعينا في مسام جلدنا حتّى نشعر بوجودنا . يا ابن الأرض، هل هناك أروع من عطر التراب بعد الشتوة الأولى في نهارٍ تشريني؟

مَنْ فاتَهُ لذّة التمتّع برائحة المسك والعنبر، لا يُفارق هذه الدنيا قبل المرور بنعمة الاستسلام لرذاذ ماء خريفيّ وشذا ترابٍ سماويّ ؟

* كل هذه الارقام تدل على صفحات الشعر المتناثرة في كتاب التشبيهات لابن الكتاني .

فإنّ من لديه شعور وذاكرة، له روائح خاصّة في أركان سرّيّة، لمناسبات وأحداث حميمة خامدة ... تُشعِلُها :" رائحة".

لاح للروض على غـــرّ البطـــاحْ  زهـــــــرٌ زاهـــــــرُ
زارني منه على وجـــه الصـــباحْ  أرجٌ عـــــاطـــــــرُ (٧)

قال المنصور السعدي : ص: ١٠١

عطـــر الأرجـــاء لمّا نســـما  شـــمألُ الصـــهباء عـــند الفلس

عبير الحروف وشذا القوافي في الشعر الأندلسي والموشّحات الأندلسيّة، تملأ أرجاء الادب :

فتقَ المســك بكافور الصـــباحْ  ووشَـتْ بالروض أعرافُ الرياحْ (٨)

يوسف بن هارون يفضّل الورد على سائر الأنوار بقوله : ص ٥١.

للآس والســوســـن والياســمين  الغضّ والخـيري فضـلٌ شـديد
هل لك في الآس ســوى شـــمّة  تطـــرحه من بعـــدها في الوقود
والـــورد ان يذبل فـــفي مـــائه  نســـيم ضمّ الأنف بَعْدَ الصـــدود
كأنّـــما الـــروض هـــيفـــًا  فـــي حـــلّةٍ ووشـــاح (٩)
تشـــير غـــمزًا عـلـــينا  بـــنرجـس وأقـــاح

علي بن أبي الحسين ص٤٧

أيُّ غـــبـــــر يّـــــة  فـــي غـــلائل الغَـــلَـــس
مـــن زبـــر جـــديّـة  تـــنـــبّـــه النـــعَـــس
جـــادَهـــا الغـــمـــام  فانتشـــى بـها الزّهـــرُ (١٠)
وابتـــدا الكـــِمـــام  أعـــينا بـــهـــا ســـهَرُ

القاسم بن القاسم الواسطيّ ص٤٦

مَنْ ذا الذي لا يتعرّى من قيود الدنيا ويكون له أوقاتُ انفلاتٍ وانفلاش في مهد الخضرة، والألوان في رحم الأمان بين الطيور

والماء . يعطي لأنفاسه مدًى ينقل من خلالها لعروقه وشرايينه أريج كلّ عنبرة فيحاء وياسمينه عابقة، عاطرة وبرعم لمولودٍ جديد .

مَنْ ذا الذي لا يتقاسم العصافير جمال التمتّع بحريّة البوح بالأسرار في أعماق الطبيعة والتخلّص من غلال التكنولوجيا الدامية . فلنَغُص في أعماقنا علنا بالطقوس الطبيعيّة ندرك تحوّلنا وجوهر رغباتنا المدفونة في لا وعينا .

يقول : André Gide dans la synphonie Pastorale

... "Les bois de la nature permettent ce qu' interdisent les bois des hommes et de Dieu ." (11)

**فيض الكمّ لا يعني اصفرار زبدة النوع :**

يدرج إحسان عبّاس أنّ الا رتياح إلى الطبيعة، من الموضوعات الكبرى التي سيطرت على الشعر في هذه الفترة، كما أنّه حافل أيضًا بصور الطبيعة في الشعر الأندلسي . وربّما كان وصف الخمر والغناء أقلّ منزلةً في هذا الشعر من وصف الطبيعة، وبخاصّةٍ وصف الربيع عامّةً، والغيم والمطر والبرد والخمائل والنواعير والأزهار جملة وتفصيلاً، وممّا أكثروا من وصفه أزهار الورد والبهار والياسمين والنيلوفر .

وإذا ميّزنا هذا النوع من الشعر بالكثرة، فليس معنى هذا أنّنا نميّزه بالجودة، فإنّ الغرام فيه " بالصورة " قد صرف الأندلسيين عن حبّ الموضوع نفسه، أمّا الصورة فيه فإنّها شبيهة بأختها المشرقيّة في نواحي جمودها، وحديثها عن الزهر الحيّ بالتشبيهات الجامدة المستمدّة من الوشي والأحجار الكريمة . وما أشبه من ذلك قول ابن النظّام : ص٨٣ .

وقـــد بَـدَتْ للبَهـــار ألـــويةٌ تعبَقُ مِســـكًا طـلوعها عَجَبُ (١٢)

**ثالثًا : الحبّ ـ الحبيبة ـ العشق في الشعر الأندلسيّ والموشّحات :**

**١ . ركن حاسّة الشمّ في أصول العشق :**

الحديث عن الحبّ مفعمًا بعطر يروي النفس ويُنعش القلب ولو لحين . الحديث عن الحبّ حديث عن معذّب استعذب الألم، عن شمعة تذوب، عن جلجلة وصليب، عن فردوس مفقود، عن الحياة ... كلّ الحياة . أيكون الحبّ " جواز مرور" بواسطته يقطع الإنسان رحلة العمر ؟ وعندها تنقطع الطريق أمام الذين لا يعرفون الحبّ بحواجز تتصدّرها لوحة كتب عليها " ممنوع المرور" . أيكون الحبّ دليل الحياة ؟

يقول : Diderot

"un homme sans passions est donc un instrument dont on a coupé les cordes ou qui n'en eut jamais" .

أمّا في الأندلس حيث كلّ شيء يقول هنا معقل الحبّ والغرام، تفشّي الهيوم في أحداق كلّ من يملك قلبًا ينبض أنغامًا عشقيّة وأنفاسًا ملتهبة .

**٢ . عذاب الغرام ولوعة العاشق :**

إنّ مَنْ سال يراعه مداد قلبه النازف، حروف لوعة تغذّي قلب كلّ محروم من نسمة حبّ عطريّة وموجوع من فراق رائحة معشوقة،وملهوف لمشاركة حبيبه أنفاسه ومستبيح حياته لقاء شمّة يسرقها منه ويحبسها في أعماقه لتكون الأخيرة، فليشهد معنا تأثير رائحة المحبوب الغائب في أنفاس حبيبه الذي مُني بالهجران.

يقول الحاجب جعفر المصحفي : ص٥٩٤

ومصفرّة تختال في ثوب نَرجس وتعبقُ عن مسك ذكيّ التنفس(١٣)
لها ريحُ محبوبٍ وقسوة قلبه ولون محبّ حُلّة السقم مُكتسي

أن تعبق في أنفاسك رائحة محبوبك المدبر عن حبّك تاركًا جرحه العميق في أعماقك وكأنّها رائحة تحوّلت جلادًا متسلطًا يضرب بسوطه أوتار أنباضك ويجعل كلّ ما فيك جسديًا أو نفسيًا يشعر بالوجع والسقم، فيضيع وعيك وتفقد القدرة على التفريق، هل أنت عليل أم سليم، أم ماذا؟

ففي حبّه يذوق طعم الموت مرارًا وتكرارًا دون تراجع أو وَرَع .

قال ابن سناء الملك : ص٤٢

فكلّ يـــوم أراه فـــي شـــانٍ أماتني حبّه وأحياني بأشنبٍ شـقاني
شـــهادتي أن أمـــوت عليه
لمـــا جنى الورد مـــلء كفيه
تشـــوّفت وردتـــان إليـه
فحـــلتا في رياض خـدّيه (١٤)

فإنّ رائحة الحبيبة تشبه كلّ رائحة طيّبة، وكلّ شيء جميل، وكلّ ما تجسّد رائعًا على الأرض، ورُسم خيالاً في أطياف الرومنسيين .

قال ابن سناء الملك : ص٥١

أرى دمـــعتي كالدِّمـــا جـــارية على وجـــنتي في هـــوى جارية
مـــن المسـك والنـــدّ والغـــالية وقـــد أرخصـــت أدمـعًا غـــالية
من الـــزنج طـــرّتها الباهرة
من المقل مـــقلتها الســـاحرة
من الروم وجـــنتها الزاهرة
من الهند نكهتها العاطـرة (١٥)

### ٣ . مدح الحبيب إثر هيام عميق :

للحبيب رائحة تترك منها معالم حيثما مرّ صاحبها ولا يعرف سرّها إلاّ المتيّم بها، والحافظ تفاصيل حبيبه، وأوّلها رائحته .

قال الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى عبد الرحمن بن محمّد بن خلدون الخضرمي : ص٣٠٣

وســـار على الآفاق طـــيب ثنائه  فما المِسْكُ لولا عَرْفُهُ المتطايبُ(١٦)

إنّ الشاعر الأندلسي وشعراء الزمن الأندلسي الفوّاح، أدركوا وترجموا شعور أي فرد من أفراد عصرهم، والعصور السابقة وحتّى يومنا هذا وإلى ما لا نهاية، أنّ أطيب الأطايب وأذكاها تتضاءل كلّها أو حتّى تنعدم أمام رائحة من نحبّ وفعلها فينا تأثيرًا هائلاً يسقط عبرة حَرقة لمدى هيمنتها على شعورنا .

قال الفقيه الكاتب أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنّان الأنصاري الخزرجي ص٣٣٧ :

ولحـظُـكَ أنكى لا البواتير وتُنتفى  وعَـرْفُكَ أذكى لا الأزاهرُ تَفتَرُّ(١٧)

وقال الفقيه القاضي الخطيب محمّد بن علي بن عبد الرزّاق الجزوي : ص٣٥٦

لقد نَسمَتْ من روض عِلْمِكَ نَفحةٌ  تناستْ بها الألبابُ عاطرةَ الشحَر

عندما وصل ديدرو إلى حاسّة الشمّ جعلها حاسّة الرغبة، أي حاسّة لا يمكن تصنيفها؛ لأنّها حاسّة يحكمها اللاشعور وليس المنطق.

وأيّ منطق ؟ تسقط كلّ قوانين المنطق وكلّ أحكام العقل عندما تلتقي شفاه حبيبين يرشفان ويلتقيان في تلك اللحظة كلّ نورانيّة سماويّة عاطرة .

قال الطرطوسي : ص٨٩

قـــبّلتـــه ورشـــفت مـــا  فـــي فـــيه من خمرٍ وشـــهدِ

فرشـــفتُ مـــزنَ الســـلسـبيـ  ـل بـــزنجـــبيل مســـتعِدِّ

ولـثـــمتُ فاه مـن الغـــرو  بِ إلى الصـــباح المســـتجدّ

وســـكرتُ من رشـفي العقـــي  قِ عـــلى أقـــاح تحـــت رَنـدِ

فـنزعـــتُ عـن فـمه فـمـي  ووضـــعتُ خدّاً فـــوق خـدّ

وشـــممتُ عَـــرْفَ نســـيمه الـ جـــاري على مســـــك ونَـــدَ
وصـــــحوتُ من ريّا القـــرنـ فـــــل بين رَيْحـــــان وورد (١٨)

تفجّرت القرائح الشعريّة لروعة الطبيعة الخلاّبة المنتشرة، إذ دُهش بها العربيّ الصحراويّ. انغمس الشعراء في البيئة الأندلسيّة فتركت عليهم ظلالاً واضحًا .

وعلى ماذا يُشجّع عبيرالطبيعة الأندلسيّة وعبق أزهارها إلاّ على الغوص في الحبّ حتّى الهيوم وهو أعلى درجاته، وترجمته شذا قُبلٍ عاطرة مرشوفة من فيه من نحبّ ؟!

يـقول ابن التلمساني في مُزن عاطر يتدفق من لُمى بوجه صـبوح: ص٥٥٧.

سطوة الحجّاجْ في الناس والسفاح فما نرى من ناح من لحظة التفاح
عـــلّـــل بالـمســـــــك قـــلـــبَ رشـــًا أحـــور
مـــنعّـــم الـمســـــــك ذي مـبســـم أعـــطـــر
ريّـــــاه كـــالمســـــك وريقـــــه كـــــوثر(١٩)

قال أبو الفضل :

وجـــاد بقبلةٍ فشـــممتُ مِســـكا وذقـتُ مُدامة وقطـــفتُ وردا (٢٠)

أتصوّر ما تلا هذه القبلة من شعور فأشمّ سُكْرًا شقيّا بعد ظمأ معذّب لصقيع عذارى .

إنّ للروائح مدًى خصبًا وأداةً منبّهة ومغذّية لانفلات تمنّياتنا وخيالنا . ومع الروائح تتعدّد ال"هل"!...! وال"ليت"!...! وتُمَدّ الآهات وتَكْثُرُ العَبَرات وتَنتشر علامات ؟...؟...؟

هـــل تُســـــتعادْ أيّـامنا بالخـــليـــجْ ولـــيـــالـــينا ؟
أو يســـــــتعادْ مـــن النســـيم الأريجْ مســـك داريـــــنا
أو هـــل يكـــــادْ حســـن المكان البهـيجْ أن يحـــيّـــيـــنا ؟

روضٌ أظلّـــــــــهُ دوحٌ عـــليه أنـــيقْ مـــورقُ الأفـــنـــانْ
والمـــــاء يجـــــري وعـــائمٌ وغـــريـــقْ من جـــنى الريحانْ
أو هـــــلْ أديـــــبْ يُحيـــي لنا بالغـــروسْ مـــا كـــان أحـــلى
مـــــــــع الحـــبيبْ وصـــافيات الكـــؤوسْ فاســـــقِني واملا (٢١)

الحبّ قويّ كالموت، وقع كلاهما كالزاعقة . عندما تكثر العوارض وتتصاعد المنبّهات يتّصل الموت بالحياة ويولّد الحبّ . ومن أقوى المنبّهات التي تقوّي الحبّ هو احتكاك حواسنا الخمس في اشتعال جمر الهيوم وأقوى الحواس تأثرًا هي حاسّة الشمّ التي تأخذ أشهى عبقٍ بالحبيب، تأخذ ريقه وتحبسه في داخل المحبّ .

يـــــــا صـــاحبيّا إلـــى متى تـــعذلاني أقصـــرا شـــيّا
قـــــد مـــتّ حـــيّا والمبتلـــي بالغـــواني مـــيـّتٌ حـــيّا
جـنـــى عـــلـيـــّا عـذبُ اللمى والمعاني عـاطِـــرٌ ريـــّا

روائحهم تدلّ عليهم . وكأنّ بالرائحة، سُنَّ قانون جديد يستدلّ الفرد على الآخر لا بالاسم ولا بالشهرة ولا بالمذهب، بل بالرائحة .
لكنّه قانون خاصّ، خاصّ بالعشّاق فقط حين يلتقطون روائح أحبّائهم من بين ألوف، ويهتدون عليهم بحاسّة الشمّ وحدها، حتّى لو كانت الحواسّ الباقية كلّها معطّلة . فإنّ لحاسّة الشمّ بريقًا يميّزها، و سمةً يصعب إدراكها إلاّ لمن يُتقن طقوس اتّباعها .

قال أحمد بن فرج : ص٣٠
وبات ثـــرى العقيق ينمّ عـــنها إليّ بـمثـل أنفاس الغـــوالي (٢٢)

كم هو دقيق وصادق وصف الشاعر الأندلسي لحالة العشق بإدخال الحواس جميعًا، وهذا فضلٌ يعود للطبيعة الأندلسيّة الخصبة، وخاصّةً حاسّة الشمّ المتطيّرة حيث تفوز بتجميل الحبيب وتفي بالمقصود .

ومن لم يُرَندِح توشيحَ :

زارنـــــــي المحـــــبـوب فـــــي ريـــــــاض الآس
روّق الـمشـــــــــــروب ومـــــلا لـــــي الكـــــاس
فـــــــاز بالمطلـــــــــوب مـــــــن له قـــــــد باس(٢٣)

**٤. الغموض والتسلّل عبر المجهول :**

إنّ إفلات العنان للعواطف هو الغوص في المجهول والتسلل عبر الغموض إلىالسرّي مهما يكن الحديث عن الحبّ جميلاً . إنّ العيش فيه والتغلغل عبر عطوره لاكتشاف الشفوف المشرق يجعل للماضي رائحة اليباس والعقم، وللحاضر شذا كلّ مجنون، وللمستقبل عطر الانتظار والترنّح بين وردة وحَنظل .

قال ابن الصاغ :

إن تـــكن باحثًا عن الأسـرارْ
فانتشق صـــاح نفحـة الأســحارْ
وأطـــلِ فـي الأصـــائل الأذكارْ
فهي أذكى من عاطر الأزهارْ(٢٤)

للماضي رائحة، وللذاكرة رائحة، وللزمان رائحة، وللأماكن رائحة، ولليالي رائحة . كلّ ما ترك في زوايا لا وعينا وَشْمًا صارخًا دون صوت، قـــاتلاً دون دم، جالدًا دون صرخة آخ .

للمتيّم جنون خاصّ به، جنون الملهوف للخبر من صوب حبيبه، لرائحة منقولة في عابر سبيل مرّ بحبيبه، لعلّ روح الريح الآتي من ناحيته تطفئ نار الانتظار .

يقول الطرطوشي (قوله من رسالة) ص:٨٥

وأســـتعرضُ الرّكبانَ من وجـهة لعلّي بمـن قد شـــمّ عـرفكَ أظـفرُ
وأســـتقبلُ الأرواحَ عـند هـبوبها لعلّ نســـيم الريـــح عنك يُخَبِّرُ(٢٥)

يقول أبو الصلت أميّة بن عبد العزيز بن أبي الصلت الإشبيلي يوم الوداع : ص ١٠٩

لـــو كـــنت أمـلك خـــدّها للثمثه حـــتّى أعـــيد به الشـــقيق بنفســـجا

يختار الأندلسي لرائحة فراق حبيبته أجمل أطايب الزهر المقصودة بفقدان شمّتها وتقبيل خدّها .

**٥ . حاسّة خارجة عن القانون :**

مهما فصلت المسافات بيننا وبين من نحبّ، إنّ الهواء لديه قدرة يتفرّد بها . يجمع شمل أنفاس الأحبّة، فلم تعد البحور عائقا ولا الجبال سدًّا ولا اليابسة حاجزًا على النسيم العشقيّ الذي يصل من حيث لا ندري محمّلاً رائحة الحبيب، يدخل خلسة عن الآخرين ليعبق في أنفاس تنتظر وترقب مجيئه .

فحاسّة الشمّ هي حاسّة خارجة عن القانون، محرّرة من إطار الزمان والمكان، فكلّ الأزمنة ملكٌ لها وكلّ الأمكنة روضها البسّام .

قال ابن رحيم ( أبو بكر ) المتوفى سنة ٥٣٠هـ ـ ص:١٢٠

نســـيم الصـــبا أقـــبل مـــن نجـدٍ لقـــد زادني وجْـــدًا علـــى وجـــد

يا ريـــح الصـــبا بالك واريـــني

بعـــــــرفِ شـــذا مسك دارين

ووصـــف رشـــا بالهجر يبديني

وسل باللوى عن كتب يبريني (٢٦)

هذا بحثٌ موجّه لمن يعترف جهارة أنّه عاشق، ويُتقن عشقه دون حياء أو خوف، إنّه ابتهاج مذهب في الحياة؛ مذهب الحبّ والغرام والتضحية . إنّ التكلّم عن الحواس، أي عن احتياجاتنا التي نتناساها أو المجبورين على إخفائها وكأنّها عارٌ علينا.

إنّ شمّ الحبيب يعني لمسه وعناقه والتقاء الشفاه المستسلمة لشعور عفويّ تلقائي يحدث بين من يتبادل الأحاسيس ببساطة . إنّ التكلّم عن حاسّة الشمّ أو الحواس جميعًا أو عن فوضى الحواس، هو

التكلّم عن جنّة أو نار، هو دعوة للموت المحيي، هو الإبحار ضدّ التيّار، هو المواجهة، هو تحدّي كلّ الأنظمة والقوانين التقليديّة المعقّدة الكابتة في لا وعينا، كلّ ما يجعلنا نحسّ بوجودنا .

يقول أبو الحسن علي بن محمّد التهامي : ص٥٤٣

لــولم يكن أقحوانًا ثغــرُ مبسمها  ما كان يزدادُ طيبًا ساعة السحر (٢٧)

يقول القاضي أبو القاسم بن أبي العافية : ص٢١٨

والعيشُ أخضرُ والهوى يدنى جنى  زهراتِ ثغرٍ أو ثمار نهودِ (٢٨)
والقضبُ رافلةٌ يعانقُ بعضُها  بعضًا، إذا اعتنقت غصونُ قدودِ

الروائح : تعني الحياة، حياة الطبيعة، تعني الاستمراريّة والجودة في كلّ ما يلقنا .

عرف الأندلسيّ كيف يشمّ ويتذوّق معنى الحياة، طبيعة، ونساءً، وخمرًا . ترجم ما يحسّ به دون خوف وبإباحيّة مطلقة، بإباحيّة المكبوت، طالما أنّه ترك حواسه تعبّر على حرّيّتها . ولدينا في عصرنا مثالاً على هذه الحرّيّة المنفلِتة ألا وهو (" ودون مقدّمات") نزار القائل في " قصائد متوحّشة (أحد كتبه) :

... نهدك بطّة بيضاءُ ..." القصيدة المتوحّشة" ص١٩
... أطلب مُلكًا في نهديكِ ..." قصيدة واقعيّة" ص١٢٨
... أطلب نصرًا من شفتيك ...

## رابعًا : طقوس المجانسة بين الطبيعة والحبيبة في الشعر الأندلسي

قال الكميت : ٣٣

فطالما مُنِعْتُ طيفَ خيالها
وعزّ ما حرمتُ عطف وصالها
حتّى إذا خطرتُ يومًا ببالها
هبّت ريحُ الشمال من نشر طيّبِ

رمى " الكميت" على زهور الطبيعة روحًا من روحه وانفعالاً من انفعاله، وجعلها تهتزّ وتتصرّف تجانسًا مع الموقف الذي اتّخذته حبيبته وهو أن يمرّ "هو" المتيّم بخاطرها يومًا، فاحتفل مع الريح والقرنفل بهذه الخاطرة التي ينتظرها كما ينتظر هطول المطر في الصحراء القاحلة .

نحن نحبّ أكثر عندما نتعذّب أكثر . نحن نتعلّق بحبّنا عندما ننتظر بحرقة . إنّ الأرض لا تُزهر وتنتج إلاّ إذا عبست السماء وتجهّم وجهها وسال دمعها خيرات . وهكذا الأندلسيّ المتبخترِ في أرض الخصب والزرع، والحياة يُشبّهها بحبيب مقيّد بلقاء حبيبته لمدّة لحظة، وببرهة سرقة شمّة غير مكتملة تاركة في القلب غُصّة .

كأنّ ســـرور الأرض حُزنُ سحابها إذا ما بكت لاحـــت لنا في تصـــنّع
حـــبائب لا يســـمحن إلاّ بـــلحظـــة وشـــمّةِ أنفٍ كالحـــبيب الممنّع(٣٠)
يوسف بن هارون،ص: ٤٣

كم الممنوع مرغوب !...! وكم الصعب متبوع !...! وكم المجهول مغرٍ !

**خامسًا : حاسّة الشمّ في سبيل مدح الأشخاص**

كما أنّ لكلّ مخلوق حيّزًا على هذه الأرض ودورًا فاعلاً في هذا الوجود، كما أنّ لكلّ طالب معرفة قنديلاً ينير له طريقه، كما أنّ التجارب الخاطئة تعلّم . فقد كان للشاعر العربيّ مساحات خلاّبة من الخضرة والنضرة، لم يتوقع أن يكون في أحضانها يومًا. فوجد أمامه حلمًا واقعيًا، غبّ من جماله عطش سنين صحراويّة مرهقة .

فالطبيعة هذّبت ميوله وأنفاسه ونفسه، وجعل عناصرها التي تحرّك حواسه، تدخل في كلّ أشعاره وأحاسيسه، حتّى في نظرته للرسول محمّد، فاستعان الشاعر بأشياء الطبيعة ليعبّر عن مدحه أكثر.

أمّنت الحديقة الأندلسيّة مدادًا جديدًا لهذا العربيّ المسلم الهارب من أشعّة الشمس وقساوتها في صحرائه القاحلة .

يقول الأستاذ النحوي المقرّي عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي يمدح رسول الله، ص٣٧٥ :

وظِلّ روضٍ راضَهُ صَوبُ الحَيا  فاغتمّ من نور حُلاهُ واكتسى
باكرَهُ سِمِيُّهُ فانفتحت  كمامُهُ عن زَهْر طيّب الشذا
وهزّ أيدي الريح منه قُضُبًا  غنّى بها الطيرُ الأغنُّ وشدا
أحسِنْ به روضًا نميمًا عَرفُهُ  معطّرًا داني القُطوفِ والجَنَى (٣١)
قد نثرتْ شمسُ الغداة أيدعًا  فيه وقد بلله قَطرُ الندى

أمّا ابن شهيد في سبيل مدحه وإظهار محاسن ممدوحه كانت حاسّة الشمّ هي الوافية بغرض التعبير عن جمال فضائل ممدوحه :

يا سيّدًا أرجَتْ طيبًا شمائلُهُ  وتاكهت شعرَهُ حسنًا رسائلُهُ(٣٢)
الوردُ عهدًا ونسرًا صِنوُ عهدك،لا  تُنسي أواخرَه طيبًا أوائلُهُ

**سادسًا : حاسّة الشمّ في مجالس اللهو وتشراب ماء الأثير**

منذ البدء كان العربيّ ذوّاقة في التفنّن بأنماط عيشه وفي اختيار أساليب الترف. كيف لا وهو الذي يُتقِن قوانين الشرب ومجالس اللهو مع الصحبة . فجاءت الطبيعة الأندلسيّة لتذكي مواهبه الوراثيّة، رغم تحريم الإسلام للخمر، وتُغني قاموسه الخمريّ مفرداتٍ فوّاحة بعطور وحي نيسانيّ.

فتوافق شذا الحديقة الأندلسيّة مع مفاعيل الخمر في جسم شاربه، وتآخا فالتحما وأعطيا للشعراء بساتين عابقة بأروع الكلمات الشعريّة.

قال اسماعيل بن بدر في باب في الشراب : ص٩٣

ودبّت في مفاصلنا دبيبًا  يُقتّلنا وما نشكو جراحا
كأنّ نوافجًا فُتّقتْ علينا  فنَمّ نسيمُها فينا وَفاحا

أمّا وصف الخمر، فقال أحمد بن عبد ربّه: ص٨٨

ورادعـــة بأنفـــاس العـــــبير مُـــقـــنّعةِ المفـــارق بالقـــــتير

وقال عبد الله بن إدريس : ص ١٤٥

كأنّ مُدار الكأس في الشـرب طـيبُهُ على العودِ لما استَنطقتْهُ الأصـابعُ

كلمات سودٌ تنزل حروفًا على صحائف بيض تعطيها معنى، فتصبح هناك علامة تربط الأولى بالثانية، فلا يجد أحدهما فرحًا بعيدًا عن الثاني .

كذلك العربيّ منذ الجاهليّة اتّحد مع ماء الحياة التي تُنعش قلبه حتّى وصل بها إلى قمّة المذهب الأبيقوري (معنى الحياة اللذة) مع طرفة، وعبّر أبو مُحتَم السقفي عن وحدته مع الخمرة وانصهاره معها بطريقة عشقيّة، فقال :

إذا مُتّ فادفُنّي إلى جـــذع كـرمـه تروي عظامي بعد مـــوتي عـروقها

ولا تَـدفُـــنّي بالغـــلاة فـــإنّـــي أخـــاف إذا مـا مـــتّ ألاّ أذوقُـــها

**سابعًا : الوجه الآخر لحاسّة الشمّ في الشعر الأندلسيّ**

الأندلسيّون شعب طُبعَ على الشعر حتّى المرأة الأندلسيّة وجدتْ في البيئة الاجتماعيّة حافزًا للتحرّر ومنفذًا للانطلاق . هذه البيئة التي كانت للشعر تربة خصبة فنما فيها زرعه، وأينع ثمره، وفاح عطره في كلّ أنحاء الأندلس وبين مختلف طبقات الشعب. لكلّ شيء في هذا الوجود وجهان :

وجهٌ مشرق جميل، وآخر عنيف ومقرف . وهكذا في الموضوع الذي أتناول البحث في ثناياه والغوص قدر الإمكان بين طيّاته . كما أنّ هناك الزهر والورد والطبيعة الخلاّبة العابقة بالعطور السماويّة والنعمة العلويّة، هناك أيضًا روائح كريهة تفتعلها النفوس الحاقدة والألسنة الجارحة . كما نتوسّل شذا الياسمين لإعطار اللوحة التي نرسمها كلمات أجمل وأحلى الصفات . كذلك نتوسّل أقبح وأبشع الروائح لتلطيخ كلماتنا، وإظهار الصورة بأبشع ملامحها .

وكما هناك نساء جميلات يتعطّرن بأروع الروائح بانتظار حبيبهنَ، هناك أيضًا نزهون ؟!؟! الغرناطيّة، أي الناحية المشوّهة من الشمَ .

سنقف مشدوهين أمام امرأة تردّ على الهجاء بهجاء أشدَ أذيّة، وتقابل الوقاحة بوقاحة أكثر تجريحًا، وتدفع عنها الألفاظ الجارحة بألفاظ أكثر قساوةً؛ وهذه المرأة هي : نزهون الغرناطيّة. التقت نزهون بالمخزومي هذا في مجلس عقده الوزير أبو بكر بن سعيد، فاضطرّت أن تشترك في الحديث وقالت للمخزوميّ :

"ولكن من يجئ من حصن المدوّر (مسقط رأسه) وينشأ بين تيوس وبقر من أين له معرفة بمجالس النعيم"؟ فلمّا استوقتْ كلامَها تَنَحْنَحَ الأعمى، فقالت له : "ذبحة "، فقال : "من هذه الفاضلة" ؟

فقالت :" عجوز مقام أمّك ".

فقال : "كذبت، ما هذا صوت عجوز، إنّما هذه نغمة قحبة، محترمة، تشمّ روائحه هنِها على فرسخ ".

فتقابل نزهون الشعر بالشعر، والعنف بالعنف، والعهد بالعهد، فتقول :

قـــلْ للـــوضـــــع مقـــــالا يُتلـــى إلى حـــين يُحشـــــرْ
مـــــن المـــــدوّر أنشـــــد تَ والخـــــرا مـــنه أعطـــــرْ

هذه جارية الشاطبي : يقول المقرّي :

وكانت أديبة شاعرة، كتب إليها أبو عامر بن يتّق يدعوها للحضور عنده بعودها: (ابن يتّق كان طبيبًا أحبّه الناس ومالوا إليه، واهتمّوا بالأدب والشعر، ترجمته في المغرب ٣٨٨/٢ توفّيَ سنة ٥٤٧)

يا هند هـــل لـــك فـي زيارة فتيةٍ نبذوا المحـــارمَ غـير الســـلسـل
سـمعوا البلابل قد شـــدوا فتذكّروا نغـماتِ عـــودكِ في الثقيل الأوّل(٣٤)

فكتب إليه في ظهر رقعته :

ياســـيّدًا حاز العـلا عـن ســـادةٍ شـــمّ الأنوف من الطـــراز الأوّل

حسبي من الإسراع نحوك أنني كنت الجوابَ مع الرسول المقبل

باتت حفصة مع أبي جعفر في بستان بحوز مؤمّل حيث كل ما هناك من روض ونسيم وطير ومياه يطيب للحالمين ويروق للعاشقين.

وبعد لحظة الانفعال، وما أمرّها لحظة، كتب أبو جعفر يصف المكان :

رعى الله ليلاً لم يرحْ بمذمّم عشيّة دارانا بحوز مؤمّل
وقد خفقتْ من نحو أريحة إذا نفحت هبّت بريّا القرنفل
وغرّد قمريّ على الروح وانثنى قضيبٌ من الريحان من فوق جدول
يرى الروض مسرورًا بما قد بدا له عناقٌ وفمٌ وارتشافُ مقبّل(٣٥)

## أندلسيّات متفرّقة

للحفيد أبي بكر بن زهر:

حسب الخليع ملجا روض على غدير وقهوة مداره أنفاسها عبير
صفراء بنت دنّ بالنور تطلع
ينشقّ كلّ دجن عنها وينصدع
إبريقها يغنّي والكأس يستمعْ
غصن بان مال من حيث استوى
باتَ من يهواه من فرط الجوى
قلق الأحشاء مهضوم القوى

كلّما فكّر في البين بكى ما له يبكي لما لم يقع

لأبي بكر السرقسطي (ابن مالك):

حثّ كأس الطلا على الزهر وأدرها كالأنجم الزهر
تنثني وما بها سكرُ وغصون أمالها القطر أنسيم يفوح أم عطر
وطيور نطقنَ بالسّحْر حينَ هبَّ النسيمُ في السحر

خـــد وسيم يبدو فيعشوني كـــما لاح ســـنا الكوكب الـــوضاح
ولي أدارت بـــه الكاســـا صهباء تبعث إيناسا حكته رضابا وأنفاسا
لها شـــميم كمسك داريـــن كما فاح شـــذا العـــنبر النضّـــاح
حســـن وجـــهك الأقمـــر قـــد ســـما عـــلـــى البدر
وبـــخـــدّك الأعـــطـــر جـــلّ عـــن شـــذا العطـــر
ونـــجـــدك الأزهـــر روضـــة مـــن الزهـــر
سوسن عليه آس خطّ فاستبى الخلقا فإذا بدا أو لاح يسألونك الرفقا

لأبي عيسى بن لبون :

بمهجتي غصـــون رياحـــين تهـــتزّ فـــوق كـــثبان يبرين
أحيبْ بمثلها غصون ثمارها بدور دجون تُلقيك في إسار المُجون
ما العيش كله والصلاح إلا رنين عود وراح تديـــرها فتاة رداح
يجود بخـــدّها كـــل حـــين روض يفـــوق البســـاتين

للوزير أبي بكر بن رحيم :

بأبـــي عاطرة الأردان ساحرة الطرف
كاعب مائلة الزنار منعـّمة الـــردف
حملت من كلّ حسن ليس تدرك بالوصف
بدر تمّ حقه لـــيـــلٍ مـــن الشعر الوحف
تحته وجه من السوسان بالمسك مرشوشُ
إن الحســـن تنميق وبشـــر وترقيـــش

للوزير أبي عامر بن ينق :

يثنين وشي البرود على غصون القدود وهـــن ذات تهاد ثنيَ القنا المنآد
صـــاح عـــج بالكـــثيب وحـــيّ فـيـــه مـــواقف
مـــن عاطـــرات الجـــيوب تنـــبض نـــبض المـــوالف
واضحـــات غـــروب تـــزهـــى بحـــلو المـــراشف
أي ريق برود لحرّ صبّ عميد ما يصدّ الفؤاد تصدّ عنه صوادي

وله :

أنا مغلوب على صبري فمما أنا
وحبّي دائم الهجر لن يحسنا
جملة من يانع الزهر لو تجتنى
ياسمين في شقيق جلنار مشرق غصن من جنة الخلد مستشرق
روضة زبرجديّة ونسيم يتبختر في غلائل نديّة أشربت مسكًا وعنبر
سحب من لازورد وبروق من نضار
كلّما أتت بوعد كحلت بمثل نار
فبكت من ماء ورد في خدود من بهار
مَن لي بقدّ كغصن الرندْ تمّ فأطلع بين البهار وروض الورد خدّاً مرصّعْ
أحبب بخدّ من النوّار مفضض مذهب الأنوار
كأنّه علم من نار بدا الدجى منه في الأزهار
وفي الثنايا مذاب الشهدْ والمسك أينعْ وذا وذا من جنى وورد يُحمى ويُمنَعْ
تفاح الخدود نقل لراح الثغور
رمّان النهود علاج حرّ الصدور
وأغصان القدود مجنى ثمار السرور
سؤل التمنّي ضمّ يفيد اعتناقا وهتك الستور هوى ظباء الخدور

لأبي الوليد المرسيّ ا لخباز:

حثّ خمرة الأكواس فالنسيم قد رقا حين انجلى الأصباح وتغنّت الوَرْقا
وتبسّم الزهرُ عن مباسم الدرّ
وترنّم الوتَرُ وأتاك بالسحر
وأديرت الخمرُ كسبائك التبر
لا أنسى لأرشف المدام فصل الربيع
في روضة شقّت كمام زهر مريع
والنّور في ظلّ الغمام غضّ الفروع
قد كسيت منه البطاح بخسروان والنهر يخرق الأقاح كالأفعَوان

لأبي القاسم المنيشّي:

كلني لأشجاني وما أقاسيه
وخلّ عن شاني يا عاذلي فيه
غصن من البان لو كنت أحنيه
لينُ حيثُ الجنى والتجتي قوامه لدنُ
حيّا الهوى وجها أحلاه حلاهْ
ألدّ أو أشهى من المنى وصْلهْ
يتيه أو يزهى وحاله كحلاه
زينُ هل تتكر النفس شيّا يأتي به الحسنُ
دينُ من غاب عنو حبيبو ما سألْ عنو (بالعاميّة)
دعني تجول عيني في روضة خدّك وتستطيل يدي في تفاحة نهدك

ثمّ احتكم كما شئت في مهجة عبدك للوزير الصيرفي :

طلعت من مباسم الزهر نزهة الأعين
وانثنت عن سلافة القطر أعطف الأغصن
يا صبا نبتها مع الفجر نفحة السوسن
بسلام الحبيب أقبلت فخذي مضمري
ثمّ آن لي عليه سلمت فاذكري واذكري

لأبي عبد الله البطليوسيّ :

أقفرت مغاني الحمى من بعْدْ فالربع خالي من أميمة ومن هند
تخاله بهجة بستانا قطعته ناعما جذلانا لهفي على زمن قد بانا
كمثل عيد زمان الوردْ كم بالوصال له من يدٍ عندي

تبدو فأجعل طرفي يجني
من خدّ خود نمت في عدن
أيّام أمنح روض الحسن
زهرًا تفتّح وسط الخدّ من الهلال بتمامه السعد

لاح للـــروض على غـــرّ البطاح زهـــــر الـــزاهـــرْ
وثـــنى جـــيدا منعّـــم الأقـــاح تـــوره النـــاضـــرْ
زارني منه على وجـــه الصـــباح أرج عـــاطـــر
نثر الطلّ علينا حين فاح أيّما عقد حبّذا البشر لي عند افتتاح وجنة الورد

للوزير بن الوزير :

ظـبي له خـــدّ مفضّض مُـــذّهب وأغيد ورد في صـــدغه عقربْ
رقة زهـــر الباغ في جســـمه البضّ وقســـوة الفـــولاذ فـــي قلبه الفظّ
ثـــمّ يـــــا رذاذ هذي الربى والرياض مـــن هـــواك أيقـــاظ
طـــاب الصـــــبـــوح فـــي حـــــدائق الزهـــر
وهـــــبّت ريـــــح عـــنبريّـــة النشـــر
يـــا مـــــن يـــــبوح قـــل لكـــاتم السـرّ
مـــا الالـــتـــذاذ وفـــي النفوس انقباض واللسان لظلاظ (شديد)
يا لك مـــن قـــدّ مـــهما تـــأوّد أهدى إلـــى الـــزهـــر خدا مـــورّد
قـــم فاقـــتدح زنـــدا مـــن العـــقـــار
قـــد قـــلدت عقـــدا مـــن الـــدراري
وألبســـت بـــردا مـــن الـــنضـــار

لمحمّد بن رافع رأسه :

فتنسمت منك في العَرف ناضح العنبر
وتأملت منك بالرشف واضح الجوهر
يا قضـــيبا حـــوته أفـــلاكُ بالهـــوى مـــثمرا،
قـــلّد الجـــيد منه أســـلاكُ نظـــمت جـــوهـــرا،
وكذا اللحـــظ منك ســـقاكُ وقـــد ســـبا القسْـــورا
فتـــى راح فتْ المســـك من ذكـره وهـبّ نسيم الرياض من نشره
وأنفق سوق الحمد من شكره
خـلعـــت عَـــذري وبـــحـــت بالـــغـزلان
مـــذ بـــان صـــبري في الأوجه الزهـر الحســـان
مـــن كـــلّ بـــدر يلوح فـــي غصـــن بان

أوطفُ قد أدار لحظًا يصيب حبّ القلوب بسهم احورارْ
قضيب رند يميس في دعص رجراج
وبدر سعد يريك تحت الليل داج
رمان نهد أينع في لبّات عاج
يقطف بأفكار فوق قضيب لدن رطيب من ذوب البلار
أودى بصبري لا ما عبير في شقيق
خطا بالسحر في صفحتي خدّ أنيق
وسمط ثغر قد نمّ بالمسك الفتيق
الضريب يزري بالعقار وصف بالنضار ألمى شنيب
روضة وسيمة الأقحوان تجتنى بالأماني
لست أنسى ذكر طيب الصبوح إذ من جنى الخمر راحا بروح
وتغنى فوق غصن صدوح
أعجمي الصوت لكن شجاني عربيّ اللسان

للوزير أبي بكر الداني :

على عيون العين رعيُ الدراري من شغف بالحبّ
واستعذب العذاب والتدّ حاليه من أسفْ وكربِ
نُجل العيون سقت أحداقنا كأس الرحيق
أحداقها أحدقت بكل بستان أنيق
ووجنة شققت عن سوسنٍ وعن شقيق
وتحت نور الجبين آس عذار ينعطف كي يُنبي
بان ماء الرضاب حام حواليه منصرف عن قربي

* * * * * *

في نرجس الأحداق وسوسن الأجياد
نبت الهوى مغروس بين القنا الميّاد
وفي نقا الكافور والمندل الرطبِ والهودج المزروب بالوشي والعصبِ
قضب من البلور حمين بالقضبِ نادى بها المهجور من شدّة الحب

* * * * * * *

كنتُ أنشق العنبر من ثغر جوهر
وأرى سنا زاهر من الأزاهر
غصن بانةٍ هـزّه صبا ولين
ينثني على عزّهْ لها أهون
لي نجدّه منزَهْ ولي منون
فإذا جلا منظر فالعيش أخصر
وإذا رنا ناظر فالموت حاضر

* * * * * * *

وله :

يا من عتا طوبى لمن قبّل ذاك الجبين
ويشتفي من ريقك السلسل قبل المنون

أين الأمل من وجنة تُكسى
ورد الخجل وأكتسي الورسا
أرى المقل تلحظن خلسا

* * * * * * *

لست أنفكّ عن ذكر ذا الزمان
إذ لي في الوجه والثغر معللّان
أجيل الطرف في بدر وأقحوان
فذا حليّ وذا جنيّ والريق ريّ لكن حمى الوردا طرف أبيّ

لأبي بكر محمّد بن الأبيض :

يا نازحًا يزار لو كان لي خيار ما غنّت الديار
بالله يا نسيم الأعطر بلّغ الغائب
تحيّة الوزير الجعفر ابن الحاسب

* * * * * * *

وجنة الورد المحلّى تفتدي السحر المبينا
صبغت شفاه أحوى بدموع العاشقينا
نزلوا إلى التلاقي منزلا رحب الجناب

ومشـــوا إلـــى العـــناق فـــي الدجى مشـــي الحـــباب
وبكـــى خـــوف الفـــراق رشـــأ غـــضّ الشـــباب

للتطيلي الضرير :

ضـاحك عن جمان سـافر عن بدر ضـاق عنه الزمان وحـواه صدري
آه مـمـــــا أجـــــد شـــقني مـــا أجـــد
قـــام بـــي وقـــعـــد بـــاطـــش مـــتـــئد
كـــلما قـــلت قـــد قـــال لـــي أين قـــد
وانثنى خـــوط بان ذا مهزّ نضـر عابثته يدان للصـــبا والقطـــر

* * * * * * *

خـــلعت عـــزّي وديني فـــي أهـــيف القـــد لدنه
يسـطو بسـيف المنـون ما جـفنه غـير جـفنه
يا قسـوة الحـبّ لينـي ولـو برمّـان غصـنه

* * * * * * *

سـطـوة الحـبيب أحـلى مـن جـنى النحل
وعـلـى اللـبيب أن يخـضـع للـذلّ
أنـا فـي حـروب مـع الأعين النجـل
أنت مهرجـاني وخدّك بسـتاني غطّ ياسمينه ان الناس يجـنونه

* * * * * * *

دِنْ بالـهـوى شـرعا مـا عشـت يـا صـاح
ونـزّه السـمـعا عـن منطـق اللاحـي
فالحـكم أن تسـعى إلـيك بـالـراح
أنامـل العـناب ونقلك الورد حقت بصدغي آس يلويهما الخـد

* * * * * * *

شـهادتي ان أمـوت عـليه لما جـنى الورد مـلء كفيه
تشـوّقت وردتان إلـيه فحـلتا فـي رياض خـدّيه
وأسكرته مدام أجـفاني فمرّ بي صـاحيًا كنشـوان في ربرب غزلان

لابن بقي :

بدر تمّ شمس ضحى غصن نقا مسك شمّ
ما أتمّ ما أوضحا ما أورقا ما أنمّ
ذو فتور غنج ذو مرشف ألعس
العبير في أرج والحسن في ملبس
دعني أباكر راحًا كمسفوح النجيع
والروض زاهر نجومه ذات طلوع
وأيّ زاهر أجمل من زهر الربيع
هلال وسلسال عذب زلال والروض حال ناهيك حال
يومنا يوم أنيق يوم شرب والتذاذ
طرزت فيه البروق لابسا ثوب لاذ
وسقى الغيم الرقيق ماء ورد برذاذ
أظهر السحر المبينا حين رشّ الياسمينا وبكى من دون عين
فضحكنا فاكهينا

أيّها الساقي الحيا بريا حين التمنّي
سحر عينيك الحميا فاصرف الصهباء عنّي
لا تسلطها عليّا فالهوى قد نال منّي

وقال ابن اللبانة :

رقّ الربيع ورق طبع هوائه فانظر نضارة أرضه وسمائه
لولا ذبول الورد قلت بأنّه خدّ الحبيب عليه صبغ حيائه
واجعل قرين الورد فيه سلافة يحكي مشعشعها مصعّد مائه
الورد ليس صفاته كصفاته والطير ليس غناؤها كغنائه
يتنفس الإصباح والريحان من حركات معطفه وحسن روائه

وله في فخر الدولة بن المعتمد :

بكى حديثك حتّى الدار حين غدا يحكيك رهطًا وألفاظًا ومبتسما
وروضةالحسن من أزهار هاعريت حزنا عليك لأنّ أشبهتها شيما
بعد النعيم ذوى الريحان حين رأى ريحانك الغضّ يذوي بعدما نعما

لابن بقي :

قال خـــدي زهـــــــرة مذ فوّقا
جـــــردت عيناي ســـيفا مرهفا
حـــــذرًا مـــــنه بأن لا يقطـــفا
إن مـــــن رام جـــــناه هـــــلكا فازل عنك شـــــؤون الطـــــمع

لابن سناء الملك :

يا سما فيك وفي الأرض نجـوما
كـلما اغربت نجما أشرقت أنجما

وقال ابن زيدون مادحًا :

ولا بأس ان كان ولّـى الـــــربيع إذا لـــــم تجـــــد فـــــقده الأنفس
فـــإنّ خـلال أبـــــي عامـــــــر بهـا يحضـــــــر الـورد والنرجس

لابن خقاجة :

ومـــا كان أعطـر تلك الصـــــبا وأنـدى معاطـــــف تلك الربـــــى
وأطـــــــيب ذاك الجنى روضـــة ورشـــفةً ذاك اللمـى مشـــــربا

وله في نهر :

لله نهـــــــر ســـــال في بطـحاء أشـــهى ورودا من لمى الحســـناء
متعطّـــف مثل الســـــوار كأنّه والزهـر يكنفه مجـــرّ ســـــماء

للقائد عيسى بن لبون :

قـــم يا نديم أدر عليّ القـــــرقفا أو ما ترى زهـــــر الرياض مفوفا
فتخـــال محـــــبوبًا مـدلاً وردها وتظنّ نرجســـــها محـــــبّا مدنفا
والجـــــلنار دمـــــاء قتلى معرك والياســـمين حـــباب ماء قـــد طفا

للمصحفيّ في سفرجلة :

ومصفـرّة تخـــتال في ثوب نرجس وتعبق عن مســـك زكـــيّ التنفس

لها ريح محبوب وقوّة قلبه ولون محبّ حلة القسم مكتسي
فلمّا استتمت في القضيب شبابها وحاكت لهاالأوراق أثوب سندس
مددت يدي باللطف أبغي اجتناءها لا جعلها ريحانتي وسط مجلسي
ذكرت بها من لا أبوح بذكره فأذبها في الكفّ حر التنفس
ساحر المقلة معسول اللمى جال في النفس مجال النفس

لابن زيدون :

بني جهور أحرقتمُ بجفائكم فؤادي، فما بال المدائح تعبقُ
نتعدّونني كالعنبر الورد إنّما تفوح لكم أنفاسه حين يُحرقُ

لابن عمّار :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره لما استردّ الليل منا العنبرا
والعود لو لم تطب منه روائح لم يفرق الناس بين العود والحطب

لابن باجه :

هاك نور الصباح قد لاحا
ونسيم الرياض قد فاحا
فتأهّب وشعشع الراحا
لا تُقذفي في الظلام مصباحا
حين تنهلّ أدمع القطر فقل الروض باسم عطريّ

لابن زهر :

هل تستعاد أيّامنا بالخليج ولياليناإذ يستفاد من النسيم الأريج مسك دارينا
وإذ يكاد حسن المكان البهيج أن يحيّينا
نهر أظله دوح عليه أنيق مورق فينان
والماء يجري وعائم وغريق من جنى الريحان

لابن الخطيب :

والحيا قد جلل الروض سنى فسنا الأزهار في يبسم
وروى النعمان عن ماء السما كيف يروي مالك عن أنس
وطرٌ ما فيه عيب سوى أنّه مرّ كلمح البصر
غارت الشهب بنا أو ربّما أثرت فينا عيون النرجس

* * *-* * *

أيّ شيء لامرئ قد خلصا فيكون الروض قد مُكّنَ فيه
تنهب الأزهار فيه الفرصا أمنت من مكره ما تتّقيه
فإذا الماء تناجى والحصا وخلا كلّ خليل بأخيه
تبصر الورد غيورًا ندما يكتسي من غيظه ما يكتسي
وترى الآس لبيبًا فهما يسرق السمع بأذني فرس

لأبي عبد الله البلنسي :

أميلد مياس إذا قاده الصبا إلى ملح الإدلال أيّده السحر
يبلّ مآقي زهريته بريقه ويحكي البكا عمدا كما ابتّم الزهر
ويوهم أنّ الدمع بلّ جفونه
وهل عصرتَ يوما من النرجس الخمر؟

له أيضًا :

ومهفهف كالغصن إلا أنّه سلب التثنّي النوم عن أثنائه
أضحى ينام وقد تصبّب خدّه عرقا، فقلت الورد رشّ بمائه

لابن طفيل :

ألمت وقد نام المشيح وهوّما وأسرت إلى وادي العقيق من الحمى
وجرت على ترب المحصّب ذيلها فما زال ذاك الترب نهيا مقسّما
تناوله أيدي التجار لطيمة ويحمله الداريّ أيّان يمّما

لحازم القرطاجنيّ :

أدر المدامة فالنسيم مؤرج والروض مرقوم البرود مدبّج

والنهر ممّا ارتاح معطفه إلى لقيا النسيم عبابه متموّج

لابن حمديس :

زارت على الخوف من رقيب كظبية روعت بذيب
كافورة في بياض لون ومسكة في زكيّ طيب
كان زمان اللقاء منها أقصر من جلسة الخطيب

وله :

جوهرة كان خاطري صدفا لها أقيها به وأحميها
ونفحة الطيب في ذؤابها وصبغة الكحل في مآقيها
عانقها الموج ثمّ فارقها عن ضمّة فاض روحها فيها

* * * * * * *

من أين للرشاء الغرير الأحور في الخدّ مثل عذاره المتحدّر
قمر كأنّ بعارضيه كليهما مسكًا تساقط فوق ورد أحمر

وله :

الورد في وجنتيه والسحر في مقلتيه
وإن عصاه لساني فالقلب طوع يديه

لابن سهل :

هاجت فخلت الزهر كافورًا بها وحسبت فيها التّرب مسكًا أذفرا
وكان سوسنها يصافح وردها ثغر يقبّل منه وردًا أحمرا
والطير قد قامت به خطباؤه لم تتخذ إلا الأريكة منبرا

لأحدهم :

وأغيد طاف بالكؤوس ضحى وحثها والصباح قد وضحا
والروض أهدى لنا شقائقه وآسه العنبري قد نفحا
قلنا : وأين الأقاح ؟ قال لنا أودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقي الدام يحجد ما قال، فلمّا تبسّم افتضحا

لابن شهيد الأندلسي :

فتّح الورد على صفحتها وحماه صدغها بالعقرب

* * * * * * *

متلقع بحريره، متضمّخ بعبيره، مترنّح بفتوره

* * * * * * *

فولت وللمسك في ذيلها على الأرض خط كظهر الشجاع (الحيّة)

* * * * * * *

لعلّ نسيم الريح تأتي به الصبا بنشر الخُزامى والكباءالمعبّق
كأنّ عليها نفحة عبشميّة أتت من جناب المستعين الموفق

* * * * * * *

يا سيّدا أرجت طيبا شمائله وشاكهت شعره حسنا رسائلهُ
الوردُعهدًا ونشرا صِنوُعهدك،لا تنسي أواخرَهُ طيبًا أوائلهُ

* * * * * * *

ويسمو دخان المندل الرطب فوقه كما احتملت ريح متون عثان

* * * * * * *

وجدول الأفق يجري في منافسه ماء سقى زهرة الخضراء فضّيّ
فقلت والسقم منشور على جسدي يحدو الردى ورداء العيش مطويّ
أهدى"اللمائيّ"من أزهار فكرته نشرًا، فقال الدجى"مرّ"اللمائيّ

* * * * * * *

ومنتن الريح إن ناجيته أبدا كأنما مات في خيشومه فارُ

* * * * * * *

عهدي بها، والشمل فيها جامع من أهلها، والعيش فيها أخضرُ
ورياح زهرتها تلوح عليهم بروائح يفترّ منها العنبرُ

ابن زيدون :

ومحاسنٌ تندى رقائق ذكرها فتكاد توهمك المديح نسيبا
كالآس أخضر نضرةً،والورد أحمر بهجةً، والمسكِ أذفر طيبا

* * * * * * *

ما الورد في مجناه سامراه النديّ  متحلّيًا إلا ببعض حلاكِ
كلاّ ولا المسك التّموم أريجه  متعطّرًا إلا بوسم ثناكِ
* * * * * * *

مساعٍ أجدّت زينة الأرض، فالحصى  لآلئ نثر، والثرى عنبر وردُ
لدى زهرات الروض عنها بشارةٌ  وفي نفحات المسك من طيبها وفدُ
* * * * * * *

أراح إذا راح النسيم شآميًا  كأنّ شَمولا ما تدير الشمائلُ
لديه رياض للسجايا أنيقةٌ  تغلغل فيها للعطايا جداولُ
* * * * * * *

زمن كما راق السقيط من الندى  يستنّ في صفحات وردٍ يانع
* * * * * * *

على الروض منها رواءً يروق  وفي المسك طيب أريج يشمّ
* * * * * * *

أرج النديّ متى تفز بجواره  يطبِ الحديث ويعبق الترداد
كرم كماء المزن راق خلاله،  أدب كروض الحزن بات يُجادُ
ومحاسن زَهَر الزمان بزُهرها  فكأنّما أيّامه أعيادُ
* * * * * * *

على السيف من تلك الشهامة ميسم  وفي الروض مَن تلك الطلاقةزخرف
* * * * * * *

أضحى الزمان نهاره كافوره  والليل مسك من خلالك عاطر
* * * * * * *

كان من قربك في عيشٍ ند  عطر الآصال وضّاح البُكُر
* * * * * * *

أحسن من رقم عذار  سائل في وشي خدّ
أو مبسم حلو اللمى  يفترّ عن عذب برد
نسيم أيلول سرى  أم ورد نيسان ورد ؟
وافق العنبرَ من لفظك  من ذهني مجمرْ
فعرفنا بذكيّ العَرف  ما قد كان مضمرْ
ولعرف الكلم العذب  من العنبر أعطرْ

يا أليم الناس أعطـــــاقا وأفـتنهم لحظـــا، وأعطـــر أنفاسًا واردانا
* * * * * * *
ولـو لـم يـن طـيب لأغـنت حفاوة تمســـــكُ منها حـــالنا وتُعـنبر
* * * * * * *
أيـــــن أيّامنا ؟ وأيـــنَ ليالٍ ؟ كرياضٍ لبسنَ أفـــوافَ زهـــر
* * * * * * *
ما الشـــعر إلا لمـــن قـــريحته غـــريضة النّور غـــامّة الأثـــر
تبسم عـــن كلّ زاهـــــر أرج مـــثل الكمام ابتسمن عـن زهـــر
* * * * * * *
نلهو بما يستميل العـــين من زهر جـــال الندى فيه حـتّى مال أعـناقا
ورد تألّـــق في ضـــاحي منابته فازداد منه الضحى في العين إشراقا
ســـرى ينافحه نيلوفـــر عـــبق وســـنان نبّه منه الصـــبح أحداقا
* * * * * * *
ورامشـــة يشـفي العليل نسـيمها مضـــمّخة الأنفاس طـــيّبة النشر
أشـــار بها نحـــوي بنان منعّـم لأغـــيد مكحول المدامع بالســـحر
سرت نضرة من عهده في غصونها وعـــلّت بمسـكٍ من شمائله الزهر
إذا هـو أهـــدى الياســمين بكفه أخـذت النجوم الزهر من راحة البدر
له خُلق عذب وخَـــلق محســـنّ وظرف كعرف الطيب أونشوة الخمر
يعلّل نفسـي مـــن حـــديث تلذّه كمثل المنى والوصل في عُقب الهجر
* * * * * * *
مشـــين يباهـــين روض الـــربا بيانـــع روض الصـــبا المقـــتبلْ
فـمن قُضـــــَب تثنّى بـــريح ومـــن قضـــب تثنـــى بـــدلّ
ومن زهـــرات تندى بمســـك ومـــن زهـــرات تندّى بطـــلّ
* * * * * * *
ليسـقَ عهدكم عهد الســـرور فما كـــنتم لأرواحـــنا إلا رياحـــينا
ربيب مـــلك كـــأنّ الله أنشـــأه مسـكًا وقدّر إنشـــاء الورى طينا
* * * * * * *
وما اعـــترضت هـــموم النفس إلا ومـــن ذكـــراك ريحاني وراحـــي
* * * * * * *

راحت فراح بها السقيم ريح معطّرة النسيم
مقبولة هبّت قبولا فهي تعبق في الشميم
أفضيض مسك أم بلنسية لرياها نميم
بلد حبيب أفقه لفتًى يحلّ به كريم

* * * * * * *

ذي سمات تشفّ عن محض خال نفح المسك عرفُها طيب نشر
وسجايا كأنّهن كؤوسٌ أو رياض قد جادها صوب قطر
يتلقّى القبول منّي قبول كلّما راح نفحها ارتاح صدري
فهو يسري محمّلاً من سجاياك نسيمًا يزهى بأفوح عطر

* * * * * * *

فتأمّل كيف يغشى مقلة المجد النعاسُ
ويُفتّ المسك في الترب فيوطا ويُداسُ

* * * * * * *

فهو ريحانة الجليس ولا فخر، وفيه مزاج كأس النديم

* * * * * *

عطر هو المسك السطوع يطيب في شمّ العقول، أريجه المتنسّمُ

* * * * * * *

يا روضة طالما أجنت لواحظنا وردًا جلاه الصبا غضّا ونسرينا
ويا حياة تملّينا بزهرتها منى ضروبا ولذات أفانينا
ويا نعيما خطرنا في نضارته في وشي نعمى سحبنا ذيلها حينا

* * * * * * *

لا يكن عهدك وردًا إنّ عهدي لك آسُ

* * * * * * *

ورد تألق في ضاحي منابته فازداد منه الضحى في العين إشراقا
سرى ينافحه نيلوفر عبق وسنان نبّه منه الصبح أحداقا
نلهو بما يستميل العين من زهر جال الندى فيه لمّا مال أعناقا

لأبي بكر بن عمّار :

متأرّج الحركات تندي ريحه كالغصن هزّته الصبا بتنفس

يسعى بكأس في أنامل ســـوســـن ويدير أخـــرى في محاجر نرجس

لابن وهبون المرسي :

وبركة تـزهـــو بنيلوفـــر نســيمه يشـــبه رَوح الحـــبيب
حـــتى إذا الليل دنـــا وقـــته ومـالت الشـــمس لعين المغيب
أطـــبق جـــفنيه علـــى إلفه وغاص فـــي الماء حـــذار الرقيب

للأشبونّي :

مـــع فتيان كـــرام نُجـــب يتهـــادون رياحـــين المجـــون
شـربوا الراح على خـدّ رشـــا نـــوّر الورد بـــه والياســـمين

لعبد الله بن محمّد الأمويّ :

كـــأنـــّما وجـــنتاه ورد خـــالطـــه النـــور والبـــهار
قضـــيب بـــان إذا تثنـــى يدير طـــرفا بـــه احـــورارُ

لابن سهل :

ينبت الـــورد بغرســـي كـــلّما لاحظـــته مقلتـــي في الخـلس
ليت شـعري أي شـــيء حـرّما ذلك الـــورد علـــى المفـترس

## من كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي:

لأبي بكر بن دريد :

لا تحـــقرن عالمًا وإن خـــلقت أثـــوابـــه فـــي عـــيون رامقـــهِ
فالمسـك بينا تـــراه ممتهـــنًا بفهـــر عطـــاره وســـاحـــقهِ
حـــتى تـــراه بعارضـــي ملكٍ وموضـــع التّاج مـــن مفارقه

* * * * * * *

هـواؤنا مـــن الوباء جـــنّةٌ كأنّه مـــن نفحـــات الجَـــنّة

## من الكشكول :

لأبي سعيد الرستميّ :

وفيحاء لومرّت صـــبا الريـح بينها لضـــلّت، فظلت تســـتشير الدلائلا
متـى تـــرها خـــلت ســـــرادقًا عـليها وأعلام النجـــوم خـــمائلا
هـــواء كأيّام الـهوى فـــرط رقةٍ وقـد فقد العشـــّاق فيها العـواذلا

للأرجاني :

ما كنت أســـلو وكان الـورد منفردًا فكيف أســـلو وحول الورد ريحانُ؟

لأحدهم في النسوان :

فمنهنّ جـــنّات يفـــــيء ظـلالها ومنهـــنّ نيران لهـــنّ وقـــودُ

لابن قلاقس :

سرى وجبين الجـــوّ بالطلّ يرشحُ وثـــوب الغوادي بالبروق موشـــحُ
وفي طـــيّ أبراد النســـيم خميلة بأعـــطافها نَـــور المنى يتفتّـــحُ
تضاحك في مثنىالمعارض عارض مدامعـــه في وجـــنة الروض تسفح

لابن قرناص الحموي :

ورأينا خـــــواتم الزهـــر لمّا ســـقطت من أنامل الأغصـــان

لآخر :

مجـــرّة جـــدول، وســـماء آسٍ وأنجـــم نرجس، وشـــوس وردِ
ورعـــد مثالثٍ، وســـحا كاسٍ وبـــرقُ مدامة، وضـــباب نـــدِّ

للطغرائي :

ولا تحســـبَنّ الروح يقـلع كلّما يمرّ به نفـــح الصـــبا فيميلُ
ويســـتأنف الغصن السـليب نضارةً فـــيورق مـــا لـــم يعـــتوره ذبولُ

لأحدهم :

أضحى يقول عذاره هل فيكم لي عاذر
الورد ضاع بخدّه وأنا عليه دائرُ

لابن الزين في أعمى :

قد تعشّقت فاتر اللحظ،أعمى طرفه من حيائه ليس يلمح
لا تعيبنّ نرجس اللحظ منه فهو في الحسن نرجس لم يفتّحْ

لصاحب الكشكول :

وروضة ممطورة مرّ في أرجائها صبحًا نسيم الشمال
لو لم يكن أسكرني لفظها لقلت حقًا هي سحر حلال

فردّ عليه شيخ الإسلام :

تمايست عجبا، ومالت قنا وعطرت بالطيب تلك الرحاب

لأحدهم في مليح يحرث :

لله حرّاث مليح غدا في كفه المحراث ما أجمله
كأنّه الزهـ.رة، قدامه ثور يراعي مطلع السنبلة

لأحدهم :

أنبت، وردًا، ناضرًا، ناظري في وجنة كالقمر الطالع
فلمْ منعتم شفتي لثمه والحقّ أنّ الزرع للزارع

فأجاب والد العامليّ :

لأنّ أهل الحبّ في حيّنا عبيدنا في شرعنا الواسع
والعبد لا ملك له عندنا فزرعه للسيّد المانع

وله :

ما شممت الورد إلا زادني شوقا إليك

وإذا مـــا مـــــال غصـــــــنٌ خـــــلته يحـــــنو عـــــليك
آه لـو أســــــــقى لأشـــــفى خـــــمرة مـــن شـــــفتيك

* * * * * * *

وقائـــــله لما رأت شـــيب لمتـي أســتره عــن وجـــــهها بخضاب
أتســـــــتر عنّي وجـــه حقّ بباطل وتوهـمني ماءً بلمـــع ســـــرابِ

وفي الشيب لابن خقاجة :
والـروض مرمـــوق وليس برائقٍ حـــــتّى تصـــــاوفه العيون منوّرا

لابن اسرائيل :
يدير على الشـــــقيق عـــــذار آسٍ ويبســـــم بالعقيق عـــــن اللآلي

لشهاب الدين التلعفريّ :
وإذا الثنيّة أشـــــرقت وشـممت من أرجـــائها، أرجّـــا كنشر عبيرِ
سل هضبها المنصوب أين حديثه المر فوع، عن ذيل الصـــبا المجـــرورِ

لفضل الشاعرة في جارية المتوكل جعفر وقد كتبت على خدّها اسمه :
وكاتبة بالمسـك في الخـــدّ جعفرا بنفســي ســواد المسك من حيث أثرا
لئن أثرت بالمسك ســـطرًا بخدّها لقد أودعت قلبي مـــن الحزن أسطرا
فـيا مـــن مناها في الســـريرة جعفر ســـقى الله من سقيا ثناياك جـــعفرا

لعبد الله بن العجلان :
ولـم أرَ هندا بعـــد موقـــف ساعةٍ بأنعـــم في أهـــــل الديار تطـــوّف
أتتْ بين أتـراب تمايَس إذ مشـــتْ دبيب القطا أوهـــــن منهـــنّ أقطف
يباكـــــرنَ مـــرآةً جليّاً وفـــــارة ذكيّا، وبالأيدي مـداكٌ ومســـــوف

لأحدهم :

أيا قـــمرًا تبســـم عـــــن أقاح ويا غصـــــنا يمـيل مـــع الرياح
جـــبينك والمقـــبل والثـــنايا صـــباح، فـي صـــباح،في صـــباح

* * * * * * *

قالوا الرحـــيل فأنشـــبت أظفارها في خدّها، وقـد اعـتقلت خـــطابها
فظـــننت أنّ بنانها من فـــضّـــة قـــطفت بنور بنفســـج عـــنابها

من غناء المشنود :

أمـــا اســـتقرّ بأرداف تجـــاذبه وأخضـر فوق بياض الدرّ شـــاربُهُ
وأشـــرق الورد من نسرين وجنته واهـــتزّ أعـــلاه وارتجت حقائبه
كـــلّمته بجـــفونٍ غـــير ناطقة فكـــان مـــن ردّه ما قـال حـاجيُه

للمصريّ :

كم قـتلوا عاتكا وكـــم جـــرحوا دنًا وكـــم فـــار تاجـــر ذبحـــوا

## متفرّقات من الشعر والشعراء لابن قتيبة في الشمّ

المسيّب بن عَلَس :

وكالشـــهد بالـــراح أخـــلاقهم وأحـــلامـــهم مـنهم أعـــذب
وكالمســك تـــرب مقـامـــاتهم وريّـا قـــبورهـم أطـــيب

لعمرو بن معد يكرب الزبيدي :

شـــمطاء جزّت رأســـها وتنكّرت مكروهـــة للشـــمّ والتقـــبيل

لحميد بن ثور الهلالي :

كأنّ علـــى أشـــداقه نَور حنوةٍ إذ هـــومدّ الجـــيد منه ليطـــعما

يحيى بن نوفل اليماني :

وهـــذا ابـــن زيد له جـــبّة تفـــوح مـــن المســـك والعنبر

حماد عجرد :

لو مجّ عـود على قـوم عصـارته لمجّ عـودك فينا المسـك والبانا

العبّاس بن الأحنف :

وأنتِ إذا مـا وطـئت التـراب صـار تـرابك للناس طـيبا

مسلم بن الوليد :

جـزى الله من أهدى الترنج تحيّة ومـنّ بما نهـوى علينا وعجلا
أتتنا هـدايا منه أشـبهن ريحـه وأشـبه في الحسـن الغزال المكحّلا
ولـو أنّه أهـدى إليّ وصـاله لكـان إلى قـلبي ألذّ وأفضـلا

أبو الشيص :

جـاءت إلى عـينيك وجـنتها في خـلعة الخـيريّ والـورد

* * * * * * *

عجـوز غزا المسـك أصداغها مضـمّخة الجـلد بالزعـفران

الخريميّ :

إني امرؤ من سراة السـغد ألبسني عرق الأعاجم جـلدا طـيّب الخبر

ابن مناذر :

ألا يا قـمـر المسـجد هـل عـندك تنويـل
شـفائـي منك أن نـوّ لتنـي شـمّ وتقبيـلُ

ابن أبي عيينة :

وما طاهر إلا شـفاه تحـرّكت بـرائحة الفضـل بن سـهل فمرتِ
فأغـنت بريح الفضـل كلّ غنائها وبالفضل ساءت حين ساءت وسرّتِ

بغـــرس، كأبكار الجـواري وتربةٍ  كأنّ ثراها مـــــاء وردٍ على مسكِ

أشجع السلمي :

إذا غاب يحيى عــن بلاد تغـيّرت  وتشـــــرق إن يحـــــتلّها فتطـيب
أنعي فـــتًى، مصّ الثرى بعـــــده  بقـيّة المـــاء مـــــن العـــودِ

للمرقش الأصغر :

وما قهوة صـــهباء كالمسك ريحها  تعـلُ على الناجود طـــورًا وتُنزحُ
بأطـــيب من فيها إذا جـئت طارقًا  مـن الليل بل فـــــوها ألذّ وأنضح

لعبد الله بن عجلان النهديّ :

وحقّة مسـك مـــن نســاء لبستها  شـــبابي وكأسٍ باركتني شَـــمولُها
جديدة سربال الشـــباب كـــأنّها  سـقيّة بـــرديّ نمتها غـــيولُها

لسلامة بن جندل السعدي :

كأنّ على فرســانها نضح عـــندم  نجـيعٌ ومســـك بالنحور يســـيل

لعبيد بن الأبرص الأسدي :

كأنّ الصبا جاءت بريح لطـــيمة  من المسـك لا تسطاعُ بالثمن الغالي

وله :

تدفي الضجيع إذا يشـتدّ وتخصره  في الصيف حتّى يطيب البرد للصاحي
تخـال ريـق ثناياها إذا ابتسـمت  كمـــزج شـــهد بأترجٍّ وتـفاح

لمالك بن حريم الهمداني :

كأنّ جنى الكافور والمسـك خالصا  وبـرد الندى والأقحـوان المنزّعا
وقلتا قـــرت فيه السحابة ماءها  بـــأنيابها والفارسيّ المشـعشـعا

قيس بن الخطيم الأوسيّ :

فما روضة من رياض ا لقطا كأنّ المصابيح حوذانها
بأحسن منها ولا مزنة ولوح تكشّف إدجانها
وعمرة من سروات النساء تنضح بالمسك أردانها

لجران العود النميري :

يكاد الزوج يشربها إذا ما تلقّاها بنشوتها انبهارُ
شميمًا تنشر الأحشاء منه وحبّا لا يباع ولا يعارُ

لعبدة بن الطيّب :

ثمّ اصطبحت كميتا قرقفا أنفاً من طيب الراح واللذّات تعليل
والكوب أزهر معصوب بقلته فوق السياع من الريحان إكليل

لكعب بن زهير :

خود كأنّ فراشها وضعت به أضغات ريحان غداة شمال

لأبي ذؤيب الهذلي :

فما الراح راح الشام جاءت سبيّة لها غاية تهدي الكرام عقابها
بأطيب من فيها إذا جئت طارقا من الليل والتقت عليّ ثيابُها

لأبي محجن الثقفي :

إنّ الكرام على الجياد مقيلهم فذري الجياد لأهلها، وتعطّري

لسحيم عبد بني الحسحاس :

كأنّ الثريّا علقت فوق نحرها وجمر غضاً هبّت له الريح ذاكيا
فما زال بردي طيّبًا من ثيابها إلى الحول حتّى أنهج الثوب باليا

لابن أرطاة :

أمسى أعاطيه كأسًا لذّ مشربها كالمسك حفت بنسرين وريحان

سبيئة من قـــرى بيروت صافية  عذراء أو ســبيت من أرض بيسان

للحطيئة :

يظـــلّ ضـــجيعها أرجًـــا عليه  مفارقها مـــن المســـك الـــذكـــيّ

لقيس بن ذريح :

و إن تك لبنى قـد أتـــى دون قربها  حـــجـــاب منيع ما إليه ســـبيل
فإنّ نســيم الجـــوّ يجـــمع بيننا  ونبصـــر قـــرن الشمس حين تزولُ

لعبيد بن الحرّ الجعفي :

فمن يك أمسـى الزعـــفران خَلوقه  فإنّ خلوقي مســتشـار الســـنابك

لمجنون ليلى :

إذا ما أتاه الركب من نحـــو أرضه  تنفس يســـتشـــفي برائحة الركب

لعبيد الله بن قيس الرقيّات :

مـــرة فوق جـــلده صـــدأ الدرع  ويـــوما يجـــري عليه العـــبيرُ

وله في فتاة :

أوقدتها بالمســك والعنبر الرطـــب  فتـــاة قـــد ضـــاق عنها إزارُ

للأخطل :

كأنّها المســـك نهبى بين أرحـــلنا  ممّا تضوّع من ناجـودها الجـاري

للنميري الثقفي :

تضوّع مســكا بطن نعمان إذ مشت  به زينب في نســـوة عطـــرات
له أرج من مجـــمر الهند ســاطع  تطـــلّع ريّاه مـــن الكفرات
وغالب ببان المســك وحـقًا مرجلا  عـلى مثل بـدر لاح فـي الظـلمات

لوضاح اليمن :

يا روضة الوضاح قد عنّيت وضاح اليمن
فاسقي خليك من شراب لم يكدره الدرنْ
الريح ريح سفرجل والطعم طعم سلاف دن

وله :

وعلق بيضاء العوارض طفلة مخضبّة الأطراف طيّبة النسم

للمرار بن منقذ العدوي :

وهي لو يعصر من أردانها عبق المسك لكادت تنعصر

وله :

وكانت رياح الشام تكره مرّةً فقد جعلت تلك الرياح تطيبُ

لكثيّر عزّة :

تأرّج الحيّ إذ مرّت بظعنهم ليلى ونمّ عليه العنبر العبقُ

لنصيب :

فإن يك من لوني السواد فإنّني لكالمسك لا يروى من المسك ذائقه

للفرزدق :

فجاءت كأنّ الريح حيث تنقست بأرحلها نوّارها وحديقها

لجرير :

إنّ بلالا لم تشنه أمّه يشفي الصداع ريحه وشمّه
كان ريح المسك مستحمّه فنفسه نفسي، وسمّي سمّه

لذي الرمة :

إذا استسهلت عليه غبيةٌ أرجت مرابض العين حتّى يأرج الخشب

انّــه بيت عطـــــار يضـــــمّه  لطائـم المســـك يحـــويها وتنتهبُ

وله في ربع ميّة :

كان ســـحيق المســـك ريا تـــرايه  إذا هضـــبته بالتـــلال هـــــواضبه

وله :

وتجـــلو بقـرع مـــــن أراك كأنّه  مـن العنبر الهنديّ والمســـك يُصبَح
ذرى أقحـــوان راحـــه الليل وارتقى  إليه الندى مـــن رامـــة، المتـــروح

للعرجيّ :

نبتت في نجـــوم ربـوة رمـــــــل  يُنشـــر الميت أن يشـــمّ ثـــراها

وله :

لها أرج من زاهر البقـــل والثـرى  وبُردٌ إذا ما باشـر الجـلد يخصـــرُ

لعروة بن أذينة :

كأنّ خـــزامي طـــلّة صـابها الندى  وفـــارة مســـك ضـــمّنتها ثيابها

للحكم بن عمرو البهران وقد تزوّج جنّيّة ...

جانبًا للبحـار، أهـــدي لعرســـــي  فلفلاً مجـــتني، وهضـــمة عطر
يحســـب الناظـــرون أتي ابـن ماءٍ  ذاكـــــر عشـــــه بضـــــفة نهر

لأمّ ضيغم البلويّة:

وبتنا يقينا ساقـــــط الطـــلّ والندى  مـــــن الليل بردا يمنةٍ عطـــــران
ونصـــدر عـــن أمر العفاف وربّما  نقعنا غـــليل النفس بالرشـــــفان

لمحرز العكليّ :

إذا قلت مـات الشـــــوق منّـــــي،  تنسّمت به أريحيّات الهوى فتنسّما

للمسيّب بن علس :

وكالشـــهد بالـــراح ألفـــاظـــهم  وأخـــلاقـــــهم منهما أعـــــذبُ
وكالمســك تـــــرب مقاماتـــهم  وتـرب أصـــــولهم أطـــيبُ

لأبي لبانة :

ما بقعة جـادها غيث وقـــرّبها  فأزهـــر بـأقـــــاحـــي النبت ألوانا
أبهـــى وأحسن ممّا آثـــرت يده  في المشرق والغـرب معروفا وإحسانا

## من ديوان الشعر العربي : جمع أدونيس جـ ٢

للحسين بن مطير الأسدي :

يُمَنّـيـنا حـــتّى تـــرفّ قـــلوبنا  رفيف الخـزامى بات طلّ يجودها

لعكاشة العميّ :

وزعـــــفرانيّة في اللون تحســـبها  إذا تأمّلتها فـــي جســـم كافـــور
تخـــــال أن ســقيط الطـلّ بينهما  دمـــع تحيّر في أجـــفان مهجـــور

للعبّاس بن الأحنف :

إن دخلت البســتان اذكـرني ريحُكِ  ريـــحُ النســـــرين والتفـــــاح
أحســـد الريـــح أن تمسّـــك دوني  أيّ شـــيء أغـــــفلت بين الرياح

وقال العبّاس :

مـــاذا عـــلى أهلك أن لا يـــروا  عـطرًا، وأنـت العـطر للعـــطـــر

* * * * * * *

وأكبر حظّي منك أنّي إذا جـــرتْ  لـــــي الريح من تلقائكم أتنشّـــــقُ

* * * * * * *

مجلس ينســـب الســـــرور إليه  بمحـــبّ ريحـــــانه ذكـــــراك

لمحمّد بن يسير الرياشيّ :

لـــي بســـتان أنيق زاهـــرٌ ناضـــر الخضـــرة ريّان تـــرفْ
فـترى الأطـــباق لا تـــمهله صـــادرات واردات تخـــتلفْ
وهـو زهـــر للندامـــى أصلًا برضـــا قاطـــفهم ممّا قـطف
وهـو في الأيـــدي يحـــيّون به وعلى الآناف طـــورًا يستشـفّ

لسلم بن الوليد :

إذا ما مشت خـــافت نميمة حـــلْيها تداري على المشي الخلاخيل والعطرا

* * * * * * *

وخـــلقي مســـكة عجـــنت ببانٍ فلســـت أريد طيبًا غـــير طيبي

* * * * * * *

تكاد أن تتلاشـــى كلّما مـــزجت فـــي الكأس لولا بقايا الريح والحـبب

* * * * * * *

أعشـــب خـــدّي من البكاء وقـــد أورق غصـــن الهوى علـــى كبدي

* * * * * * *

الـــورد في وجـــنته مشـــرق كأنّـــما يشـــرب مـــن مدمعي

للصنوبري :

إذا مـــا طـفا النيلوفر الغـــضّ فوقه مـــفتحـــة أجـــفانه أو مغمّضة
حســـبت نجـــومًا مذهبات تتابعت فرادى ومثنى في ســـماء مفضّضة

له أيضًا : تنافـــس الأزهـــار

خجل الورد حين لاحظه النرجس من حســـنه وغار البهـــارُ
وغـــدا الأقحوان يضحـــك عجبا عن ثنايا لثـــامهـــن نُضـــار
ثمّ نـــمّ النمّام واســـتمع السوسن لمّـــا أذيعـــت الأســـرار
عندها أبرز الشـــقيق خـــدودًا صـــار فيها مـــن لطمه آثـــارُ
ثمّ نادى الخـــيريّ في سائر الزهر فـــوافـــاه جحفل جـــرّارُ
فاســـتجابوا على محاربة النرجس بالجحـــفـــل الـــذي لا يبـــارُ
ثمّ لمـــا رأيت ذا النرجس الغـــضّ ضـــعيفًا مـــا إن لديه انتصـــار

لـــم أزل أعـــمل التلطّف للورد حـــذارًا أن يغـــــلبَ النـــوار
فجـمعناهم لـــــدى مجـلس فيه تغنّـــي الأطـــيار والأوتـــــارُ

وقال أيضًا :

زعـم الـــورد أنّه هـــو أبهى مـــن جـــميع الأنوار والريحـــان
فأصـابته أعـــين النرجس الغضّ بـذلّ مـــن قـــولها وهـــوان
أيّما أحســـنُ ؟ التورّد أم مقـــلة ريـــم مـــريضة الأجـــفان

* * * * * * *

ما تـــرى جانب المصلّى وقد أشـر ق مـنه ظـــهوره والبطـــونُ
أسـرجت في رياضة سرج القطـر وطـــابت ســـهوله والحـــزونُ
أنّ آذار لـــم يذر تحت وجه الأرض شـــيئا أكـــنّه كـــانـــونُ
وبـــدا النرجس البديع كأمـــثال عـــيون تـــرنو إليها عـــيونُ

* * * * * * *

قـد تجلّى الربيع فـــي حـــلل الزهر وصـــاغ الحَمام حـــلي الأغاني
ســـقياني بكلّ لون من الـــراح علـــى كلّ هـــذه الألـــوان
أخضـر اللون كالزمرّد في أحـمر صـــافـــي الأديم كالأرجـــوان

لكشاجم :

فالزهـر في الأرض لي بســـاط والغـــيم في الجـــوّ لي شـــراعُ

للسريّ الرفاء :

فمِن جـــنانٍ تريك النور مبتسـمًا فـــي غـــير إبّانه والماء منسـكبا
كـــان دولابها إذ حـنّ، مغـــترب نأى، فحـــنّ إلى أوطـــانه طـــربا
وبركة ليس يُخـــفي مـــوجُ لجـّتها من القذى ما طـــفا فيها وما رسبا
ترى الأوزّ سـروبا فـــي ملاعـــبها كمـــا تأمّلت فـــي ديباجـــة لعبا
يـــرفّ منه على أمواجها زهـــر أربى على الزهـــر حتّى عاد مكتئبا

وله :

والشعر كالريح إن مرّت على زَهَر طابت،وتخبث إن مرّت علىالجـيفِ

مواصلةٌ والــورد فـــي شجراته  مفـــارقة إن حـــن منه فـــراقُ

للوأواء الدمشقي :

لو أعشـب الخـدّ مـن دمـوع  لكـان فـي خـدّي الـربيعُ

وقال أبو بكر الخالدي :

أنـت مثـل الـورد لـونا  ونسـيمـًا وتـلالا
زارنـا حـتّى إذا مـا  سـرنا بالقـرب، زالا

لأبي الفرج الببغاء :

طـاب جـدّاً فلوبه سـمح الدهـ  رُ لأمسـى عطري وأصـبح طيبي
كـأنّما تهـدي التحـايا بـه  لطـفا إلـى الأرواح ارواحـا
يُلهـي عـن الـورد إذا ما رنا  ويُخـلف المسـك إذا فاحـا

للرمادي :

أبـرز فـي خـدّيه لي رشـحه  طـلا علـى ورد وسـوسـان
فكـان فـي تحـليل أزراره  أقـود لـي من ألف شـيطان

لابن نباتة السعدي :

تُطـيّب مـن روائحـه المغاني  وتُروي من سـحائبه الطـلولا

لابن هندو :

عـارض وردُ الغصـون وجـنته  فـاتّفقا فـي الجـمال واخـتلفا
يـزداد بالقطـف وردُ وجـنته  وينقص الـورد كـلّما قـُطـفا

للمعرّي :

تشـتاق أيـّار نفوس الـورى  وإنّما الشـوق إلـى وَردِهِ

* * * * * * *

وبالأرض مـن حـبّها صـفرة  فـما تنبت الأرض إلاّ بهـارا

زوّدوه طـــــيبًا ليلحـــق بالناس وحســـب الدفـين بالتـرب طـيبا

* * * * * * *

جســـمي أنجـــاس فـما ســـرّني أنّي بمســـك القـــول ضـمّختُ
مـــن نجـــوم ناريّة ونجـــوم ناســـبت تربةً، ومـــاء، وريحـا

للشريف العقيلي :

الغـــيم ممـــدود الســـــرادق والـزهـــر مفـــــروش النمارق
قـــد غـــنّت الأطـــــــيار في طـــرقاته كـــــلّ الطـــرائق
فالأقحـــــــوان غصـــــونه بيض النـواحـــــي والمفـــارق
ومـــراود الأمطـــــار قـــــد كحـــــلت بها حدق الحـــدائق

لابن رشيق القيرواني :

ســـألت الأرض لم كانت مصـلّى ولـم كـــانت لنا طـــهرًا وطـــيبا
فقالت غـــيرنا طـــــقةٍ : لأنـي حـــويت لكـــلّ إنسان حـــبيبا

* * * * * * *

وكأنّ الأشـــــجار في حـلل الأنوار والغـيث دمعـــه غـــير راق
غانيات رشَـشـــنَ من مـــاء وردٍ وجـنات الوجـــوه في الأطـــواق

لصرّ درّ :

ومدحت لي صـــبغ المشـــيب بأنّه كافورة ونســيت صـبغ العـــنبر

لأبي الحسن القيرواني :

ســـأحمل مـن ترابك في رحـــالي لكي أغـنى به عـــن كلّ طـــيب

للأبيورديّ :

ونحن على أطراف نـــهر تظـــلله أزاهيرها والشمس فـــيها تـــوقد

للطغرائي :

بالله يا ريـــــح إن مكـّنت ثانية من صـــدغه فأقيمي فيه واســـتتري

وباكـــري ورد عـــذب من مقبّله  مقابل الطـعم بين الطـيب والخَصر
ولا تمسّـــي عـــذاريه فتفضحي  بنفحـــة المســك بين الورد والصدر
ثمّ اســـلكي بين برديه على عجـل  واستبضعي الطيب وأتيني على قدر

للقاضي أبو المجد :

وقـائـــله رأت شـــيبًا عـــلاني  عـهدتك في قميص صـــبا بـديع
فقلت وهل تريد ســـوى هشـــيم  إذا جـــاوزت أيّـــام الـــربيع ؟

للأديب ا لغزّي :

أذهـــبت زهـرة الحـــياة وأذوت  زهرة العيش زهـــرة فـي القزال
كان يخـفى عليّ اشـــتعال الرأس  أنّ الجـــمود فـــي الاشـــتعال

لابن حمديس :

إشـرب علـــى بـــركة نيلوفر  محـــمّرة النـــوّار خضـــراء
كأنمـــا أزهارها أخـــرجت  ألســـنة النار مـــن الماء

* * * * * * *

وريحـانة أمّـــها كـــرمـــة  تنفسُ في كـفّ غصـــن رطيب
إذا صـبّ مـاء علـــى صـــرفها  رأيت له غـوصة في اللهـــيب
تناولتها ونســـيم الـــرياض  ذكـــيّ النسيم عـــليل الهـبوب
بسطنا لها وهـي مثل الغصـــون  تميس بهـبّ الصـبا والجـــنوب
على الأرض منا خـــدود الوجـوه  وبين الضلوع خـدود القـــلوب

لابن خفاجة الأندلسيّ :

باكرته والغـــيم قـطعة عـــنبر  مشبوبة والبـرق لفحـــة نار
والريـح تلطـــم فيه أرداف الـربى  لصـبا، وتلثم أوجـــه الأزهـــار

له أيضًا :

تشـير إليها كـــلّ راحـــة سوسن  وتشخص فيها كلّ عـين لنرجس

* * * * * * *

خـلعت عـلـيّ به الأراكـة ظـلـها والغصـن يصغي والحمام يحدّث
والشمس تجـنح للغـروب مريضة والـرعد يـرقي والغمامة تنفث

* * * * * * *

بروض كأنّ الغصن يزهـى فينثني به وكأنّ الطـير يسقى فيطـربُ

* * * * * * *

متعطـّف مثـل السـوار كأنّه والزهـر يكنفه مجـرّ سماء
وغـدت تحـفّ به الغصـون كأنّه هـدب تحـفّ بمقـلة زرقاء
والريح تعبث بالغصـون وقد جرى ذهـب الأصيل على لجين الماء
ولي كلّ حـين من هـواك وادمعي بكلّ مكـان روضـة وغـديرُ
وغـزال خـلعت قـلبي عليه فـهو بادٍ لأعـين النظّـار
قد أرانا بنفسـج الشـعر بدرا طـالعا مـن منابت الجلّنار
وقدت نار خـدّه فسـواد الشـعر فيه دخـان تـلك النـار

للأديب القيسراني :

لقـد فـتنتني فـرنجيّة نسيم العـبير بها يعـبقُ
ففـي ثوبها غصـن ناعـم وفي تاجـها قـمر مشـرقُ

* * * * * * *

غرس الحياء بصـحن وجـنتها وردًا سقى أغصـانه النظـرُ

لابن زريك :

وجـهك الروضة آضـت نرجسا وجـنيّ الـورد فيها فـرشـا
خـفت أن يجـنى فـوكلت بها عقـربا طورًا وطورًا حنشـا

للراوندي القاساني :

هـذا الـربيع وهـذه أزهـاره وافـى سـواء ليله ونـهـاره
وافـترّ ثغـر البرق حـتّى لامه رعـد أجشّ حـنينه اسـتعباره
والليل معـتدل الهـواء كأنّمـا سـاعاته مـن طيبها أسـحاره
وكأنّمـا الأتـرج في أغـصانه قـنديل تبر شـعشـعته نـارُهُ

للرصافي البلنسي :

فليت أحمّ مسـكٍ عـاد غيمًا فحـام على ضـريحك ثمّ صابا
وزاحـم في ثـراك الدمع حـتّى يشـقّ إلـى مفارقك التـرابا

* * * * * * *

طـرقت مـطلع الثـريّا وولـت والثريّا تشـمّ ريـح الـوقـوع
تحت جـنح من الدجـى أورثـته عـبقا مـن قـميصه المخـلوع

لهبة الله بن وزير :

ولـو أمـنت عـقربـا مـن صـُدغها المنعـوج
جـعـلتُ وردَ خـدّهـا بـاللثـم كالبنفسـج

لأسامة بن منقذ :

واهـاً لليل خـلتني مـن طيبه منفيّنًا فـي ظـلّ طـير طـائر
ماهـلت فيه البدر شمسًا تـوّجـت عـند المزاج بكلّ نجـم زاهـر

لابن يوسف البحرانيّ :

لا يـراني الله أرعـى روضـة سـهلة الأكناف من شـاء رعاها

للقاضي الفاضل :

خـذي لهم من سـلامي عنبرًا عبقا وأوقـديه بنار مـن تباريحـي

لابن الساعاتي :

قامة الغصـن، طلعة البدر، طرف الظـبي، ثغر الأقاح،خـدّ الشقيق
أرَجـاتُ الأنفاس يعرفـها الواشـي وإن ظـنّ أنّـها للخـزامى

لابن سناء الملك :

إذا هـجرتني شـيبتي بهجـرها وإن واصـلتني شـيبتي بطـيبها

* * * * * * *

ريـــــح الجـــنوب أراك مدنفةً هـــل شـــفّ جسمك مثلي الســـفر
وأراك طـــيّبـــةً معـــــطّـــرةً هـــل فـــيك من أحـــبابنا خَـــبَرُ
تـــلك الأحـــبّة روض ودّهـــمُ خضـــل، وعمر صـــفائهم خضـرُ
قـــد أعجزت أخـــبار ســـؤددهم لـــولا ... لقـــلنا إنّـــها ســـورُ
* * * * * * *

ومعـــــطّـــر الأنفـاس يحـــملها فـتســـرق مـــنـــه عـــــطِـــرا
والغصن يحسن حـــــين يكســـى وهـــو يحســـــن حـــين يـــعرى
* * * * * * *

كـــلّ سنّ كالأقحـــوانة كـــانت فـــغدت بالـدمـــاء كالجـــلنارة
وكأنّ الأحجار غـارت مـــن الخلق فـشـــنّت عـــلى ثناياه غـــارة
كيف يســـلو الفؤاد ذكر حـــبيب حســـدتني عـليه حـتّى الحجارة
* * * * * * *

تمشّيت في دار الحـــبيب بمقلتي وقـد سُـــحبت فيها ذيول المحاجر
وما أرضـــها ملثومة بمباســـمٍ ولكـــنّها مـــلثومة بضـــمائر
* * * * * * *

وياقلب، لا تأسـف على فقد روضةٍ ســـيذوي بها وردٌ، ويذبل نرجـسُ
* * * * * * *

يا قُبلتي إن أتيت النحر فاســـتتري بالعقد، واكتتمي بالمســـك واحتبسي
وإن مررت بذاك الخـــدّ فاختلسـي للشمس شـــعلة نـــور منه واقتبسي
* * * * * * *

فشـــربتها شـــغفا لأنّ نســـيمها المكيّ مـــن أنفاســـه مســـروق
* * * * * * *

أتى إليّ وأهوى خـــدّه لفـــمي فقمت أقطـــف منه وردة الخـــجل
أواصـل اللثم من فـــرع إلى قـــدم وأوصـل الضمّ من صـــدر إلى كَفَل
لم أسـحب الذيل كـي أمحو مواطئه لكنّني قمت أمحـــو الخـــطو بالقبل

لابن دانيال الموصلي :

بديع حســـن ســـبحان خـالقه مســـك ذكيّ الشـــذا لناشـــقه
أبـــيـــض ثـــغـــر يـــبـــدي لـعاشـــقـــه

لكمال الدين بن النبيه :

تـزرعـــيناي عـــلـــى خـــدّه  وردًا، ولا أجـــني الـــــذي أزرعُ

* * * * * * *

طاب الربيع كأنّما عجـــن الصـبا  كافـــــور مزنته بعـــنبر طينهِ
وتفضـَضـت أزهره وتذهـــبّت  فكـأنّها الطـــاووس فـــي تـــلوينهِ

لابن عنين :

ويمرّ معـــتلّ النســـيم بروضـــها  فكـــأنّ عطّـــــارًا يحـــــرّق مندلا

لابراهيم بن سهل :

أبيت أسجع بالشكوى وأشـرب من  دمعي وأنشـــق ريا ذكـــرك العطر

* * * * * * *

وقـبّلت وجـــــنته في الدمـــوع  كـــما التقطـت وردة من غـــدير
وقـبّلت في الترب منه خـطـــــى  أميّـــــــزها بشـــميم العـــبير

* * * * * * *

أو مـــا ترى ثغر الأزاهر باســـمًا  فرحـًا، وعريان الغصون قد ارتدى

* * * * * * *

ولكم طـــربت إلـــى الـــربيع  بـفـــــتيـــة مـــثل الـــربيع
وفضـــحت أزهـار الـــــرياض  بحســـــن أزهـــــار البـديع
وســـــهرت في ليل الصـــــبا  ســـهرًا ألـــدّ مـن الهجـــوع

لسيف الدين المشدّ في عمياء جميلة :

كأنما هـــي بســـتان خـــلوت به  ونام ناطـوره ســكران قـد طفحا
تفـتّح الـــتورد فيه مـــن كمائمه  والنرجس الغـضّ فيه بعـدما انفتحا

لابن الصفار الماردیني :

مـــا برحـــت يوم وداعـي لـــهـــم  تضـــمّني ضـــمّة مســـــتأنس
حـــــتّى تثنى الغصن فوق النقا  وانتثر الطـلّ علـــى النـــرجس

لوشّاح مجهول :

إذا هبّ النسيم بطيب نشر طربت وقلت : إيه يا رسولُ
سوى أتي أغار لأنّ فيه شذاك وأنّه مثلي عليلُ

لابن سعيد المغربي :

يا واطئ النرجس ما تستحيي أن تطأ الأعين بالأرجل
قابل جفونا بجفون ولا تبتذل الأرفع بالأسفل

لوشّاح مجهول :

ما طاب هذا النسيم إلا والجوّ من عنبر ونار

للتلعفريّ :

في خدّها وردة للحسن ناضرة لم يجن شيئا سوى من جاء يجنيها

لابن الجنان :

نزلوا حديقة مقلتي أو ما ترى أغصان أهدابي بدمعي تزهرُ؟

* * * * * * *

يا رعى الله عيشنا بين روض حيث مال السرور فيه نميل
تحسب النهر عنده يتثنّى ونخال الغصوب فيه تسيلُ

لابن نصر الله الوزّان :

رقّ النسيم لطافة فكأنّما في طيّه للعاشقين عتابُ
وسرى يفوح تعطّرًا وأظنّه لرسائل الأحباب، فهو جواب

لأبي الحسن الجزار :

واعتضت من فقري ومن فاقتي عن التلذاذ الطعم بالشمّ

لابن تميم الإسعردي :

درى إنّني قد جئته متنزها فمدّ لأقدامي بساطًا من الزهر

للشاب الظريف :

وبين الخدّ والشفتين خال كزنجيّ أتى روضًا صباحا
تحيّر في الرياض فليس يدوي أيجني الورد أو يجني الأقاحا

* * * * * * *

ورأينا تلك الخدود رياضًا فجعلنا لها الجفون غماما

لصفيّ الدين الحلّي :

في روضة نُصبت أغصانها وغدا ذيل الصبا بين مرفوع ومجرور
والريح تجري رخاء فوق بَحرتها وماؤها مطلق في زيّ مأسور

* * * * * * *

وبساط الأزهار كالوشي والغيم كثوب مجسّم من دخان
وكان المياه دمع سرورٍ وكأنّ الرياح قلب جبان

لابن نباته :

فديتك غصنا ليس يبرح مثمرًا من الحسن في الدنيا بكلّ غريب
تفتّح في وجناته الورد أحمرًا فيا ليت ذاك الورد كان نصيبي

لاسماعيل حجازي :

من كفّ أهيف في خلخاله حرجٌ إذا تثنّى وفي أجراسه قلقُ
في خدّه ومحياه ومبسمه نار، ونور، ونَورٌ نشره عبق
تطيب ريّا شذاه كلما نسمتْ كالمسك يزداد طيبًا حين ينتشق

لأبي البحر الخطّيّ :

يا وردتي خدّيه ما لكما تتكللان براشح العرق
أو ليس للوردِ الجنّي غنى عن مائه بأريجه العبق
إن كنتما ستشرفان إلى ماء يرشّكما فمن حدقي

* * * * * * *

لا ترى الزهر عنده باسم الثغر ولا منظر الرياض أنيقا
يملأ العين لذّة تعقب الصدر شجًا لا يسيغه وحريقا

لمحمّد الشامي العامليّ :

في ليال كأنّهنّ رياض أطلعت من كمائم أزهارا
بين زُهر تخالهنّ أقاحًا ونجوم تخالها نوّارا

لابراهيم الأكرمي :

ذات أرضٍ توشّحت بربيع ذهّبت وشمها يدُ الأزهار
يستفيق المخمور إن مرّ فيها من هواء صافٍ، وماءٍ جار

لابن النحاس :

نثر الربيع ذخائر النوّار من جيب الغوادي
وكسا الربا حللاً فواضلها تُجرّ على الوهاد
وكأنّ أنفاس الجنان تنقست عنها البوادي
والزيزفون يفتّ غاليةً مضمّخةً بجادي
يلقي بها للروض في ورقٍ كأجنحة الجراد

لمحمّد العرضي :

ريحان خدّك ناسخٌ ما خطّ ياقوت الخدود
وقع الغبار بها كما وقع الغبار على الورود

* * * * * * *

قالوا عهدنا غصن عمرك بالصبا تدنو قطوفه
فذوى بمغبّر المشيب وطالما روّى نزيفهْ
فأجبتهم : ضيف ألمّ بنا دجى فلِمْ لا نضيفهْ
وربيع ذاك العمر سار فليت لو يبقى خريفهْ

لمنجك الدمشقي :

أطلع الحسن في حديقة خدّيه ورودًا تركن لوني ورسا

* * * * * * *

كنت كالعنبر الذي فاح طيبًا حيث يُلقى من الزمان بنار
كنت كالروض إذ جفته غيوثٌ لخطوط فأخصبت أشعاري

خـــدّه الورد والبنفسـج صـــدغاه  لعـــيني وثـــغره الأقـــحـــوانُ
وكـــأنّ الأنفاس منـــه نســـــيم  وكـــأنّا إذا شـــــدا أغصـــانُ
وكـــأنّ الندمان في دوحـــة اللهو  غصـــون ثـــمارها الكتمـــــانُ
* * * * * * *

يعيد تراب الأرض مســكًا وعنبرًا  إذا قبّلت للشـــكر فضـــل ثيابه
* * * * * * *

ويـــوم طـوينا أبرديه بروضـــةٍ  بها الزهـــر زُهـــر والخمائل أفلاكُ

لابن النقيب :

نتج الحســـن في صـــحائف خدّيه  ربيعًـــا تـــورّدت زهـــراته
فـــتيقنت أن ســـتثمر فـــيها  قـــبل آنٍ صـــفت له أوقـــاته
فتنسّـــمتها وحـــاولت أن تثـــمر  باللثم بعـــدهـــا وجـــناته
* * * * * * *

ووردة شـقّقت منها لفـائفـــها  عن غـادة يســـتبينا نشرها الأرج
تبين منـها محـــاريب منكّســـة  من اليواقيت تصـــبو نحوها المهجُ
* * * * * * *

فلدينا قـــرنفُل قـــد نـــماه  جـــبل الفتح نشـــره قد تصـــعّدْ
بين ســـوقٍ عـوج الرقاب لطافٍ  أثقـلتها أهـلـّة مـــن زبـــرجدْ

لابن معتوق :

حتّى إذا ما لثمت الورد وانفتحـــت  من مقلتيها جـــفون النرجس الكسِل
قامت تعـــانقني ظـــبي فـــقبّلني  برق، ومال عليّ الغصـــن في الحلل
* * * * * * *

لمّا رأت روض البنفســـج قد ذوى  من ليلنا وزهت رياض العصـــفرْ
فـــزعت فضرســـت العقيق بلؤلؤٍ  ســـكنت فـــرائده غـــدير الســـكر
* * * * * * *

وســـخا الشـقيق لها بحبّة قـــلبه  فاســـتعملتها فـــي مكان الخـــال
* * * * * * *

حـــتّى إذا ســـطعت مجامر ندّه  لبس النهار عـــليه ليلاً مظـــلما

لعليّ الخانميّ :

هـــــذي الرياض قـــد انجـلت فـــــــي حـــــــلّتي ورد وآس
فاجـــــل المدام أخـــــا الهلال وحـــــــيّني منها بكـــــــاس
واســـــتنطق الوتر الرخـــــيم عـــــن الفـــؤاد وما يقاســـــي

## خاتمة

كيف أضع نهاية لحاسّة مع اضمحلالها في شخص تنتهي حياته وينتهي وجوده . والحاضر والمستقبل في كلّ شخص . إذًا، يأتى موضوع بحثي أن يكون له نهاية. موضوع لا يقيّده زمان ، ولا يُمنع له من دخول أيّ مكان، كيف لي أن أضع له حدّ أو حاجز، أقول فيها أنها نهايته .

وهل يستطيع أحدٌ منّا أن يعيش دون تنفس، وطالما أننا نتنشّق الهواء ونُملئ به رئتينا التي يُتكلّم بها حتّى اللانهاية . وبانقطاع التنفس تنقطع أواصر الوجود من جذورها .

فإنّي أعتذر عن وضع نهاية للموضوع الذي لا يوضع له نهاية إلا بالغياب .

وإن كان هناك حياة أخرى سوف تتصدّر حاسّة الشمّ، الحواس الباقية ويكون لها مركز الصدارة . إذًا فليكتمل هذا البحث في الحياة الثانية ما بعد الموت، حيث الاستمرار للأبديّة .

* ملاحظة : كل هذه الاشعار مأخوذة من كتاب : حاسّة الشم في الشعر العربي للدكتور علي شلق فاقتضى التنويه .

# حواشي الفصل الرابع

١. Encyclopédie Philosophique Universelle , les Notions philosophiques , Dictionnaire 2P 2352

٢. معجم المصطلحات العلميّة والفنّيّة، إعداد يوسف خيّاط، دار الجيل، بيروت، ص٤٥٦

٣ . نزار قبّاني :" أنتِ لي، شعر، الطبعة الثالثة والعشرون، نيسان، ١٩٨٩، منشورات نزار قبّاني، بيروت، لبنان.

أ ـ الفم المطيّب، ص٧١

ب ـ حبيبتي،١٤٢

ج ـ وردة، ص٨٧

٤ . الياس أبو شبكة، من المجموعة الكاملة في الشعر، الألحان، ص٣١٤، الطبعة الأولى ١٩٤١، جمعه وقدّم له : وليد نديم عبّود، دار روّاد النهضة الأوديسيّة . الديوان ص ٥١ .

٥ .الملامح الحياتيّة المتطرّفة عند الأندلسيين، عصر بني أميّة وملوك الطوائف، إعداد : عيد ميشال عزّام، رسالة ماجستير في اللغة العربيّة وآدابها بإشراف : الدكتور يوسف فرحات ١٩٧٩).

٦ . كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تأليف الشيخ أبي عبد الله محمّد بن الكتاني الطيّب، تحقيق : الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان .

٧ . د. يوسف عيد، التوشيح في الموشّحات الأندلسيّة، باب جديد في أوزان الموشّح ونغماته، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣

٨. نفسه .

٩ . كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تأليف الشيخ أبي عبد الله محمّد بن الكتاني الطبيب، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان .

١٠ . د . يوسف عيد، التوشيح في الموشّحات الأندلسيّة،باب جديد في أوزان الموشّح ونغماته، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣ .

١١. La symphonie Pastorale : André Gide
١٢ . تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٠، ص٨٢ و ٨٣
١٣ . نفح الطيب من عصن الأندلس الرطيب، تأليف الشيخ أحمد بن محمّد المقرّي التلمساني، المجلد الأول والثاني، حققه إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت .
١٤. د. يوسف عيد، التوشيح في الموشّحات ...
١٥ . نفسه.
١٦ . أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، وهوكتاب كثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزمان بلامير أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي الأندلسي، حققه وقدّم له الدكتور محمّد رضوان الداية، مؤسّس الرسالة، الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م
١٧ . نفسه .
١٨ . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف الشيخ أحمد بن محمّد المقرّي التلمساني ...
١٩ . نفسه .
٢٠ . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تأليف أبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مجلد ٧
٢١. الدكتور ميشال عاصي، الشعر والبيئة في الأندلس، دراسات أندلسيّة، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٠، ص١٣١
٢٢. كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تأليف الشيخ أبي عبد الله محمّد بن الكتاني الطبيب، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص٣٠
٢٣. د. يوسف عيد، التوشيح في الموشّحات الأندلسيّة .....
٢٤. نفسه، ص٧٢
٢٥. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب .....
٢٦. د. يوسف عيد، التوشيح في الموشّحات الأندلسيّة ....

٢٧. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة .....مجلّد ٨
٢٨. أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزمان، للأمير الغرناطي الأندلسي، حققه وقدّم له الدكتور محمّد رضوان الداية، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
٢٩. د. يوسف عيد، التوشيح في الموشّحات الأندلسيّة، باب جديد .....
٣٠. كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تأليف الشيخ عبد الله محمّد بن الكتاني الطبيب، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان .
٣١. لأعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، وهوكتاب .....
٣٢. ديوان ابن شهَيْد الأندلسي، عني بجمعه Charlos Pellat أستاذ بالسربون، دار المكشوف، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، كانون الأول ١٩٦٣
٣٣. كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس .....
٣٤. شاعرات الأندلس، رسالة جامعيّة .....
٣٥. نفسه .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# الفصل الخامس
# التذوّق في الشعر الأندلسي

**مقدّمة :**

ليس الأدب وصف ألفاظ فحسب، ولا هو رصف أفكار فحسب؛ بل هو الفنّ الذي يحسن فيه الإنسان التعبير عن حسن التفكير . والأدب الخالص يدلّ على شخصيّة الأديب، ويكشف عن صور الحياة، ويعبّر عن الخواطر والمشاعر النفسيّة، فهو صورة ناطقة لحياة الأفراد والأمم.

وهكذا، فالأدب هو الإنسان، هو ذات الأديب في عالم نفسه وعالم ما دون نفسه متفاعلة والوجود، معبّرةً عن كلّ ذلك بكلام جميل يسمّى "فنّا" . والكلام الجميل هو الكلام الذي يتشظّى مع المعاني تشظّيًا، ويحمل في ألفاظه تجربة صاحبه في نبض عاطفتها، وزهوة خيالها، وإيقاع حركاتها . وهكذا، فجماله في مرافقته لمعناه بحسب ما تقتضيه الحال، أي في دقة أدائه وحياة صوره، وموسيقى ألفاظه، وهذا كلّه يعود إلى ما سمّوه "علم البيان".

والأدب لا يكتب له الخلود إلاّ إذا كان أدبًا حقيقيّا، أي إذا كان تعبيرًا عمّا في الإنسان من إنسانيّة؛ لأنّ للإنسانيّة وحدها ميزة البقاء ببقاء حياة البشر . وهكذا فإذا لم يتّصل الأدب بأعماق النفس، وإذا لم يكن تنفسًا لحقيقتها الوجوديّة، خلا من طاقة الخلود .

ليست الكلمة مجرّد تركيب مورفولوجي"ببغائي" يرنّ في جرس اللغات وموسيقى الحروف، إنّها تحمل معنى ومرمى ورسالة .

للكلمة حياة وموت وانبعاث . تموت في أرض وعهد، ويندثر وجودها في الأدب والممارسة والسوق والبيت والحقل .

وكمثل حبّة القمح تغور في باطن التراب وقد يغمرها الصقيع الكوني ... ثمّ ينطق بها ناطق، من جديد، وكأنّها تقمّصت بالحرف والجسد إيّاهما، لكن بروح مختلفة ومعنى آخر، وقد يكون هذا المعنى قريبًا من سابقه، لكنّه، بالتأكيد، ذو لكنة جديدة متقدّمة . رنّة واحدة في العقل تبد ل إيحاءها، مهما صدق السمع، وكان في نقله أمينا.

إنّ مرتبة العقل وتجريده ليسا من مرتبة الحسّ والذبذبات . إنّ في العقل شيئًا من الألوهة، وله سلطة حدس لم تعط لغيره . وإن أعطي لما يسمّى تارةً بالقلب، وتارةً أخرى بالحاسّة السادسة .

وسرّ الوجود أن ينبثق شيء من شيء، ويبدو في تباين مع الثاني، وكأنّه لبعض الوقت ليس منه، كقول أبي الطيّب المتنبّي : " وإنّ للخمر معنى ليس في العنب" . والفنّانون شعراء وأدباء رسموا لكلّ الحواس صورًا بعدت في إنسانيّتها عن المقاييس المعجميّة؛ حتّى علماء البلاغة والذوق الأدبي أخرجوا الألفاظ الحواسيّة عن مدلولها اللغوي بإعطائها أبعادًا لا تخطر ببال، ولا تقف عند حدود . المهمّ، أنّ للتذوّق مفاهيم كثيرة؛ فالعين تتذوّق، واليد تتذوّق، واللسان يتذوّق، والأذن أيضًا . وما نقدّمه ما تيسّر وسَنَحَ، فتذوّق أخي القارئ وإن تنوّعت الأذواق بالقليل الذي نقدّمه .

**أ ـ اللذّة نزعة إنسانيّة :**

ربّما كان الميل إلى اللذة أقوى العوامل التي تثني المرء عن التمسّك بالفضيلة وتلبية نداء الواجب . فمن الناس من يخرق النواميس الخلقيّة ويبتعد عن المثل العليا برغم إيمانه بهذه وتلك، وبضرورة التمسّك بها جميعًا . فإذا سئل عن سبب مخالفته لها برغم هذا الإيمان تلمّس العذر لنفسه بأنّه لم يستطع مقاومة الدوافع القويّة التي استبدّت به . فهو ينسب ارتكابه الذنب، لا إلى جهل بواجبه أو عدم إيمان به، بل إلى ضعف أدواته وقدرته على مقاومة الشهوات .

إنّ اللذّة عنصر طبيعيّ في الحياة يكاد لا ينفصل عنها . فمن لا يشعر باللذّة أو بالألم لا يختلف عن الميت في شيء . إذًا لا يمكن للمرء إلاّ أن يُقبل على اللذّة بعض الإقبال، ولا لوم عليه في ذلك . فكيف تكون اللذّة شرًّا بحدّ ذاتها كما يزعم الداعون إلى الابتعاد عن جميع الملذّات؟

جوابنا عن ذلك أنّ ثمّة ملذّات بريئة لا مأخذ على من يتعاطاها، كما أنّ هنالك أنواعًا فاسدةً ينبغي تحاشيها . فمن الأولى ما يدفعنا إلى الإقبال على المهام الموكلة إلينا بارتياح، أو مواصلة الكفاح عندما

تعترضنا المصاعب، سواء كان هذا الدافع متعة تخامرنا حين نأتي بعمل نحبّه، أو ثناء يأتينا من الرؤساء أو الزملاء، أو مكافأة نرجوها . ولكن هنالك ملذّات فاسدة كالتي تخرج عن سنّة الطبيعة، أو التي نسرف فيها أوالتي تتحكم بأعمالنا . فمتى باتت اللذّة غايتنا الوحيدة، أو تملكتنا حتّى الاستعباد، أصبحت شرّاً عظيمًا . وقد يكون أخطر المذاهب الخلقيّة المذهب الأبيقوري الذي يجعل من اللذّة محور الأعمال البشريّة وغاية الفضيلة؛ إذ لو صحّ ذلك لما كان بيننا وبين البهائم فرق يُذكر ولو صحّ كذلك ما يقوله الأبيقوريّون من أنّ جني اللذّة لا يتوقف على إرادتنا واختيارنا، بل على عدد من العوامل الأخرى كالصدفة والثروة والوراثة، لما كانت حياة الفضيلة فعلاً إراديّاً يقدم عليه المرء حرّاً مختارًا .

والتهالك على اللذّة يؤدّي إلى تدنّي المناعة الخلقيّة لدى المرء، فيصبح عاجزًا عن مواجهة الشدائد بشجاعة . وما تلبث اللذّة أن تسيطر على مشاعره فيصبح عبدًا ذليلاً لها لا يقوى على التفلّت من شباكها .

وتلخيصًا لما سبق نقول إنّ النظرة الصحيحة إلى اللذّة والعظمة يجب أن تقوم على اعتبارها نتيجة طبيعيّة لحسن الفعال لا غاية نرجوها من أعمالنا، وعلى اعتبار الإسراف في طلبها آفة خلقيّة كبرى .

**ب. لمحة عن فنّ الخمريّات في إطار التذوّق :**

عرف الإنسان الخمرة منذ معرفة تخمير الأعناب والنخيل . شرب العرب الخمرة منذ عهد الجاهليّة وأفرطوا في شربها؛ لأنّ نظرتهم إلى الخمر كانت تعبيرًا عن الفروسيّة والشجاعة والكرم والغنى . من أبرز أصحاب الخمريّات في العصر الجاهلي "عنترة، عمرو بن كلثوم، طرفة بن العبد والأعشى ".

وصف الجاهليّون الخمرة بلونها ومذاقها وأقداحها وإبريقها ومجالسها بما فيها من غناء ولهو .

مُنِعَتِ الخمرة بموجب القرآن الكريم في عصر صدر الإسلام .

{إن يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ، ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما} (سورة البقرة). خفّ التشدّد في أمور الدين، فانصرف الأمويّون إلى شرب الخمر، وقد شربها أكثر الخلفاء كعبد الملك ويزيد بن معاوية وأشهرالشعراء الذين شربوا الخمر في العصرالأموي هو"الأخطل". كثر الحديث عن الخمرة في العصر العبّاسي وقد تفنّن العرب في هذا العصر بشربها ووصفها، وقد ساعدتهم على ذلك أحوال العصر الاجتماعيّة،وكان "أبو نواس " زعيم الخمرة بلا منازع .

استمرّ شرب الخمر حتّى العصر الأندلسي لأنّ بلاد الأندلس كانت غنيّة جدّاً؛ إذ قامت على تمازج حضارات مختلفة؛ فإذا بالعناصر الثقافيّة تتداخل وتغني الشخصيّة الاجتماعيّة كثيرًا . وممّا سمح لهذه البيئة الاجتماعيّة الجديدة أن تمارس أساليبها الثّقافيّة هو المستوى الاقتصادي الجيّد الذي سمح بارتياد مجالس الطرب واللهو .

**ج ـ الحبّ والحواس في إطار التذوّق :**

إذا كانت الحياة تشبه فصول السنة، بصيفها الحار، وخريفها الحزين، وشتائها القارس، فإنّ الربيع هو خاتمة العسر الذي بعده يسر...

صغار الطير تزقزق على الأغصان الخضراء، تفتح مناقيرها للأمّ السعيدة التي تحمل لها الغذاء، وزهور الحقل تدعو الفراشات لترقص حولها، والمراعي النديّة تنادي النعاج كي تقضم أعشابها .

والعشّاق يستجيبون لنداء الربيع فيتعانقون ويتلاثمون ويتزوّجون، وهم يخضعون لمشيئة الخالق الذي قال لهم : انموا وتكاثروا واملأوا الأرض ...

وقد سألوا الربيع عن الحبّ، فأجابهم : رجل قادر، وامرأة فاتنة، وكأس خمر .

تلك هي النشوة العظمى التي يوقرها الحبّ لمن جعلوا الربيع فصلهم الأوحد ...

أمّا الأبطال فهم الذين يتزوّجون ليجعلوا من جميع الفصول ربيعهم الدائم ...

أجمل حبّ هو الذي نعثر عليه أثناء بحثنا عن شيء آخر .

الحبّ ليس سوى حالة ارتياب . فكيف لك أن تكون على يقين، من إحساس مبنيّ أصلاً على الفوضى في حواسّنا، وعلى حالة متبادلة من سوء الفهم، يتوقع فيها كلّ واحد أنّه يعرف عن الآخر ما يكفي ليحبّه . في الواقع، هو لا يعرف عنه أكثر ممّا أراد له الحبّ أن يعرف، ولا يرى منه أكثر ممّا حدث له أن أحبّ في حبّ سابق . ولذا، نكتشف في نهاية كلّ حبّ أنّنا في البدء كنّا نحبّ شخصًا آخر .

الحبّ كما الموسيقى، كلّ الفنون نتوق إلى معانقته . هو الإيمان، ومن أحبّ الإنسان أحبّ الله؛لأنّ الحبّ هو أن يكون الله في السماء .

ليس لدى الحبّ وقت لكتابة المكاتيب ...وفتح الفناجين، إنّه يستعمل الأسلوب البرقيّ في مخاطبة الحبيبة .

عندما نسقط في الحبّ كلّ شيء يتغيّر : القلب لا يكفي لضمّ الحبيب؛لأنّ مساحة الدنيا نفسها لا تكفي .

الحبّ هو أن تتجنّد الحواس في ساحة العشق لتؤدّي ما يختلج في النفس من شوق إلى الحبيب، وما يعانيه العاشق من وجد، وما يعتريه من صعاب، وما يتردّى به موقفه من حيرة واضطراب . كما تظهر ظمأ نفسه إلى الجما ل.

كلّ ذلك قد يترجمه البعض شعرًا، لكنّ الشعر هو خلاصة الخلاصة، تكون فيه مساحة الكلمة بمساحة الانفعال، وحجم ا لصوت الشعري بحجم فم الشاعر ...وبحجم هواجسه .

ليس من وظيفة الشعر أن يشرح كلّ شيء ... أو أن يقتل كلّ شيء .

وظيفة الشعر هي أن يعطينا بطاقة السفر ... دون أن يتدخّل في تفاصيل الرحلة . وظيفته أن يضع أمامنا الزجاجة والكأس ويتركنا نسكر على طريقتنا .

عبثًا ما نكتب لأنّ الإحساس أكبر من اللغة،والصوت يتخطّى الحنجرة .

الحبّ يجب أن يكون فوق مستوى الكلام، وإلا فالصمت أجدى .
يقول نزار قبّاني في أحد كتبه :
"الحبّ قصيدة جماليّة مكتوبة على القمر
الحبّ مرسوم على جميع أوراق الشجر
وحبّات المطر ... "

وحاسّة التذوّق تشمل الأنواع المختلفة من اللذّة، نختصرها بالنقاط التالية :

**١ . طعم الخمر :**

العصر الأندلسي كما العصور السابقة لم يخلّ من شرب الخمر واللهو. ومردّ ذلك أنّ المستوى الاقتصادي كان جيّدًا إذ سمح للكثيرين بارتياد مجالس الطرب واللهو. والدليل على جوّ البحبوحة الاجتماعيّة هو هذه الموشّحات التي سنأتي على ذكرها لاحقًا . كان الناس يتلذّذون في شرب الخمر، ضاربين عرض الحائط الأمور الدينيّة . وقد جاء ذكر الخمر في الكثير من الأشعار الأندلسيّة، ولشدّة تعلّقهم بها كانوا يحسبونها دواءً لشفاء دائهم . كما وأنّهم اعتبروا الخمرة مقدّسة لا يمسّها شيء .

وقد ورد عند الرمادي هذا البيت :
قبّلته قدّام قسّيسه شربتُ كاساتٍ بتقديسه

وقد جاء عند ابن خفاجة :
وما الأنس في مجاج زجاجة ولا العيش إلا في حرير سرير

يقول ابن زيدون :
أما هواك فلم نعدِلْ بمنهلهِ شربًا وإن كان يروينا فيظمينا

أو قوله :

له خُلقٌ عـذبٌ، وخَلق محسـن وظرف كعودالطيب أو نشوةالخمر
يعلل نفسي من حـديث تـلذّه كمثل المنىوالوصل في عُقب الهجر

أو قوله :

فرشـفت الرضـاب أعذب رشف وهصـرت القضيب ألطف هـصر
ونـعمنا بـلـفّ جسـم بجسـم للتصـافـي وقـرع ثـغر بثـغر

أو قوله :

تخـال الشـهد منه مسـتمدّا ونـفـح المسـك مـنه مسـتعارا

أو قوله :

يا جـنّة الخـلد أبدلنا بسـورتها والكوثر العـذب زقومًا وغسـلينا

أو قوله :

وإن مـن أغرب ما مـرّ بـي أنّ عـذابي فـيك مسـتعـذب

أو قوله :

الصـبر شـهد عندما جـرّعتني والنـار بـرد عـندما أصـليتني
كنت المنى فأذقتني غصـص الأذى يا ليتني مـا فـهمت فيك : بليتني

ويلذّ طعم النسيم مع الشرب فيقول :

واشـرب فـقـد لـذّ النسـيم ورقّ سـربـال الهـواء

**٢ . طعم الحنان :**

حنان ابن زيدون لأيّامه الخوالي كان جياشاً، صادقاً فها هو يعبّر عن ذلك بقوله :

لـم أنكر الـوجـد والـكـلف مـدمعي بالهـوى قـد اعترفا

وهذا الحبّ يرافق دومًا النفس حتّى في لا وعيها :
" قنعت بالطيف منك يا قمري"
إلى أن يصل إلى آخر مرحلة وهي افتداء الحبيب .
" إذا متّ فيكم فدا"

وقال اسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي الأندلسي :
سقيت بغيث الجود ما كان ماحلاً حنانًا وإحسانًا فيا حبّذا السقيا

**٣. طعم الحبّ :**

وما من لذّة في الدنيا مثل عذاب الحبّ . كان الحبّ مادّة ملتهبة لكثير من الشعراء . وقد تميّزت القصائد الجاهليّة وما جاء بعدها بالمطلع الوجداني والوقوف على الأطلال والبكاء على فراق الأحبّة. وكان هذا المطلع يرافق كلّ الأغراض من غزل، أو رثاء أو فخر وما إلى ذلك من موضوعات شعريّة . قيل إنّ الحبّ هو غذاء الروح؛ فأضحى غذاء الشعر والشاعر .

يقول أمير المؤمنين المستنصر بالله المنصور بفضل الله بن أبي بكر بن اسحق بن ابراهيم بن موسى بن ابراهيم بن أبي حفص :
سكرت ولم أعلمْ أمِن خمرة الهوى
عراني هذا السكر أم مِنْ خمرة اللمى

يقول الفقيه الكاتب أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنّان الأنصاري الخزرجي .
ماذا تجرّعت من مدّ الغرام هوى يا قلب فيه، وماذا أنت جارعُهُ

يقال إنّ تاريخ ميلاد الإنسان هو تاريخ عشقه . وسيلة العشق هي أن نحبّ بلا كلمات؛ لأنّ الكلمات تموت، لأنّها أصغر من مساحة العشق .

الحبّ هو ألا نحبّ كالناس، ولا نعشق كالناس، ولا نرى كالناس، ولا نتذوّق كالناس؛ لأنّ الحبّ كالولادة والموت لا يعود ثانية.

أروع ما في الحبّ أن يكون دون عقل ودون منطق .

كم من شاعر مات في سبيل شعره، وكم من قلم ذاب في سبيل الكلمة . الكلمة التي تحمل مرمى ومعنى ورسالة .الكلمة التي تمثّل المحبة والحب .

في كلّ اللغات أنت تقرأ لتفهم . أمّا في الحبّ فعليك أن تفهم أوّلا لتجيد القراءة .

**٤. طعم الدمع :**

شعراء كثيرون يكتبون كلماتهم بمداد شعورهم الأسود، وشعراء آخرون يكتبون بمداد دموعهم، وفي كلا الحالين لا يكن للدمع سوى طعم الألم حيث تتم ولادة الحروف بغصّة ودمعة .

يقول الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى عبد الرحمن بن محمّد بن خلدون الحضرمي .

وقد ظـمئت منّا المطيّ وأظـلمت  دجـى خـفيت فيها عـلينا المذاهب
ردوا ليس يروينا الغـمامُ وهـذه  دمـوعي لا يظما بها بعد شـاربُ

ويقول ابن شُهَيد الأندلسي :

يُنبني فينبو فـي الكـلام لسـائلهُ  فكـأنّه مـن خـمر عينيه سُـقي

قال الأعمى التطيلي في ديوانه . ص ٣٣.

أغِـذ نظـرةً في صفحتي ذلك الخدّ  فإنّني أخـاف الياسـمين على الوردِ
وخذ لهما دمعي وعـللهما بـه  فإنّ دموعي لا تعـيدُ ولا تبدي
وإلاّ فقني كـأس المـدامـة بُلغة  تقوم مقام الريِّ عـندكَ أو عـندي
وفي ريقك المعسـول لو أنّ روضةً  تعـلل بالكافور والمسكِ والـرّند
وماء شـبابي كـان أعـذب موردًا  لو أنّ الليالي لم تـزاحمكَ في الوردِ

**٥. طعم الشفاه :**

عمد الشعراء في غزلهم إلى وصف مفاتن الجسد . لذا فقد فرَغوا اهتمامهم إلى الشفاه التي كانت مادّة مهمّة لشعرهم .

كان الشعراء يستلذّون بطعم الشفاه . ولعلّ الشفه هي أوّل ما تلفت انتباه الشاب في وجه الفتاة؛ إذ إنّ القبلة تحمل كلّ معاني العشق التي يمكن أن يحملها المرء لحبيبه، ولعلّ قبلة الأمّ بعد الولادة هي أكبر دليل على ما تحمله القبلة من عواطف جيّاشة .

فأصبح بإمكاننا القول إنّ الشفتين هما الوسيلة التي تحمل الحبّ لتنقله إلى الحبيب مجسّمة إيّاه بقبلة .

يقول ابن شهيد الأندلسي في ديوانه، ص٥٠

كلما كلمني قبلته فهو إما قال قولاً ردّدا
كاد أن يرجع، من لثمي له وارتشافي الثغر منه، أدردا
شربتُ أعطافهُ خمرَ الصبا وسقاه الحسنُ حتّى عربَدا

ويقول في ديوانه، ص٨٣

أقبّل منه بياض الطلى وأرتشف منه سواد اللعس

**٦. طعم الريق :**

إن كانت الشفاه لذيذة، فلا بدّ أنّ ما يصدر عنها في اللذّة نفسها .

والمعروف علميّاً أنّ للقبلة فوائد جمّة، منها تنظيم دقات القلب، لذا فللريق أيضًا فوائد، ذكرها الكثير من الشعراء، منهم ما جاء في شعر الأعمى التطيلي، ص٢١١ .

أريق ثغركِ أم بنت الزراجين وعِرفُ نشركِ أم مِسكُ بدارين
وثغرُكِ الشنِبُ الوضّاحُ أم بَرَدٌ أم بارقٌ من رضاكِ اليومَ يثنيني
إذا بدا لي دُرٌّ منه منتظمٌ نثرتُ لؤلؤ دمعي غير مكنون
وماءُ خدّكِ أم خمرٌ بكأس منها يروق في حسن إشراقٍ وتلوين

ويقول الفقيه الكاتب أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنّان الأنصاري الخزرجي، ص٣٣٧

محيّاك أبهى لا الهلالُ ولا البدرُ  وريقُك أشهى لا الزلالُ ولا الخمرُ

بالرغم من أنّ الخمر كانت مفضّلة على مرّ العصور، إلاّ أنّ هذا البيت يدلّ على أنّ ريق الحبيب كان الأفضل .

وقد ورد لدى شاعرات الأندلس للشاعر أبي محمّد بن السيّد بطليوس هذين البيتين :

أخفيت سقمي حتّى كاد يخفيني  وهمت في حبّ غررنَ فعزّوني

ثمّ ارحموني برحمونَ وإن ظمئت  نفسي إلى ريق حسّون فحسّوني

وابن زيدون يتذوّق الريق فإذا به كالمُدام :

وريقته في الارتشاف مدامُ...

**٧. طعم الدم والموت :**

منذ نظام القبائل في العصر الجاهلي سيطر العداء والغزوات . وهذا النمط من العيش جعل القوّة وحدها هي القانون، ودفع بالعرب إلى أن ينشدوها ويتنازعوا أسبابها ووسائلها؛ من مال وسلاح وتكاثر ونفوذ. وهو الذي كان له الأثر الأبعد في أخلاقهم؛ إذ جعلها أخلاقًا حربيّة تقوم على الافتخار بالجرأة، والشجاعة، وركوب الأهوال، وقلّة الشكوى، ونجدة المستصرخ، واعتبار الكرم وإسراء العون من خير ما يتمدّح به الإنسان .

لقد هام شبح الموت على أفكارهم، ولم تخلُ قصائدهم من صور الغزوات والثأر والدم . وقد كان للموت والدم لذّة خاصّة عندهم .

قال ابن شهيد الأندلسي في ديوانه، ص١٠٣

غناكَ سَعْدُكَ في ظلّ الظبي وسقى  فاشربْ هنيئًا عليك التاجُ مرتفعا

سقيًا لأسدٍ تساقى الموت أنفسها  وتلبَسُ الصبرَ في يوم الوغى حَلَقا

قال أحد الشعراء عن الدم :

أحـــللتني بـمحـــلة الجـــوزاء ورويتُ عـــندكَ مـن دم الأعـداء
وطـعمتُ لحـمَ المارقين فأخصـــبت حـــالي وبـلّغني الزمانُ شـــفائي

## ٨. طعم الأيّام :

ما هو الوقت ؟

ليس الوقت مبدأ معروفًا ومألوفًا بكلّ بساطة، وليس هو بالشيء الغامض المظلم الذي يستحيل على العقل البشريّ تفسيره . عندما يسألنا أحدهم ما هو الوقت ؟

تصبح كلماتنا بكماء، ويغصّ مِدادُ أقلامنا، ويجفّ .

كلّ ما نعرفه هو أنّنا وجدنا ونعيش في وقت معيّن، نحبّه في بعض الأحيان، نكرهه ونشتمه في أحيان أخرى، ولا ندري إن كنّا نتركه بكامل إرادتنا أو أنّه يتركنا هو ساعة يشاء ...

قال ابن شهيد الأندلسي في ديوانه، ص٣٥ :

ذاقَ أيّامَـــهُ فـــــكان ســـــواءً عنده طعمُ شـــــَهدِها والصـــبابِ

وللأيّام لدى ابن زيدون طعمٌ مرّ، يقول :

ذممتُ إذا عهد الحـــياةِ ولـــم يزل مرّاً على الأيّام طـــعمها المَخْـملي

وقال يشكو من عدم تذوّقه لدّة الألم :

إنّني مـــذ هجـــرتني لـــــم أذق لـــــدّة الـــــوَسَـــــنْ

وقال أيضًا :

وطـــــعمٌ يـــلـــذّ لمنْ ذاقـــهُ، كـــــلذّة ذكراكَ، لـــو لـــم يُمَلّ

وقال أيضًا :

وكيف ذاك الحسُّ الذكيُّ وقـــد، باشـــر تِلكَ المذاقة البَشِـــــعهْ

وقال وقد أهدى دواءً :

مَنظـــرٌ يُبهج القلوب، وطـــعمٌ تشـــكُرُ النفسُ عهدَهُ اســـتمراء
يفضح الشـــهدَ طـــعمُهُ، كلما قِيـ ـسَ إليه، ويُخـــجـــلُ الصـــهباءَ

وقال أيضًا من قصيدة " الفراشة تدنو من النار ":

أكلٌ شـــهيٌّ أصـــبَنا من أطايبِهِ بعضًا وبعضًـــا صفحنا عنهُ للفارِ

هذا بعض ما ورد من إشـــارات إلى الذوق في شعر ابن زيدون، أمّا ابن خـاتمة الأنصاري فيشبّه ريقَ الحبيبة بالخمر، قال في ديوانـه(١) ، ص٦٥:

ما خـــلتُ أنّ الريـقَ منها خَـــمرَةٌ حـــتّى رأيتُ بخـــدّها ألهوبَها

وفي الشنب مذاقٌ لذيذ، قال ابن خاتمة، ص٢٧:

لـــولا اتقائي أن يُقالَ أخـــو صبا لرَشـفتُ من ثغـــر الأقاح شنيبَها

وهو يسكر من ريق الحبيبة، قال، ص٥٦ :

ما زلتُ أسـقيها وأشـــربُ ريقها والســـكرُ يعطـــفنا على مقدارِ

ويذهب الأنصاري أحيانًا إلى تشبيه نكهة ريق الحبيبة بطعم الشهد، قال، ص٥٩ من الديوان:

كالوردِ وجـــنتُهُ، والشَـــهدِ ريقتُهُ والســـلكِ مَبسمُهُ، والمِســـكِ ريّاهُ

وقال أيضًا، ص٦٦:

صـــدعْتَ أكبادي صـــدعَ الزجاجْ وشُـــبتَ لـــي العـذبَ بمِلحِ أجـاجْ

وللهوى أيضًا مذاقه، وقد يكون مرّا، قال الأنصاري، ص٨٢:

تفديكَ نَفســـي في الهـــوى ماجنًا يُذيقُـــني تيهًا جـــنى الحَنظـــلِ

وقال أيضًا، ص١٤٣:

تفاحُ كريقِكَ التفاحْ .

ومن الشعراء الأندلسيين الذين وشّحوا قصائدهم بوشاح عن الذوق، ابن سهل الأندلسي، حيث قال متغزّلاً بمعشوقة موسى، ص٧٩ من الديوان (٢):

أذوقُ الهوى مُـــرّ المطاعم علقمًا وأذكُـــرُ مـــنْ فيه اللمـــــى فيطيبُ

وقال أيضًا يهنّئ بمولود، ص٨٥:

ولتفطِموهُ عـــــن اللبان فـــــإنّه ليَرى دمَ الأبطـــــال أحلى مشرَبا

وقال أيضًا، ص١١٠:

وكمْ سُـــئل المِسواكُ عن ذلك اللمى فأخـبرَ أنّ الريقَ قـــد عطّلَ الشهدا

وهذه صورة مجازيّة تُشير إلى الذوق، قال ابن سهل، ص٢٧١:

فأيّ امرئٍ لـــم يـــذُقْ شـــيمتيكَ لـم يعـــرفِ الشـــــهدَ والحـــنظلا

وهذا الأعمى التطيلي يجعل ذكر الحبيب ألذّ من الشـــهد، يقول في ديوانه، ص٢٨: (٣)

وذِكـــرُكَ أحـــــلى أو ألذّ من المُنى وإنْ قـيل أحـــلى أو ألذّ من الشـهدِ

وقال إنّ موتَ الصدودِ مُرّ المذاق، ص٨٥ من الديوان نفسه (٣):

خُـذنَ بي مأخـــذًا من الموت حُلوًا إنّ مـوت الصـــــدود مـــرّ المذاق

وللمدامة عنده نُكهة تغري، يقول، ص١٢٢:

وشعشـــعَ لـــي ممّا هـــناك مُدامة مذاقها تُغـــــري ونكهتها تُســـلي

واللمى طعمها كالسكر، قال الأعمى التُطيلي، ص١٦٥:

سُـــكريّ اللمى وضـــــيء المحيّا يستخفّ النفوسَ قـــبل الجُســـوم

ويختلف على التطيلي تشبيه طعم الريق، قال، ص ٢٩٩:

أريـــقُ ثغركَ أم بنتُ الزّراجـــين  وعَـرْفُ نشركَ أم مِســـكٌ بدارين

ذو ظـمأ يشـــــرب ماء الطـــلا  وليـــس يُرويه الـــذي يَشـــرَبُ

وهذا ابن الزقاق البَلنســـي يشرب ماءَ الطّلا (الأعناق)، قال ص ٨٤ من ديوانه (٤):

وقال البلنسي، ص٢٠٦ :

لو أســتطيع شـــربتها كَلِفًا بـــها  وعدلتُ فيها عـــن كؤوس رحيق

وممّا قاله، ص٢١٦:

ما أنســـى لا أنسـى لهم وَقـفـةً  كالشـهدِ والعَـــلقم عـــند المذاق

وقال أيضًا، ص ٢٥٤:

خـــذها ولا تـلفظ بغـــير بيوتها  متمثلاً فالشـــهد غـــير العـــلقم

معســـولـــةً كـــالآري إلا أنّـــها  لكيودها حـمّة الشـــجاع الأرقم

وقال واصفًا كؤوس الراح، ص٥٥ ـ ٢٥٦:

يا كـؤوس الـراح لا رائحـــةً لي  فيك ما يشـبّث مصـــابيح النجـوم

حـــفظ الله فتًى لـــم يغـتبط  من حـميّاكِ بطـــعمٍ أو شـــميم

وها هو أحمد بن عبد ربّه يقول في عنب أبيض وأسود(٥):

أهـديتَ بيضًا وسـودًا فـي تلوّنها  كأنّها من بناتِ الـروم والحبَـش

عذراءُ تؤكل أحـيانًا وتُشـربُ  أحيانًا فتعصِمُ من جوع ومن عطش

وقال أحمد بن فرج في مذاق رمّان (٦):

حـبوبًا كمـــثل لِثاث الحـــبيب  رُضـــابًا إذا شـــئتَ أو منظـــرا

وقال ابن هُذيل (٧):

وممّا يقطع الحيزوم عندي مروري بالشواء على الخوان
وتندي بردتي خلعي إذا ما نظرتُ إلى الهرائس في الجفان
كأنّ الزيتَ والعسلَ المُصفّى عبيرٌ خالصٌ في دُهن بان
وباذنجانَ مثل كراتِ ضَربٍ تضمّنها لبابُ الجُلجَلان

وقال أحمد بن فرج في بعثه فاكهة(٨) :

بعثتُ بها أشباه أخلاقكِ الزهرِ بخطّين من طيب المذاقة والنشْرِ

وقال يوسف بن هارون (٩):

قد صحونا عن الشراب على فرطِ اشتياقٍ إليه إذ أنت صاح
غير أنّي عوّضتُ من شرب كأس قهوة الريق في كؤوس الأقاحي

وقال أيضًا (١٠):

نطقتْ عن أشنبٍ فيه خمرٌ برضابِ الشهد فيه تُشَعشع

وقال ابن عبد ربّه(١١) :

ورضابٍ كأنّه ما يَمجّ النحلُ طيبًا وما يسُحّ الحبيّ
علّنيه بدرٌ من الأنس يا من ظنّ بالبدر أنّه إنسيّ

وقال ابن العِشال (١٢):

ويؤكلُ من فواكهها طريّ ويُشرب من جداولها نميرُ

وقال يحيى الغزال واصفًا دخوله إلى حانة(١٣) :

فلمّا أتيتُ الجانَ ناديتُ ربّهُ فهبّ خفيف الروح نحو ندائي
فقلتُ أذِقنيها فلمّا أذاقني طرحتُ إليه ربطتي وردائي

وقال في وصف النساء مشبّهًا إيّاهنّ بالثمار :

إنّ النساء لكالسروج حقيقةً فالسرج سِرجُك ريثما لا تنزلُ
أو كالثمار مباحةً أغصانُها تدنو لأول من يمُدّ فيأكلُ

قال ابن عبد ربّه ردّا على من أرسل إليه طبقا فيه أنابيب من قصب السكر(١٤) :

بعـــثتَ يا ســـيّدي حُـــلوَ الأنابيب عـــذبَ المَذاقة مُخضـــرَّ الجلابيبِ

وقال ابن الأبّار :

فامزُج بريقكَ لِيَ الكؤوسَ وقُـلْ لنا خـُـــــدْ، تلقني لكبارها أخـــــاذا

أمّا الوزير أبو الأصبغ بن عبد العزيز، فقال :

ريقـــهُ خَـــــمرةٌ ولـــــكنْ شـــيبَ شـــــــذاها بطعم سُكّر

أمّا ابن الأبّار فقد شرب الخمرة فوجدها مزّةَ الطعم بعد التعتيق، فقال فيها :

مُـــــــزّةٌ مـــاتت زمـــانًا بـــــحـــــجابٍ يحـــــتويها

وقال حسام بن ضرار الكَلبي :

فلمّا رأيتم واقد الحـرب قد خـبا وطابَ لكم منها المشـارب والمأكلُ
تغـــافلتم عنّا كأن لـــم يـــكنْ لنا بـــلاءٌ وأنتم ما عـــلمتم لها فـــعلُ

وقالت حفصة الركونيّة مشبّهة طعم ريقها بنكهة بنات الدوالي :

بلحـــاظٍ من سحر بابل صـــيغتْ ورضـــابٍ يفـــوق بنت الدوالي

والأشعار الأندلسيّة التي تتوشّح بحاسّة الذوق كثيرة ولا مجال لذكرها كاملة .

وكثيرًا ما نطق الشعر الأندلسي بحاستي اللمس والذوق مجتمعَيْن في البيت الواحد، تتناغمان فيه لتعطيا أفضل صورة ولتؤدّيا المعنى المنشود بأفضل شكل وهو الشكل الروحي والحسّيّ المزدوج، ومن ذلك مثلاً، قول ابن خاتمة الأنصاري (١٥)

ورشـــفتُ من ثغـــر الأقاحة ريقها وضممتُ أعطافَ الغصـــون الميّس

أو ليس في رشف الريق مذاقًا وفي ضمّ الأجساد لمسًا ؟

وفي مثل ذلك قال أيضًا (١٦) :

فاعتنقتُ القضيب منها قوامًا وارتشفتُ الرحيقَ منها رُضابا

ويتوحّد شعور الحاستين مع ابن زيدون، حيث يُصبح رشف المبسم مصدر لمسٍ من خلال التصاق الشفاه، ومبعث مذاقٍ لرشف الريق وماء الأسنان العذب، يقول(١٧):

أرشُفُ منه المبسمَ الشنيبا

وقال أيضًا (١٨):

فبتّ أسقى الراح من ريقه، وأجتني الوردَ من الخدّ

ففي ريقه مذاقٌ كطعم الراح، وفي اجتناء الورد كناية عن لثم الخدّ الذي ينمّ عن لمسٍ سافر .

ويكاد المعنى نفسه يتكرّر في أكثر أبيات ابن زيدون، فقال أيضًا(١٩) :

فرشفتُ الرُضاب أعذب رشيق، وهصرتُ القضيب ألطف هَصْر

وفي المعنى نفسه، قال ابن هانئ الأندلسي (٢٠):

لكسرتُ دُملجَها بضيق عِناقِها ورشفتُ مِنْ فيها البُرودَ رُضابا

ولعلّ أكثر الشعراء تذوّقًا لريق الحبيب، وتحسّسًا بلمسه، المكفوف. قال الأعمى التطيلي(٢١):

يُعلني كلما مل العِناق به كأسًا من الريّ ما في ثغره حَبَبُ

ويتردّد المعنى نفسه عند الشعراء الأندلسيين . فهذا ابن الزقاق الأندلسي يشرب المدام من ثغر الحبيب، قال (٢٢) :

شربَ المُدامَ وعلني من ثغره ما يَشربُ

وقال أيضًا (٢٣):

سرى وَهْنًا وليلتنا كلمثهِ أو الشبح
يُدير عليّ صافية تضوع لعَرفهِ الأرج
وبينهما معتّقة من اللحظات والفَلج
فنلتُ السكرَ من خمرٍ ومن ثغرٍ ومن غَنَج

وهو أيضًا يسكر من الخمر التي في يد حبيبته ومن فيها، قال(٢٤) :

سقتني بيُمناها وفيها ولم أزلْ يُجاذبني من ذاك أو هذه سُكرُ
ترشّفت فاها إذ ترشفتُ كأسها فلا، والهوى لم أدرِ أيّهما الخمرُ

وفي لثم اللمى لدى ابن الزقاق البلنسي،مذاق "معسول"ولمس عبر التصاق الشفاه، قال(٢٥) :

بأبي في الحبّ معسول اللمى عنبريّ النَشر ريميّ الحَدَقْ

وقال يوسف بن هارون(٢٦) :

وقد قُطبتْ شهدًا مُدامةُ ثغره ومافي الجفون الفاترات هي الصرفُ
لذا يقتل الصِّرف الذي في جفونه ويلتذّ، ممّا في مراشفه، الرشفُ

وفي المعنى نفسه، قال ابن وكيع :

شادنٌ خدّه وعينا هُ وردي ونرجسي

إن يَجُدْ لي بخمر فيه لقد تمّ مجلسي

وهذا ابن الأبّار يقول :

ما أنسى لا أنسى المُدامة بيننا يناولُنِها وَهْوَ بالسحر نافثُ
فسكران من خمرٍ ومن رشفِ ريقِهِ وبينهما من سحر عينيه ثالثُ

وقال المصحفيّ،في وصف سوسنة لثمها فلمسها وتذوّقها،فشعر بطعم المسكِ من ريقِ.(٢٧) :

يا رُبَّ سوسنة قد بتّ ألثمُها  وما لها غيرُ طعم المِسْكِ من ريق

نستنتج ممّا تقدّم ذكره، أنّ حاستي اللمس والذوق قد تجلّتا، بالدرجة الأولى، في الضمّ والعناق واللثم فيما يخصّ الحاسّة الأولى، وفي رشف الريق وتذوّق الخمر والأطعمة فيما يعني الحاسّة الثانية .

وبعد، فإنّ حاستي اللمس والذوق لسوف تظلّلان الشعر طالما الإحساس موجود، إلى ما شاء الله .

## متفرّقات في حاسّة التذوّق

قال أحمد بن عبد ربّه في عنب أبيض وأسود :

أهديت بيضًا وسودًا في تلوّنها  كأنّها من بنات الروم والحبش
عذراء تؤكل أحيانًا وتشرب أحيانًا  فتعصم من جوع ومن عطش (٢٨)

قال ابن هذيل في العنب :

وبسلٍّ فيه من العنب الغضّ  شبيه العُنّاب في الاحمرار
رقّ منه أديمه فهو كالياقوت  يُستامُ بين أيدي التجّار
وغذته الأيّام فهو أنابيب  طوال على جفان قصار

قال علي بن أبي الحسين في التوت :

أبدى لنا التوت أصنافًا من الحَبَش  جُعْدَ الشعور من الأطباق في قُرش
كأنّ أحمرها من بين أسودها  بقيّة الشفق البادي مع الغَبَش(٢٩)

وقال أحمد بن فرج في رمّان :

ولابسةٍ صِدَقًا أصفرا  أتتكِ وقد ملئتْ جوهرا
كأنّك فاتح حُقٌّ لطيف  تضمّن مرجانها الأحمرا
حُبوبًا كمثل لثاث الحبيب  رُضابًا إذا شئتَ أو منظرا(٣٠)

وقال في مثله :

ثمـــرٌ أتاك جَـــــناه في غُـــلفِ كالجـوهر المكنون في الصَّـــــدَفِ

وقال ابن هذيل في خوخة :

في نصـفها مـــن خَجلها حـُمرةٌ وبينها طُـــرقٌ لطـــافٌ دِقاق(٣١)
كأنّها فـــي بعضـــها عاشـق زاحـــــمها للـثـمّ أو للعـــناق

وقال أحمد بن عبد ربّه في نعته سمكًا :

أهـــديت أزرق مقـــروئا بزرقاءٍ كالماءلم يغذُها شيءٌ سوى الماء(٣٢)
ذكـاتها الأخـذ لا تنفكّ طـــاهرةً في البرّ والبحـر أمواتًا كأحـيَـاء

وقال محمّد بن شحيض :

إن حُسْنَ الرياض صـــاغ لها الظلّ برودًا من ناضـــر الأقحـــوان (٣٣)
مـن مجـــال الأكفّ في سـُفرةٍ تحوي صـنوف الحيتان والخرفان
وكـــأنّ الثـــريد والحـمّـص المنثور تاجٌ مـــكـــللٌ بجُمان
وتخال الزيتون في قِطـــع الصين صـــــدورًا نـقطّن بالخـــيلان

وقال ابن هذيل :

وممّا يقطـــــع الحـيزومَ عـندي مـــروري بالشـــواء على الخـوان
وتندى بُردتـــي خـــلفي إذا مـــا نظـرتُ إلى الهرائس في الجـــفان
كـــأنّ الزيت والعســل الصـــقى عـبيرٌ خالصٌ فـــي دُهـــن بان
وباذنجـــان مثل كـراتِ ضـــربٍ تضـــــمّنها لـبابُ الجـلجُـلان
وقد وقـف الصـيام على فـــراغ ونفســـي سوف تفرغُ بالأماني (٣٤)

وقال أحمد بن فرج في بعثه فاكهة :

بعثت بها أشـباه أخـــلاقك الزُهْر بحظّين مـــن طيب المذاقة والنشْر
ملوّنة لونين تحـــــكيهما معًـــا بتلك الأيادي البيض والنّعم الخضر(٣٥)

وقال أيضًا في بعثه كمثرى :

جُـــنِيَتْ من القضـــب النواضـــرْ فـــأتتك كالغيد العـــــــواطر
يلبســـــــنَ مـــن بـــرد النعيم ملابسًـــــــــا غضّ المكاسر
ما بين مخضـــــرّ الـــــربيع وبين مصفـــــــرّ الأزاهـــر
وكـــأنّ أصـــــفـــــرها دِقـــا قُ كـــواكـبٍ فـــي عـين ناظـــر
أو مثـل صـــفـــراء المـــدا مةِ فـــي أكـياسٍ أصـــاغـــر
متنقســـــــاتٍ فـــي الأنـــو فـِ بمـثل أنفاس المجـــامر
حـــــلوّ ضـــمائرها كـما يحلو الهـــوى لك في الضـــمائر
أو مثلما تجـــــلو القـــوا في من لســـــانٍ فيك شـــاكر
وكأنّما هـــي مـــنـــك فـــي حســـــن المخـابر والمناظر
وكـــأنّـــها مـــن شـــكـــرهـــا تملا البطون إلى الحـناجـــر(٣٦)

وقال أحمد بن عبد ربّه في أوصاف الخمر والشراب :

ورادعـــةٍ بأنفـــاس العـــبير مـــــــقنّعة المفارق بالقـــتير
جـلتها الكاسُ فاطّـــلعتْ عـلينا طـــلوع البكر في حـــلل الحرير
كأنّ كؤوســـها يحـملن مـــنها شوسًا ألبست خـــــلِعَ البدور
كأنّ مِـــزاجها لمّـا تجـــلّت بصـــــحن زجـاجـها نارٌ بنور
كأنّ أديـــمها ذهَـــبٌ عـــليه أكاليلٌ مـــــن الـــدرّ النثير(٣٧)

وقال عبد الله بن حسين بن عاصم :

راح حـكاها فـــي حبيب حجاجها نجمٌ هـــوى فاحـــتلّ في كاســاتها
رقت فـلولا أنّها فـــي كاســـها لـــــون لأعـــدمَها ذوو إثباتها
راح تراها فـــي الكؤوس حـــليمةً والجـــهل بالألباب من عاداتها(٣٨)

وقال العتبي :

وعـــانكة كعـــين الديك بكـــر تَقضـــتْ فـــي الدنان لها دهـــور
تـــرى بين المـــزاج لها حـــبابًا كـــأنّ نـــثيره الـــدرّ النـــثير
تخـــال كـــؤوســـها والليل داج كـــواكـب بـين أيدينا تـــدور(٣٩)

وقال محمّد بن اسماعيل النحوي :

فتبسّمتْ منه إليكَ مدامةٌ كالبرق لاح بظلمة فأنارها
وكأنّها لمّا زهت بحبابها خودٌ تريك عقودها وسوارها(٤٠)

وقال يوسف بن هارون :

ألا اشربها على الناقوس صرفًا فذاك مودّنُ الدين القديم
وصرت إلى الخلاء فأدركتني به الأكواس في عدد النجوم
كأنّ الكوسَ إذ حثّت بإثري كواكب إثر شيطان رجيم (٤١)

وقال أحمد بن عبد ربّه :

ومدامةٍ صلّى الملوك لوجهها من كثرة التبجيل والتعظيم
رقّت حشاشتها ورقّ أديمها فكأنّها شيبتْ من التسنيم
وكأنّ عين السلسبيل تفجّرت لك عن رحيق الجنّة المختوم
راحٌ إذا اقترنت عليك كؤوسها خلت النجوم تقارنت بنجوم
تجري بأكناف الرياض ومالها فلك سوى كفّي وكفّ نديمي
حتّى تخال الشمس يكسف نورها والأرض ترعد رعدة المحموم (٤٢)

وقال أيضًا :

مورّدةٌ إذا دارت ثلاثًا يفتّح وردها ورد الخدود
فإن مزجت تخال الشمس فيها مطبّقة على قمر السعود (٤٣)

وقال اسماعيل بن بدر :

تعاطينا على الريحان راحًا وواصلنا المساء بها الصباحا
هببنا أن زقا ديكٌ صدوح وصقق بالجناح لنا جناحا
كأنّ منادِيًا نادى علينا ألا حيّوا على الكأس الفلاحا
فبادرت الأكفّ سنا نجوم أنار بها الظلام لنا ولاحا
ودبّت في مفاصلنا دبيبًا يقتّلنا وما نشكو جراحا
كأنّ نوافجا فتقتْ علينا فنمّ نسيمها فينا وفاحا (٤٤)

وقال المهتد :

إذا انجلتْ في إناء خلتها عَرَضًا ... في جوهر أو زلالاً حابسًا وهجا
رقت فكاد هواء الجوّ يخطفها ... لطفًا وضاءت فكادت تخطف السَرُجا
كأنما اقتبستْ نور العيون فلم ... تبصره أو يضرب الديجور منبلجا
يروعها الماء في الياقوت بارزة ... فيبرز التبر منها منظرًا بهجا
كأنها خدّ خَودٍ فاض مدمعها ... من روعةٍ فكسا بالصفرة الضرَجا(٤٥)

وقال جعفر بن عثمان في الثمل من الشراب :

عجبتُ لقوم ضيّعوا كلّ لذّة ... ولاموا طريقًا شاطرًا في طرائقه
إذا ما شكا بالراح في الثُمل سرّهم ... وكم قائل قولاً بغير حقائقه
وإنا لنشكوها إليها كما شكا ... مشوقٌ على الإعجاب عضّة شائقه(٤٦)

وقال ابن هذيل :

مالتْ على يده كاسٌ فملتُ لها ... سكرى معربدةٌ في كفّ سكران
لها هديرٌ إذا نصتْ فتحسبها ... تخاصم الشرْبِ عن إفكٍ وبهتان (٤٧)

وقال عليّ بن أبي الحسين :

وسقيمة الألحاظ مرهفة الحشا ... نبّهتها ورواق ليلي مُنزلُ
فكأنها والكاس تلثمُ ثغرها ... قمر يقبّله السماك الأعزل (٤٨)

وقال ابن الخطيب :

ليالي تبدو الراح في أفق راحنا ... نجومًا كسوناها غلائلها الزُرقا
إذا شجّها الساقي رأيت بكفه ... ضرامَ شهاب ليس يشكو له حَرقا
أروح وأغدو بين كأس وقينة ... ضجيعًا لها أو من مدامتها ملقى (٤٩)

وفي وصف الأباريق والكؤوس، قال اسماعيل بن بدر :

ما خرّ إبريقُهُم لكاسهمُ ... إلا صبا جمعُهُم وإنْ حَلمُوا
كأنه ناطق بحاجته ... سرًا وإن كان شانه البَكَمُ (٥٠)

وقال عبّاس بن فرناس في كوز:

ومعمّمٍ لـــم يبقَ فـــي جـــثمانـــه إلا حشـــاشـــة مهجـــة لـــم تُزْهَق
على كشـحـــيه مـــن بُرحـــائه عضـــدان فهو كموثقٍ لـم يطـلق
حلتْ عـمامةُ رأســه فتضـــوّعت مـــنه مفـــارقه بمثل الـــزنبق (٥١)

وقال أحمد بن عبد ربّه :

تـرى الأباريق والأكـواس مـائلةً وكـلّ طـاسٍ مـن الإبريز ممتثل
كأنّها أنجـــم يجـــري بها فلكٌ للـــراح لا أسَـــدٌ فيها ولا حَـــمَلُ

وقال محمّد بن عبد العزيز :

ومقـــــدّمٍ أرج النقابِ كأنّـــــما أوفى عليه مـــن العـــبير نقاب
فاقترّ عن شمس النهار وقـد طوى شمس النهار مـن الظـــلام حجاب

وقال يحيى بن هذيل :

عقيقةٌ فـي مهاةٍ فـي يَـدَيْ سـاقي أضـوأ من البدر إشـراقا بإشـراق
إذا تطأطـأ لـه الإبريق تحسـبه مُصَـلّيًا خـرّ إعظـامًا لخـالق
قـد نفخَـتْ فيه روحًا فهو مرتحل من الندامى إذا ما أمسك السـاقي

وقال علي بن أبي الحسين :

وكم ليلةٍ دارت علـيّ كؤوسـها بكفّ غـزالٍ ما يُذمّ علـى العـهدِ
سـقاني بعـينيه وثـنّى بـكفه فسكرٌ على شكرٍ ووجدٌ على وَجدِ
جعلت مكان النقل تقبيل خـدّه ورشـف ثناياهنّ أحـلى من الشهدِ
وبتّ ضـجيع البدر والبدر غـائب كأنّي من اللذّات قد بتّ في الخـلدِ

وقال يوسف بن هارون :

تـلثم الأوتـار مـنها بنانا يعـدل الأفـواه إلا الرضـابا
تسـبق الأبصـار من وحي صوتٍ تحسـب الترجـيع مـنه انتهابا

ولتكون خاتمة البحث شيّقة، فضّلنا أن نختم الكلام بقصيدة للشاعر "جورج خليل" وقد وردت في العاميّة في كتابه الذي صدر مؤخّرًا بعنوان "عروس الشعر" والقصيدة تحت عنوان الحواس الخمس .

# خاتمة

**الحـــواس الخمس** (بالعامية)

يـــا حـــبّ مـــــن بـعـــد الدجـا والالـتـماس
عِـدّ الحواس الخمـــــــس كلّما شربت كاس
عـنـدك مـرا "حـــسّ " الســـمع فيها غـني
وعندك مرا بتشوف "البصر"رغـبه وحماس
وعـــــندك مـــرا"بتـشـمّ"مـثـل الســوســـنِه
وعـندك مرا "بالـذوق" ذوق مـن الأســـاس
وما زالْ حـسّ "اللمـــس" عـارفْ شـو بني
اتركـــلي خمسَ حـلوين حـــــــــدّي بالدّني
مجبور حبّك قدمـــــــــــا عـندي حواس

# حواشي الفصل الخامس

١. ديوان ابن خاتمة الأنصاري، تحقيق محمّد رضوان الداية.
٢. ديوان ابن سهل الأندلسي .
٣. ديوان الأعمى التطيلي، تحقيق د. إحسان عبّاس .
٤. ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق محمود ديراني .
٥. كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، الشيخ أبو عبد الله محمّد بن الكتّاني الطبيب، تحقيق د. إحسان عبّاس، بيروت، ص٨٤.
٦. نفسه، ص٨٥
٧. نفسه، ص٨٦ - ٨٧.
٨. نفسه، ص٨٧.
٩. نفسه، ص١٣٧.
١٠. نفسه، ص١٣٨.
١١. نفسه، ص١٣٨.
١٢. تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عبّاس، ص١٨٥.
١٣. تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، إحسان عبّاس، ص٩٦.
١٤. نفسه .
١٥. ديوان ابن خاتمة الأنصاري، ص١٩٣.
١٦. نفسه، ص٨١.
١٧. ديوان ابن زيدون، ص١٦.
١٨. نفسه، ص٢٣.
١٩. نفسه، ص٢٠٠.
٢٠. ديوان ابن هانئ الأندلسي، ص٤٩.
٢١. ديوان الأعمى التطيلي، ص١٦.
٢٢. ديوان ابن الزقاق البلنسي، ص٩٤.
٢٣. نفسه، ص١١٤.
٢٤. نفسه، ص١٧٩.
٢٥. ديوان ابن الزقاق البلنسي، ص٢٠٨.

٢٦. التشبيهات، ص١٣٦.
٢٧. تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة ، ص٨٣.
٢٨. التشبيهات، ص٨٥.
٢٩. نفسه .
٣٠. نفسه .
٣١. نفسه، ابن الكتاني، دار الثقافة، ص٨٦
٣٢. نفسه .
٣٣. نفسه .
٣٤. نفسه، ص٨٧.
٣٥. نفسه، ص٨٧.
٣٦. نفسه، ص٨٨.
٣٧. نفسه، ص٨٩.
٣٨. نفسه، ص٩٠.
٣٩. نفسه .
٤٠. نفسه .
٤١. نفسه، ص٩٣.
٤٢. نفسه، ص٩٣.
٤٣. نفسه، ص٩٤.
٤٤. نفسه .
٤٥. نفسه .
٤٦. نفسه، ص٩٥.
٤٧. نفسه، ص٩٧.
٤٨. نفسه، ص٩٨.
٤٩. نفسه .
٥٠. نفسه .
٥١. نفسه .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# ثبتٌ عامّ بأهمّ المصادر والمراجع

## أوّلاً : المصادر والمراجع العربيّة :

القرآن الكريم .

١. ابن سناء الملك .
محمّد ابراهيم نصر، ط، الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنشر، ١٩٧١م .

٢. ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر .
د. عبد العزيز الأهواني، مط، مكتبة الأنجلو المصريّة، ١٩٦٢م.

٣. ابن عبد ربّه وعقده .
د. جبرائيل جبّور، مط، دار الكتب، بيروت ط٢، ١٩٧٩م.

٤. ابن عربي حياته ومذهبه .
آسين بلاثيوس، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩م.

٥. أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبيّة .
د. سهير القلماوي، ود. محمود علي مكّي، الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنشر ـ القاهرة، ١٩٧٠م.

٦. أثر الفارابي في الفلسفة الأندلسيّة .
د. ماجد الفخري،منشورات وزارة الإعلام،دار الحريّة للطباعة، بغداد ١٩٧٥م.

٧. أخبار وتراجم أندلسيّة مستخرجة من معجم السفر للسلفي .
د. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت ط١، ١٩٦٣م.

٨. إختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى .
ت: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة ١٩٥٩ م.

٩. أدب الأندلس وتاريخها .
ليفي بروفنسال، ت : محمّد عبد الهادي شعيرة، الأميريّة، القاهرة، ١٩٥١ م.

١٠. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه .
د. مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٧م.

١١. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة.
د. أحمد هيكل، دار المعارف، ط٥، ١٩٧٠م.
١٢. الأدب الشعبي .
أحمد رشدي صالح، النهضة المصريّة، القاهرة، ط٣، ١٩٧١م.
١٣. الأدب العربي في الأندلس .
د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.
١٤. الأدب في موكب الحضارة الإسلاميّة.
د. مصطفى الشكعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٤م.
١٥. الأدب المقارَن .
محمّد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، ط٥.
١٦. الأدب المقارَن .
د . طه ندا، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٩٧٥م.
١٧. الأدب ومذاهبه .
محمّد مفيد الشوباشي، الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م.
١٨. أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث .
بطرس البستاني، دار المكشوف، دار الثقافة، بيروت، ط٦، ١٩٦٨م.
١٩. الأدوار .
صفيّ الدين عبد المؤمن ا لأرموي البغدادي، ت :الحاج هاشم محمّد الرجب، دار الرشيد للنشر . العراق، المركز العربي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
٢٠. الإسلام في إسبانيا .
د. لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة المصريّة، ط٢، ١٩٦٩م.
٢١. الإسلام في المغرب وإسبانيا .
أ . ليفي بروفنسال، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمّد صلاح الدين حلمي، مكتبة النهضة المصريّة، ١٩٥٦م.
٢٢.الاصطلاحات الموسيقيّة .
أ ـ كاظم، تعريب : ابراهيم الداقوقي، دار الجمهوريّة، بغداد، ١٩٦٤م.

٢٣. الأعلام .
خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠ م .
٢٤. أعلام الأدب والفنّ .
أدهم الجندي، مجلة صوت سورية، دمشق، ١٩٥٤.
٢٥. أعلام الموسيقى والغناء العربي .
فكري بطرس، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب،١٩٧٦ م .
٢٦. الأغاني .
أبو الفرج الأصفهاني، دار الثقافة، بيروت، سنة ١٩٨٣ م.
٢٧. أقرب الموارد في فصح العربيّة والشوارد .
سعيد الخوري الشرتوني، مكتبة لبنان، بيروت .
٢٨. ألحان ألحان .
سعيد الخوري الشرتوني، مكتبة لبنان، بيروت .
٢٩. إنباه الرواة على أنباه النحاة .
جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، ت: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصريّة،١٩٥٥م.
٣٠. البداية والنهاية .
عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٦٧ م.
٣١. بديعات الزمان .
د. فيكتور الكك، دار المشرق، بيروت، ١٩٧١ م.
٣٢. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس .
أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي . ت : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبنانيّ . ط ١، ١٩٨٩ م.
٣٣. بغية الوعاة في طبقات النحاة .
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت : محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا، بدون تاريخ .
٣٤. بلاغة العرب في الأندلس .
أحمد ضيف، الاعتماد، مصر، ط ٢، ١٩٣٨ م .
٣٥. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب .

محمّد بن محمّد بن عذارى المراكشي، ت : ج . س . كولان وأ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ .
٣٦. البيان والتبيين .
أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، ت : عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.
٣٧. بين الخلفاء والخلعاء في العصر العبّاسي .
د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط ٢، ١٩٧٤ م.
٣٨. تاج العروس من جواهر القاموس .
محمّد مرتضى الزبيدي، ت : إبراهيم الترزي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٠ م .
٣٩. تاج اللغة وصحاح العربيّة .
إسماعيل بن حماد الجوهري، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٦٥ م.
٤٠. تاريخ اللغة العربيّة .
جرجي زيدان، دار الهلال، ج ١، ١٩٣٦ م .
٤١. تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة .
د . إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، ط ٤، ١٩٧٥ م .
٤٢. تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين .
د. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، ط ٥، ١٩٧٨ م .
٤٣. تاريخ الأدب العربي .
كارل بروكلمان،نقله إلى العربيّة، د. رمضان عبد التوّاب . دار المعارف، ج٥، ١٩٧٥ م.
٤٤. تاريخ الأدب العربي .
د. عمر فرّوخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٨٠ م .
٤٥. تاريخ الأندلس .
أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس، ت: أحمد مختار العبادي،معهد الدراسات الإسلاميّة، مدريد، ١٩٧١ م .
٤٦. تاريخ الشعوب الإسلاميّة .
كارل بروكلمان، نقله إلى العربيّة نبيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٦٥ م .

٤٧. تاريخ العرب .
د. فيليب حتّي، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٧٤ م.
٤٨. تاريخ الفكر الأندلسي .
انخل جنثالث بالنثيا، مكتبة النهضة المصريّة ، ط ١، ١٩٥٥ م.
٤٩. تاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون .
د. عمر فرّوخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩ م .
٥٠. تاريخ الموسيقى الأندلسيّة .
د. عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٦٩ م .
٥١. تاريخ الموسيقى الشرقيّة .
سليم الحلو، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٤ م .
٥٢. تاريخ الموسيقى العربيّة حتّى القرن الثالث عشر الميلادي .
هنري جورج فارمر، عرّبه وعلّق على حواشيه جرجيس فتح الله المحامي .
٥٣. تاريخ الموسيقى والغناء العربي .
د. محمّد محمود سـامي حافظ، المطبعة الفنّيّة الحديثة، مصر، ١٩٧١ م.
٥٤. تاريخ النقد الأدبي في الأندلس .
د. محمّد رضوان الداية، مط، معتـوق إخوان، بيروت، ط ١، ١٩٦٨ م.
٥٥. تأثير الفنّ الإسلامي على فنون الغرب .
إسماعيل عثمان عثمان، مجلّة الدعوة، الرباط، ١٩٦٠ م .
٥٦. تأثير الثقافة الإسلاميّة في الكوميديا الإلهيّة لدانتي .
د. صلاح فضل، المعارف، ط ١، ١٩٨٠ م .
٥٧. تراث الإسلام .
فارمر، تعريب جرجيس فتح ال له، دار الطليعة، بيروت، ط ٣، ١٩٧٨ م .
٥٨. تراث الموسيقى العالميّة .
كورت زاكس، عالم الفكر م٢، ١٩٨٢ م .

٥٩. تراث العصور الوسطى .
جاكوب وكرامب، ت محمّد بدران، القاهرة، ١٩٦٥ م .
٦٠. تراجم الأعيان من أبناء الزمان .
الحسن بن محمّد البوريني، ت: د. صلاح الدين النجد، المجمع العلمي، دمشق، ١٩٥٩ م.
٦١. التشبيهات .
ابن الكتاني، ث . د . إحسان عبّاس، بيروت، ١٩٦٨ م .
٦٢. التعبير الموسيقي .
د. فؤاد زكريّا، دار مصر للطباعة، ط ١، ١٩٥٦ م .
٦٣. تعرّبت وتغرّبت .
سيمون الحايك، المطبعة البوليسيّة، لبنان، ١٩٨٧ م .
٦٤. التخليص في علوم البلاغة .
القزويني الخطيب، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٣٢ م .
٦٥. التوشيح في الموشحات الاندلسية، د. يوسف عيد، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٣ .
٦٦. توشيع التوشيح .
الصفدي، ت : د. ألبير حبيب مطلق، دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٦٦ م .
٦٧. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس .
أبو عبد الله محمّد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، ت، محمّد بن تاويت الطنجي، القاهرة، ١٩٥٢ م .
٦٨. جماليات الإبداع الموسيقيّ .
جيزيل بروليه، دار العالم العربي، القاهرة، ١٩٧٠ م .
٦٩. جيش التوشيح .
لسان الدين بن الخطيب، ت : هلال ناجي، تونس، ١٩٦٧ م .
٧٠. الحبّ بين تراثين : التروبادور الفرنسيّون والعشّاق العذريّون.
ناجية مراني، دارالرشيد للطبع، سلسلة دراسات،دار الحريّة، بغداد، ١٩٨٠م.

٧١. حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي .
جلال مظهر، دار مصر للطباعة، ١٩٧٤ م .
٧٢. الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع الهجري .
آدم متتر، نقله إلى العربيّة محمّد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٣، ١٩٥٧ م .
٧٣. حضارة العرب .
د. غوستاف لوبون، نقله إلى العربيّة عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩ م .
٧٤. الحضارة العبّاسيّة .
د. وليم الخازن، منشورات الجامعة اللبنانيّة، بيروت، ١٩٨٤ م .
٧٥. الحلّة السيراء .
أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر بن الآبار، ت: د. حسين مؤنس، الشركة العربيّة للطباعة والنشر، القاهرة، ط، ١٩٦٣ م .
٧٦. الحلل السندسيّة في الأخبار والآثار الأندلسيّة .
الأمير شكيب أرسلان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٥٥ هـ .
٧٧. دائرة معارف القرن العشرين .
محمّد فريد وجدي، ط ٤، ١٩٦٧ م .
٧٨. دار الطراز في عمل الموشّحات .
أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك، ق، د. جودت الركابي، دار الفكر، دمشق، ط ٣، ١٩٧٧ م .
٧٩. دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي .
د. عبد الرحمن بدوي، دار الآداب، بيروت، ط ١، ١٩٦٥ م .
٨٠. دولة الإسلام في الأندلس .
محمّد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٦٠ م .
٨١. الدولة العربيّة في إسبانيا من الفتح حتّى سقوط الخلافة .
د. إبراهيم بيضون، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨ م .

٨٢. ديوان ابن خاتمة الأنصاري المريني الأندلسي .
ت : د . محمّد رضوان الداية، منشورات وزارة الثقافة في سورية، ١٩٧٢ م .
٨٣. ديوان ابن سناء الملك .
ت : د. حسين نصّار، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٩م.
٨٤. ديوان أبي حيّان الأندلسي .
ت: د . أحمد مطلوب ود . خديجة الحديثي، بغداد، ١٩٦٩ م.
٨٥. ديوان الأعمى التطيلي .
ت: د. إحسان عبّاس، بيروت، ١٩٦٣ م .
٨٦. ديوان امرئ القيس .
ت: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٦٩ م .
٨٧. ديوان صفيّ الدين الحلّيّ .
دار صادر، بيروت، ١٩٦٢ م .
٨٨. ديوان أبي نواس .
دار صادر، بيروت، ١٩٦٢ م .
٨٩. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة .
أبو الحسن علي بن بسّام الشنتريني، ت : د. إحسان عبّاس،دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥ م .
٩٠. ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء .
د. أحمد عيسى بك، مصر، ط ١، ١٩٤٢ م .
٩١. الذيل والتكملة .
أبو عبد الله محمّد بن عبد الملك المراكشي، ت : د. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥ م .
٩٢. رحلة إلى الأندلس .
ناجي جواد، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٩ م .
٩٣. رحلة إخوان الصفا وخلّان الوفاء .
دار صادر، بيروت، ١٩٥٧ م .
٩٤. رسائل ابن المنجم في الموسيقى .

يحيى بن علي بن يحيى المعروف بابن النديم، ت : د. يوسف شوقي، دار الكتب، مصر، ١٩٧٦ م .
٩٥. رسالة الغفران .
أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعرّي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤ م .
٩٦. رسالة الكندي في أجزاء خبريّة في الموسيقى .
منشورة في كتاب تاريخ الموسيقى الشرقيّة، ت : سليم الحلو، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٤ م .
٩٧. الروض المعطار في خبر الأقطار .
محمّد بن عبد المنعم الحميري، ت: د. إحسان عبّاس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥ م .
٩٨. الرومانس .
جلن بير، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠ م .
٩٩. الزجل في الأندلس .
د. عبّاس بن عبد الله الجراري، الرباط، ١٩٧٠ م .
١٠٠. الزجل في المغرب .
د. عبّاس بن عبد الله الجراري، الرباط، ١٩٧٠ م .
١٠١. زرياب .
د. محمود أحمد الحفني، دار مصر، سلسلة أعلام العرب، ٥٤
١٠٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب .
أبو الفلاح بن العماد الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ .
١٠٣. الشعر الأندلسي، بحث في تطوّره وخصائصه .
أميليو غرسيه غومس، ترجمة من الإسبانيّة، د. حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصريّة، ط٣ ـ ١٩٦٩ م .
١٠٤. شمس العرب تسطع على الغرب .
زيغريد هونكه، ترجمة : فاروق بيضون وكمال دسوقي، منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت، ط٤، ١٩٨٠ م .
١٠٥. طوق الحمامة في الألفة والآلاف .

أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، ت : حسن كامل الصيرفي، المكتبة التجاريّة الكبرى، القاهرة، ١٩٦٧ م .
١٠٦. العاطل الحالي والمرخص الغالي .
صفيّ الدين أبو الفضل عبد العزيز، ت: د. حسين نصّار، الهيئة المصريّة، ١٩٨٠ م .
١٠٧. العرب في صقليّة .
فون شـاك، ت : د. إحسـان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٥ م.
١٠٨. العقد الفريد .
أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي، ت:إبراهيم الأبياري، القاهرة، ١٩٦٥م.
١٠٩. علم الآلات الموسيقيّة .
د. محمود أحمد الحفني، الهيئة المصريّة، القاهرة، ١٩٧١ م.
١١٠. العلاقات بين الموسيقى العربيّة والغربيّة .
رولي أنطوني، بغداد، ١٩٧٨ م .
١١١. عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء .
أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، ت: د. نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥ م.
١١٢. غرناطة في ظلّ بني الأحمر .
د. يوسف فرحات، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٩٩١ م .
١١٣. غوتيه وألف ليلة وليلة .
موسيني، برلين، ١٩٦٠ م .
١١٤. فتوح مصر والمغرب والأندلس .
ابن عبد الحكيم، ط ٢، القاهرة، ١٩٤٨ م .
١١٥. فنّ التوشيح .
د. مصطفى عوض الكريم، دار الثّقافة، بيروت، ط ١، ١٩٥٩ م .
١١٦. الفنّ ومذاهبه في الشعر العربي .
د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط ١٠، ١٩٧٨.
١١٧. الفنّ الإسلامي في إسبانيا .

مورينو مانويل، ترجمة:لطفي عبد البديع والسيّد عبد العزيز سالم، الهيئة العامّة للكتاب، مصر، ١٩٧٧ م .
١١٨. الفنّ الإسلامي .
كونل أرنست، ت: أحمد موسى، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦ م .
١١٩. الفنون الزخرفيّة الإسلاميّة في الأندلس .
محمّد عبد العزيز مرزوق، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ .
١٢٠. الفنون الاندلسية وأثرها في اوروبا القروسطية، د. يوسف عيد، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩١ .
١٢١. فنون الإسلام .
زكي محمّد حسن، القاهرة، ط ١، ١٩٤٨ م .
١٢٢. فوات الوفيات .
ابن شاكر الكتبي، ت : د.إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤ م.
١٢٣. قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس .
د. السيّد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٩٧٢ م.
١٢٤. قصّة الحضارة .
ول ديورانت، ترجمة محمّد بدران . لجنة التأليف والترجمة والنشر، بدون تاريخ .
١٢٥. القيان والغناء في العصر الجاهلي .
د. ناصر الدين الأسد، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩ م .
١٢٦. الكافي في الموسيقى .
أبو منصور الحسين بن زيلة، ت: زكريّا يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤ م .
١٢٧. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
مصطفى بن عبد الله الشهير بـ حاجي خليفة، عني بتصحيحه وطبعه محمّد شرف الدين بالتقايا وأعادت طبعه بالأوفسيت المكتبة الإسلاميّة والمكتب الجعفري في طهران، ط ٣، ١٩٤٧ م .
١٢٨. الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة .

نجم الدين محمّد رضي الدين الغربي، ت: د. جبرائيل سليمان جبّور، البوليسيّة، حريصا، ١٩٥٨ م .
١٢٩. لسان العرب .
جـــمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور، دار صادر، ١٩٥٥ م.
١٣٠. متعة الإسماع في علم السماع .
أحمد التيفاشي - نشر في مجلّة الأبحاث الجامعة الأميركيّة، بيروت، ع ٢، ٣، ٤، ١٩٦٨ م .
١٣١. مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسيّة المغربيّة .
محمّد بن الحسين الحانك التطواني الفاسي، ت: عبد اللطيف محمّد بن منصور، الرباط، ١٩٧٧ م .
١٣٢. المخصّص .
أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الأندلسي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ .
١٣٣. المستطرف في كلّ فنّ مستظرف .
شهاب الدين محمّد بن أحمد الأبشيهي، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ .
١٣٤. مصادر الموسيقى العربيّة .
هنري جورج فارخر، ت: د. حسين نصّار، جامعة الدول العربيّة، مصر، بدون تاريخ .
١٣٥. المعجب في تلخيص أخبار المغرب .
عبد الواحد بن علي المراكشي، الاستقامة، القاهرة، ط ١، ١٩٤٩ م
١٣٦. معجَم الأدباء .
شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ .
١٣٧. معجم الحضارة الاندلسية، د. يوسف عيد، د. يوسف فرحات، دار الفكر العربي – بيروت ٢٠٠٠ م .
١٣٨. معجَم ألفاظ القرآن الكريم .
الهيئة المصريّة للتأليف، ط ٢، ١٩٧٢ م .

١٣٩. معجَم البلدان .
ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ .
١٤٠. المغرب في حلى المغرب (قسم الأندلس).
ابن سعيد الأندلسي، ت : د. شـــوقي ضيف، دار المعارف، ١٩٥٥ م.
١٤١. مقدّمة ابن خلدون .
تحقيق المستشرق الفرنسي أ . م . كاترمير، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٠ م .
١٤٢. موسيقى الشعر .
د. ابراهيم أنـيس، مكتبة الأنجلو المصريّة، مصـــر، ط ٥، ١٩٧٨ م.
١٤٣. الموسيقى الكبير .
أبو نصر محمّد بن طرخان، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ .
١٤٤. الموسيقى والغناء عند العرب .
أحمد تيمور باشا، نشرة لجنة نشر المؤلفات التيموريّة، ط ١، ١٩٦٣ م.
١٤٥. الموسيقى العربيّة .
جرجي سيمون، سلسلة ماذا أعرف، ١٩٧١ م .
١٤٦. الموشّحات الأندلسيّة .
فؤاد رجائي، مط الشرق، الخندق، حلب، ١٩٥٥ م .
١٤٧. الموشّحات الأندلسيّة .
د. محمّد زكريّا عناني، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٠ م .
١٤٨. موشّحات مغربيّة .
د. عبّاس الجراري، دار النشر المغربيّة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٧٣ م .
١٤٩. الموشّحات والأزجال .
د. مصطفى عوض الكريم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م .
١٥٠. النشاط المعجَمي في الأندلس .

د. يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢ م .
١٥١. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب .
١٥٢. الوجديّة في الأندلس .
د. جرجي طربيه، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١، ١٩٨٣ م .
١٥٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .
أبو العبّاي شمس الدين بن أبي بكر بن خلكان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧ م .

## ثانيًا : بعض المجلّات والدوريّات :

١. مجلة الآفاق، العراق .
٢. مجلة الأبحاث، الجامعة الأميركيّة، بيروت .
٣. عالم الفكر، الكويت .
٤. عالم المعرفة، الكويت .
٥. مجلة المورد، العراق .
٦. مجلة المناهل، الرباط .

## ثالثاً : المصادر والمراجع ا لأجنبيّة :


1. Abdul - Wahab :Un témoin de la conquête arabe de L' espagne , Tunis, 1972 .
2. Asin Palacios : Huellas del Islam , Madrid , 1941.
3. Bazin , G .: Histoire de l' art , Flammarion, Paris, 1960 .
4. Beck , Jean : La musique des troubadours , éd . Stock , 1979 .
5. Camps y Cazorla : Modulo proporcionnes y composicion en la arquitectura , Madrid , 1953 .
6. Caron , Nelly : Les traditions musicales , 1966.
7. Colin , G . S.:Encyclopédie de l' Islam , T . IV , 1930 .
8. Dozy , R .: Histoire des Musulmans d' Espagne , V , Leindan , 1861.
9. Felix , Hernendez : La techumbre de la grammezquita de cordoba , en archivo espagnol de arte , 1928.
10. Focillon , H .: L' art occidental , 1938.
11. Galiây : El Castillo de la Aljaferia , Zaragoza , 1906.
12. Generrero , Laville : Al-Qastal-Mubarak , Sevilla , 1974.
13. Gonzalez Palencia : A Historia de la Espana musulmana , Barcelona , 1945.
14. Hamelton , Gibb : Arabic litérature , London , 1926.
15. Henri , G .: the origin of the Arabien lute , Civic Press,1931.
16. Havell , E . B .: L' Architecture ,2ème éd ., London , 1927.
17. Mâle , Emile : Arts et artistes du Moyen - Age , 1927.
18. Marçais , G . Manuel d art musulman , Paris , Auguste Picard , 1926.
19. Massignon : les méthodes de réalisation artistique de peuples de l'Islam .Paris, 1968 .
20. Mitjana (R) . L' orientalisme musical et la musique arabe .(le monde orientale 1906).

21. Ocana , Jimenez : Inscripciones arabes des cubiertos en Madinal al zahara , 1944.
22. Pablo , Gil : Manuscritos aljamiados de mi collección in Homenaje a codera (Zaragoza , 1904).
23. Pelao Menendez : origenes de la Novela (Maôle) 1953.
24. Pidal : Poesia árabe y poesia européa , coll . Austral , Buenos Aires 1946.
25. Pidal : Historia Medieval de las literaturas hispánicas , Tomo I Barcelona 1947.
26. Pirès , H .: La poésie Andalouse en arabe classique, Paris, 1971 .
27. Prat , Angel Valbuena : la literatura espanola y su relation con lo Universal , Madrid , 1961.
28. Provençal , L .: Inscriptions arabes d' Espagne , Paris , 1932.
29. Ricard : pour comprendre l' art musulman , Paris , 1924.
30. Rouanet , jules : la musique arabe dans le Maghreb, Paris, 1950 .
31. Rovsing , Olsen : Une musique originale à Présenter au monde, Paris, 1940 .
32. Sabouret , Victor: Les voûtes nervurées , le Génie civil , 1928.
33. Poesie and kunst der Araber in Spanien und Sizilien 2 vols. stuttgdrt , 1877.
34. Simonet , F .: Historia de los Mazorabes de Espana ,Madrid 1903.
35. Soriano Fuertes (M) . Historia de la musica Es panola desde la venida de los fenicios hasta el ano de 1850- 4 vols. Madrid , 1855 - 59.
36. Torres Balbas : La mesquita de cordoba y lad ruivas de Madinatal - Zahra 1953.
37. Yafil (E) and (Rouanet) (J) . Repertoire de Musique arabe et maure . Collection d ouvertures , Melodies Noubat , chausous, preludes Danses , etc . 25 pts Algiers , 1904.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# فهرست الكتاب


| العنوان | الصفحة |
|---|---|
| الاهداء | 5 |
| مقدمة عامة | 7 |
| **الفصل الاول : العين في الشعر الاندلسي** | 13 |
| أ. مقدمة | 13 |
| ب. الحاسة : مبعث ادراك ومعرفة . | 14 |
| ج. مكانة العيون في الشعر | 16 |
| **العين في الشعر المشرقي** | 20 |
| **العين في الشعر الاندلسي** | 23 |
| أ. في الوصف | 23 |
| ب. في الغزل | 28 |
| ج. في المدح | 33 |
| د. في الرثاء | 34 |
| هـ. في الفنون الأدبية الأخرى | 36 |
| **خاتمة** | 76 |
| **حواشي الفصل الأول** | 78 |
| **الفصل الثاني : السمع في الشعر الاندلسي** | 85 |
| ١. السمع في شعر ابن ربّه . | 86 |
| ٢. السمع في سعر ابن درّاج القسطلي . | 89 |
| ٣. السمع في شعر الرمادي . | 94 |
| ٤. السمع في شعر ابن هاني . | 96 |
| ٥. السمع في شعر ابن شهيد . | 100 |
| ٦. السمع في شعر ابن زيدون . | 104 |
| ٧. السمع في شعر المخزومي الأعمى . | 110 |
| **متفرقات أندلسية .** | 112 |
| **خاتمة** | 115 |

**حواشي الفصل الثاني** 116

**الفصل الثالث : اللمس في الشعر الأندلسي .** 121
١. اللمس عند ابن خقاجه . 121
أ. اللمس من خلال قصائده المدحيّة . 121
ب. اللمس من خلال قصائده الوصفية . 123
قيمة شعره . 127
٢. اللمس عند ابن زيدون . 128
قيمة شعره 130
٣. اللمس عند الأعمى التطيلي . 131
قيمة شعره 135
٤. اللمس عند ابن حزم 136
قيمة شعره 137
٥. اللمس عند ابن هانئ 138
قيمة شعره 139
٦. اللمس عند ابن حمديس 140
قيمة شعره وخاتمة 145
متفرقات 146
**حواشي الفصل الثالث** 150

**الفصل الرابع : الشم في الشعر الأندلسي .** 165
حاسة خارجة عن القانون 169
الشم في سبيل المدح 171
**اندلسيات متفرقة** 175
**خاتمة** 217
**حواشي الفصل الرابع** 218

**الفصل الخامس : التذوق في الشعر الاندلسي** 221
مقدمة 221

أ. اللذة نزعة انسانية . 222
ب. الخمريات في إطار التذوق . 222
ج. الحب في اطار التذوق 224
١. طعم الخمر . 226
٢. طعم الحنان . 227
٣. طعم الحب . 228
٤. طعم الدمع . 229
٥. طعم الشفاه . 230
٦. طعم الريق . 230
٧. طعم الموت . 231
٨. طعم الأيام . 232
**متفرقات .** 240
**خاتمة .** 246
**حواشي الفصل الخامس .** 247
**ثبت بأهم المصادر والمراجع .** 249

## صدر للمؤلف :

١. النشاط المعجمي في الأندلس .
٢. الفنون الأندلسيّة وأثرها في أوروبا القروسطيّة .
٣. التوشيح في الموشّحات الأندلسيّة . رؤية جديدة للأوزان .
٤. رحلة الطرب في أقطار العرب .
٥. الموسوعة الموسيقيّة ، بجزأين : النظري والتطبيقي .
٦. معجم الحضارة الأندلسيّة، بالاشتراك مع د. يوسف فرحات .
٧. موسوعة الحضارة العربيّة . ١٠ أجزاء بالاشتراك مع د. يوسف فرحات و بطرس البستاني .
٨. المدارس الأدبيّة ومذاهبها ، بجزأين .
٩. الشعر الأندلسي وصدى النكبات .
١٠. حقق وشرح دواوين عدّة :

- العذريّون : قيس بن الملوّح - جميل بن معمر - قيس بن ذريح .
- جرير .
- الحطيئة .
- الباكِيَتان .
- الفروسيّة .
- عنترة بن شدّاد .
- حسّان بن ثابت .
- الخواطر .
- السفيران .
- بحتري الأندلس (ابن مجبر).

## تحت الطبع :

- قطوف .
- مجامِر ومحابر .
- معجم التعبير والتحبير .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com